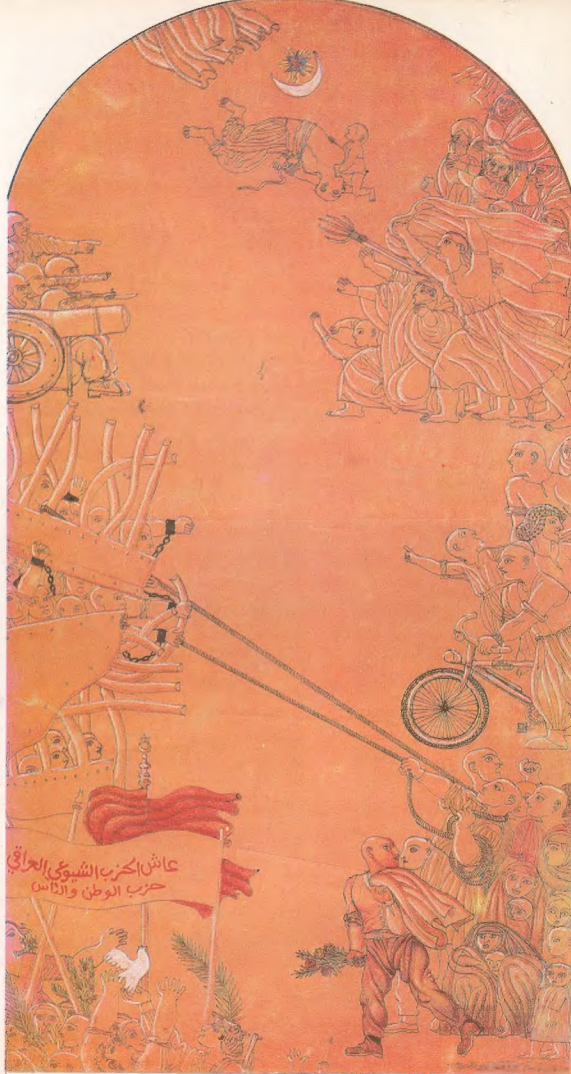


# البيان

الذكرى التاسعة والخمسون لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي



عاش الحزب الشيوعي العراقي  
حزب الوطن والناس





# الوقائع العراقية

مجلة شهرية يصدرها مكتب الشيوخي العراقي

254

العدد 4 السنة 40 آذار - نيسان / ١٩٩٢

## فهرست

- 4 - أين يكمن مغزى العيد وجدواه ؟ ... افتتاحية طريق الشعب  
7 - طريقي إلى الشيوعية ... عزيز محمد  
10 - ملاحظات على بيان اللجنة المركزية ... زكي خيري  
19 - دروس من انتفاضة آذار المجيدة ... آزاد  
25 - العرب وتحديات الزمن الجديد ... لطفي حاتم  
35 - نحو إعادة النظر في ماتفقتنا عليه ... عبد السلام سيد أحمد  
41 - واقع حقوق الانسان في كردستان ... منظمة حقوق الانسان في كردستان  
51 - الاقتصاد السياسي للتضخم في العراق ... د. عبد المتعم السيد علي  
د. هيل الجنابي  
70 - منهجية التصنيف العقائدية: قواعد الحدود الحقيقية ... د. ميثم الجنابي  
85 - من توجهات الحزب الاشتراكي اليمني ... عبد الله ناجي راشد  
89 - جيل ضائع مدمج بالسلاح ... جورج يوسف

## 93 - أدب ولبن

- 94 - المخزومي في ذاكرة الجواهري ... مقابلة أجراها صباح المدلاوي  
98 - قصائد ... كريم الأسدي  
103 - ليالي بولونيا/ شعر ... مؤيد عبد الستار  
107 - حينما يصلب الشعر/ شعر ... محمد أمين بينجويني  
110 - الكتب ومعاناتها/ شعر ... م. باوكر  
113 - كابوس أخضر/ قصة ... أحمد ناهد  
118 - زوينة القطعة/ قصة ... فؤاد

- 
- 122- رجل بلا حرية/ قصة ... علي السام  
124- ندوة لفنانين من السلطانية  
142- ظهيرة الثلج الحار في شقلاوة ... رجاء الزنبوري  
147- رسالة إلى المثقفين العرب ... رابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين  
152- المدى  
155- القافلة  
158- كتاب الوجدان ... عبد اللطيف السعدي
- 

#### 162- مقتطفات ومعالجات

---

• إذاعة حزينا • الاتحاد • الوطن • الموقف • بغداد  
• الحملة من أجل عراق ديمقراطي • د. أنور الفسائي

الغلاف الأول: بوستر للفنان فيصل لمبيي  
الغلاف الأخير: مأساة حلبجة، للفنان عدنان شينو - دهوك

في عيد الشيوعيين التاسع والخمسين

### أين يكمن مغزى العيد وجدواه ؟

يستعد الشيوعيون العراقيون، من مواقعهم الكفاحية المتباعدة، للاحتفال بعيد تأسيس حزبهم المجيد، مواصليين بذلك تقاليدهم الشورية، وحرصهم على تأكيد انتمائهم للقضية التي كرسوا لها عقولهم وأفئدتهم.. بل حياتهم.. ويمكن القول، دون مبالغة أو ادعاء، أنهم ومحبيهم حرصون على الارتقاء باحتفالاتهم والارتفاع إلى مستوى المخاطر والتحديات التي تواجه الحزب ودوره السياسي الراهن، ومشروعه المستقبلي التغييري.

وهم، إذ يحافظون على تقاليدهم، يدركون أن العالم من حولهم قد عصفت به تغيرات دواماتيكية، انهارت بفعلها نماذج «الاشتراكية» وسواء تم هذا الانهيار بسبب تراكم الأخطاء، في التطبيق، أو بسبب قصور النظرية وشيخوخة عناصر وجوانب منها، وعجز مدرستها الرسمية عن متابعة اغنائها وتطويرها باعتماد متهجها الجدلي العظيم، وشجرة الحياة الحضراء، فإن قضية الاشتراكية، بجوانبها النظرية والتطبيقية وأدواتها ورسالتها التيشيرية الواعدة أصبحت كلها مطروحة للنقاش والتساؤلات.

وهنا يكمن مغزى الاحتفال بذكرى تأسيس الحزب وجدواه!

والتحدي، بما يحتله من مساحة نظرية وعملية، لا يتحمل التردد أو المكابرة ويدون خوض غماره بجرأة وإقدام ثوريين افتقدناهما في منعطفات هامة فإن مصائر الحزب تصبح موضع المسألة في الحياة السياسية في بلادنا كما ينبغي البعض أنفسهم هذه الأيام.

ولكي لا تدفع الشمن غالباً، فإن علينا أن نهجر الاكتفاء بتمجيد الماضي، دون أن نتردد عن استلھام دروسه وتحجاريه التاريخية الغنية، وأن ندفع بارادة جماعية وعقول متفتحة على العلم والحياة لاستنهاض الحزب وتحويله إلى أداة أكثر قدرة وفعالية للاستجابة لتبض الحياة المعاصرة، وتحجسید أمانی الناس وتوقها لحياة عادلة، وحققها في أن تحمل بإمكانية مستقبل لا وجود فيه للاستغلال والعسف، وأن تعمل في سبيل تقرب ذلك العصر.

إن مثل هذه المهمة النبيلة يمكن أن تتيسر فقط عبر استنهاض طاقات الحزب، بل وكل القوى الديمقراطية التي يھمها تحرير عقل الانسان وارادته. إن الشيوعیین العراقيين، وهم يحتفلون بعيد حزبهم، حريصون على استيعاب دروس عمليات ما أطلق عليه «البيرستريكا» أو التجديد، أو إعادة البناء، وما اتسمت به من طابع عديمي وتقلب العامل الذاتي في حسم اتجاهها نحو مسارها التدميري وتوظيفها لصالح إعادة الاعتبار للرأسمالية وقيمتها. إلا أن هذا التقييم لابعني، كما يريد البعض أن يستنتج، نكرص الشيوعیین عن قناعاتهم بالطابع الموضوعي لعمليات التغيير كضرورة لتأكيد أفضليات الاشتراكية، كمظومة مبادئ، وقيم انسانية، وكمسار تاريخي لخلاص الانسان من حالات اغترابه.

وهم، إذ يفتحون ملفات الحزب، ويتصدون لمختلف القضايا الفكرية والعملية التي تتعلق بنشاطاته الراحنة منها والتاريخية، بهدف استنهاضه وتأكيد دوره في التضال الحالي من أجل البديل الديمقراطي، ومهامه التبشيرية ذات الطابع التغييري الجلري، فإنما ينطلقون من قناعة عميقة بأن الحزب لم يكن، منذ تأسيسه وفي مختلف مراحل تطوره، حالة سياسية طارئة، أو تعبيراً عن نزعة ارادية لنخبة من المغامرين الباحثين عن الجاه والسلطة، لأن الشيوعية والحزب لم يكونا يوماً ما في عراقنا إلا درب المحن والتضحيات والآلام الجسيمة، بل كان الحزب ولا يزال ظاهرة سياسية ومؤسسة وطنية مشهوداً لها، رغم كل أخطائها بحق نفسها قبل الآخرين، بالمسؤولية إزاء المصالح العليا للشعب والوطن، والاستعداد الدائم للتضحية في سبيل الذود عنها.

ورغم كل الخراب الذي حل بالعالم، بعد انهيار نماذج الأنظمة «الاشتراكية» وسعي الرأسمالية ومركزها المقرر لقرض سيادتها المطلقة على مصائر كوكبنا، فإن قيم السروق الرأسمالية الفعالة ویدائلتها لم تقدم حتى في البلدان الأكثر تطوراً ونمواً، من حيث الحريات والنموذج السائد فيها، إلا المزيد من المعاناة والحرمان والافتقار لقطاعات تعددها ملايين متزايدة من البشر!!

ومع تصاعد وانبعات المد الأصولي السلفي والظلامية الفكرية، بعد الحملة الصليبية التي أعقبت انهيار العالم «الاشتراكي القديم»، فإن ترسانة النظرية الرأسمالية العالمية، لم تستطع أن «تبدع» أو تفند متجزات العلم الاشتراكي والمنهج المادي الجدلي، إلا باستنتاجها التافه حول «نهاية التاريخ»!! عند تخوم الرأسمالية.

إن ضرورة استحمرار الحزب، كمؤسسة وطنية عراقية، متجددة على أرضية النظرية العامة،

وهويته الطبقة، وطابعه الأثمي، ومضامينه العلمانية، لاثقلها دواعي التراث والأمجاد التاريخية...، وإنما حركة مجتمعتنا، والتناقضات التي تنخر في بنيانه، والحراب المادي والروحي الذي حل في البلاد وآثارها المدمرة على حياة ومصائر الغالبية الساحقة من أبناء شعبنا، والتي تضيق الخناق دوماً رحمة على العمال والفلاحين وشغيلة اليد والفكر، وتدفعها إلى حافة المجاعة واليأس.

ويؤكد هذه الضرورة ويكرسها، انبعاث الظواهر الرجعية بشتى أشكالها وعناصرها: التعصب السلفي والطائفي، وانفلات التعصب القومي والشوقينية السوداء، ونزعات التفتيت المدني والعشائري والعائلي، وتغلغل مفاهيمها وقيمها في مسامات المجتمع، في ظروف تراجع الحركة الديمقراطية.. والحزب الشيوعي وتهميش دورهما.

لقد آن الأوان للخلاص من الصدمة التي خلّفتها الانهيار الكبير في عصرنا... المتمثل في تراجع الاشتراكية المؤقت تاريخياً، بسقوط نماذج الأنظمة الاشتراكية... والانتقال إلى مرحلة استيعاب نتائجها والبحث العميق في مكوناتها للخروج بصياغة نظرية وبرنامج سياسي وما يتلاءم معها من أطر تنظيمية وشعارات وأساليب عمل للمشروع بتحقيق نهوض الحزب.

**افتتاحية (طريق الشعب) بالمناسبة**



## طريقي إلى الشيوعية ونظرتي إلى الحاضر والمستقبل

عزيز محمد

تعد الزميلة (صوت الوطن) مجلة حزب الشعب الفلسطيني، ملفاً يبرز فيه قادة الأحزاب الشيوعية طريقهم إلى الشيوعية والحزب ونظرتهم إلى واقع الحركة ورويتهم لمستقبل الاشتراكية وفيما يلي اجابة الرقيق عزيز محمد السكرتير العام للجنة المركزية لحزبنا:

كنت يا قناعاً، وحتى خالي الذهن من السياسة. ولم أكن أفهم من معانيها إلا ما كنت أتلقيها من الآخرين، وكنت ريفي الطبع ومنطوياً على نفسي عندما فوجئت بفكرة الانضمام إلى حزب «هيو» (الأمل)، القومي الكردي، وكان ذلك بين عامي ١٩٤٠ - ١٩٤١ أي عندما كنت في السابعة عشر من عمري. لم يمر طويل وقت حتى بدأت ألمانيا الحرب ضد الاتحاد السوفيتي. لم تكن بدايتها مثيرة ولكن ما أن رُدت جحافل القوات الألمانية على أبواب موسكو، وبخاصة بعد معركة ستالينغراد وبعد أن باحت بالخطر كل التوقعات التي كانت تحدد أسابيع، أو على أكثر تقدير شهوراً معدودة للاحاق الهزيمة بالاتحاد السوفيتي، حتى بدأت الأنظار تتوجه إلى هذا البلد المعجزة، وبعد أن تحددت وتقررت نتائج الحرب (وماتبقى من أيامها لم يكن سوى قضية وقت) هبت على العالم رياح منعشة، وموجة من الديمقراطية شملت العالم، وبخاصة منطقتنا التي ابتليت بالاستعمار وأعوان الاستعمار. إلى جانب ذلك فإن البطولات، التي اجتريها الجيش الأحمر والشعب السوفياتي، أصبحت ملهماً وقدوة ومثالاً للشباب المتطلع، والمتخذ حماساً. وأصبحنا نذكر اسم الاتحاد السوفياتي باعتزاز بالغ وبفخر بعد أن لم نكن نعرف إلا اسم روسيا.

وأثر كل هذا تأثيراً سحرياً على أوساط واسعة من شببيه (هيو) ودفع بالكثيرين منهم نحو التنظيمات أو التنظيم الماركسي. وكنت أنا من بينهم. دخلت الحزب أواسط شواء ٤٥ - ٤٦ ولكن بعد أن مررت بتشكيلات ماركسية أخرى مثل جمعية الشعب ووحدة التضال وحزب «شورش» (الثورة).

لم أتجاوز في تعليمي الدراسة الابتدائية، لهذا لم أدخل الحزب الشيوعي، أو لم ارتبط بالحركة الشيوعية من بابها الفكري الفلسفي، بل ولجتها من خلال الانهيار بقوة المثل التي قدمتها الاشتراكية ممثلة في بلد الاشتراكية الأول والانتصارات المذهلة التي أحرزها على ألمانيا الفاشية رغم كل جبروتها العسكري والصناعي، ومن خلال القناعة إن الاضطهاد الاجتماعي والقومي لا ينتهيان إلا في الاشتراكية، وإن العمال والفلاحين يتبوأون الصدارة في المجتمع الاشتراكي الذي تنطلق فيه طاقات الشعب الإبداعية في كل مجال من مجالات الحياة.

قلت لم أبلغ من التعليم شيئاً يذكر لهذا كان علي أن أتعلم، ولكن كيف؟ يختلف الأمر بالنسبة لمن كان يعرف لغة أجنبية وبخاصة الانكليزية وهم كانوا قلة، فكيف بي وأنا لم أكن أعرف حتى اللغة العربية. هنا مع الندرة الشديدة للمصادر العربية وقتئذ (٤٢ - ٤٥)، ولئن تعلمت شيئاً، فقد تعلمته من الحزب ودأخله، وخاصة فترة السنوات العشر التي قضيتها في السجن، حيث أتيت لي فرصة تعلم اللغة العربية. واستقت من الدورات التحقيقية التي كنا نلها في السجن، بالاستعانة بعدد من الرفاق المؤهلين ثقافياً، لدراسة الاقتصاد والفلسفة والتاريخ والبناء الحزبي، وذلك في الفترات التي كنا نكسب فيها بعض حقوقنا كسجناء سياسيين (باضرابات طويلة عن الطعام ومعارك قاسية مع إدارات السجن) فضلاً عن الندوات الثقافية، التي كان يسهم فيها عدد من خيرة المثقفين الشيوعيين والديمقراطيين، من أمثال الشهيد محمد حسين أبو العيس، ومحمد شرارة، وعبد الرزاق الشيخ علي ووكي خيرى وغيرهم.

أما بخصوص كيف أنظر إلى مستقبل الحركة الشيوعية في البلدان العربية، فهو أمر من غير السهل تناوله، خصوصاً الدخول في تفاصيله. ومع ذلك فمن أجل أن نلقي نظرة على الحركة ومستقبلها في بلدنا، لا بد من الاطلاع ولو بشكل عام، بما حصل لحركتنا في العالم. لماذا حصل ما حصل؟ هل العلة في النظرية أم في التطبيق أم في كليهما؟ أم لأتينا نواكب التطور ولم نتجدد، الأمر الذي يخالف النهج الماركسي الذي هو نقيض الجمود؟ عند ذلك وعلى ضوء ذلك فقط، وبعد الدراسة الدقيقة لأوضاع بلدنا، ماضيها وحاضرها، موروثاتها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية، وتبايناتها، والمرحلة التي تحتجزها في سلم التطور الحضاري، مع اتقان علم وفن السير على طريق الأخذ بالترجيحات الاشتراكية الناضجة، والتي تأخذ بعين الاعتبار، مكنناتنا وتراثنا والمحددات التي تكونت تاريخياً، عند ذلك فقط تنجلي الأمور وتتوضح الرؤية.

وأظن أن ما يجري الآن من محاولات جادة داخل الحركة الشيوعية لدراسة الأحداث المتساوية

واستخلاص الدروس الضرورية منها، وبذل الجهود لامتناع الصدمة، واحتواء الهجمة الشرسة، وتجاوز الاحباط وعقدة الشعور بالذنب والتمييز بين التجديد و(الفورياتشوفية)، على أساس أنهما شيطانا مختلفان. فلما حصل الأول لما حصل الثاني، أقول أن كل هذا الذي يجري داخل حركتنا الاشتراكية هو خطوات لا بد منها على الطريق الصائب، على طريق الصحوة والرعي بما حصل ومواصلته المسير.

هل أنا متفائل بمستقبل الاشتراكية في بلداننا؟ نعم لأرى في النهاية مستقبلاً غيره، صحيح أنه لم نعد نفكر بتحقيقها، بينائها، في القريب القادم، كما كنا نتصور بالأخص، ولكنه آت لا ريب فيه. إنها حركة التاريخ ولا مرد لحركته. ولن يمنع أو يحجب ظهور هذه الفجر كل جبروت الرأسمالية وقوى الشر الامبريالي. لقد قيل بصواب، وبإمعان، أن آلاف الأطنان من الكتب التي دجبتها أيادي سدنة الرأسمالية والتي نددت بالاشتراكية وشعرتها، والأكذابات الهائلة من الأخطاء التي ارتكبت في عملية بناء الاشتراكية. كل ذلك لا يلغي كون الاشتراكية هي بديل الرأسمالية وحتمها، في نهاية المطاف.

لقد دخلت الحزب وأنا لأملك من عدد النضال، أو من المعارف، غير الشعور بالفهم والظلم الاجتماعي والقومي، وفيض من المشاعر والعواطف تجاه الأفكار الاشتراكية، التي اعتبرتها، ولازلت، ملاذاً ورجاء، وإذا تعلمت شيئاً فقد تعلمته من الحزب وداخله. وهأنذا الآن أشعر بثقل سنوات عمري التي قاربت السبعين. هل من شيء أغنيه؟ نعم ثمة أشياء كثيرة خاصة وعامة، لو أتيحت امكانية تغييرها لغيرتها، إلا انشداي إلى الاشتراكية ومثلها. هل هو حين إلى الماضي؟ هل هو الشعور بأنني لأملك، ولن تتاح لي فرصة أن أملك غير هذا الماضي؟ يمكن أن يكون لهذا وذالك تأثير ما، سواء شعرت بذلك أو لم أشعر. لكن الأمر ليس في هذا بل في أن المجتمع الذي حلم به وناضل من أجله خيرة مفكري العالم وأنيلهم، ومنذ عهد بعيد، مجتمع العدالة والديمقراطية والاشتراكية، يلقي فيه استغلال الانسان للانسان، إن مجتمعاً كهذا لهر جدير بأن يحلم به المرء ويناضل من أجله ويضحي في سبيله.

شكلاوة - كرهستان العراق

أذار ١٩٩٣

## ملاحظات على بيان اللجنة المركزية لحزبنا

زكي خيري

لي ملاحظات على بيان اللجنة المركزية الصادر عن الاجتماع الاعتيادي الكامل في أواخر تشرين الأول/ ١٩٩٢ المنشور في العدد (٥) من طريق الشعب الصادر في أواخر تشرين الثاني/ ١٩٩٢.

وقد كرس الفصل الأخير للقضية العالمية تحت عنوان في «الوضع الدولي» وهو أهم القصول ولب البيان والمصدر الفكري الجديد لبرنامج الحزب واستراتيجيته وتكتيكه، وأخطر ما فيه الحكم الآتي:

«لقد حسنت الحياة خلال الأشهر الماضية النقاش والجدل الذي كان يدور في الأوساط السياسية وعند الجماهير والمجتمع الدولي، حول مصير الاتحاد السوفيتي ووجهة مسيرته إذ انهارت الدولة العظمى وتفتت البناء الشامخ الذي شيد على مدى سبعة عقود وتبعثر في دول ودويلات، وتشردم الحزب الشيوعي وتحديد التحول الاقتصادي الاجتماعي نحو النظام الرأسمالي (الخط بقملي/ ز.خ) وانفجرت الأزمة السياسية والاقتصادية والقومية والثقافية والأخلاقية بصورة مذهلة وتعمق الخلل في ميزان القوى لصالح الرأسمالية والامبريالية ولغير صالح الشعوب».

أخطر ما في هذا التمي: «وتحدد التحول الاقتصادي الاجتماعي نحو النظام الرأسمالي» فالسيروية التاريخية العالمية وفي كل بلد تتعلق بما إذا كان هذا الحكم متسرعاً أو باطلاً أم أمراً

منتهياً ومقروفاً منه كما جاء في البيان. وبناء على ماتقدم من أحكام يتحدث البيان عن الأفق الدولي:

«... إن انتمكاسات هذا التغيير مازالت في بدايتها وسيزداد تأثيرها في الأمم المتحدة والتجمعات الدولية والإقليمية الأخرى وسيزداد أيضاً دور العامل الخارجي في التغيرات الوطنية الداخلية وسيكون حاسماً في ظروف معينة (وهنا بيت القصيد - ز.خ) وما سيترتب على ذلك سيتعمق ويطول. فالقوى الرأسمالية المنتصرة ذات القدرات المتنوعة الهائلة سوف لن تكف بما حققته وإنما ستعمل بكل الوسائل على توسيعه ومنع الرجعة عنه ... وذلك (لا) بالاحتفاظ بالوضع القائم بين النظامين العالميين الاشتراكي والرأسمالي (بل) والانتقال إلى الوضع القائم قبل قيام النظام الاشتراكي» وهكذا دار العالم دورته فعاد كهيئته يوم خلقه الله كما قال المتصرف!

وبعد هذه الصورة الحالكة التي يرسمها البيان لمستقبل العالم يعزّي حركة الطبقة العاملة العالمية التي فقدت أعظم منجزاتها وهو النظام الاشتراكي بقوله مستدركا: «ولكن كل الذي حصل لا يمكن أن يلغي ماحقه نضال الشعوب وحركة الطبقة العاملة العالمية ومساهماتها في بناء العالم الحديث ولأسيما في القرن العشرين ولا يلغي الآمال المعقودة على الاشتراكية العلمية وبناء مجتمع العدالة الاجتماعية، والخلص من الاستغلال وسيادة القيم الانسانية الرفيعة وذلك بالاسترشاد بها.»

وبعد أن نوه البيان «بالقدرات المتنوعة الهائلة للقوى الرأسمالية المنتصرة» إنتهى إلى عجزها عن إيجاد حلول إيجابية لمشاكل العالم.. وهذا يدن البيان من أوله إلى آخره: إجراء معادلات وموازنات بين السلبيات والإيجابيات مع ترجيح كفة السلبيات على مستقبل العالم.

- ٩ -

الموضوعة الرئيسية هي مصير الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وقد أصدر البيان حكمه بانهيائها «وبتحديد التحول الاجتماعي الاقتصادي نحو النظام الرأسمالي» وإن الفترة الحاسمة لهذا التحول هي أشهر (١٩٩١ --- ١٩٩٢) وإن العامل الحاسم هو الأفراد المتنفذين في قيادة الدولة والمزب إلى جانب العوامل الموضوعية أي العلل التي وافقت الاشتراكية السوفيتية رداً طويلاً من الزمن، وهي علل مزمنة لم تزود كما يوضح البيان إلى تفويض الاشتراكية رغم جميع المحن التي اجتازها الاتحاد السوفيتي فكيف استطاع الأفراد مهما كانوا متنفذين تحقيق ذلك؟ لا بد أنها معجزة سلبية لامثيل لها في التاريخ العالمي!

والحقيقة هي أن الأزمة الاقتصادية لعبت الدور الحاسم في الأحداث الكبرى التي أطلق عليها «كارثة تاريخية» و«انهيار» إلخ.. والأزمة الاقتصادية ليست جديدة بل ترجع إلى بداية السبعينات وخلال (١٥) سنة (١٩٧٦ - ١٩٨٠) هبطت وتيرة النمو السنوية للدخل الوطني للاستهلاك والتنمية إلى (١ و ٠٪) أي لاشيء عملياً. وكانت هذه الأزمة تختلف عن أزمة الاقتصاد الرأسمالي لأنها جاءت نتيجة التلكؤ في إدخال الثورة العلمية التكنولوجية بمكس تلك. وفي ظل

## الثقافة الجديدة

الأزمة الاقتصادية السوفيتية نشأ اقتصاد الظل أي الاقتصاد غير المشروع لتلبية حاجات السكان النامية فانتشر الفساد والاحرام والسكر مع اقتصاد الظل.

وفي نيسان ١٩٨٥ انتخبت اللجنة المركزية قيادة جديدة وعلى رأسها غورباتشوف وقد أسهلها التاريخ خمس سنوات للخروج من الأزمة ورفعت القيادة الجديدة راية التجديد والإصلاح ولكنها لم تحدد الحلقة المركزية فشنت هجوماً على جميع الجبهات بما فيها جبهة الفردكا، ولكن الأزمة الاقتصادية تفاقمّت في السنوات الأخيرة (١٩٩٠ - ١٩٩٢) وهبط الانتاج الصناعي بنسبة (٣٠٪) والحيواني بنسبة (٤٠٪) وتطورت الأزمة المعيشية من أزمة لحوم إلى أزمة خبز ليكثر الشعب الروسي بالاشتراكية وهو الذي سكّب دمه أنهاراً في سبيلها. فانتخبوا المفامر البولنابارتي يلتسن الذي وعدهم بحل سريع للأزمة. وقد أعطاه البرلمان الروسي صلاحيات واسعة لاجتراح حلول للأزمة فجرب مايسميّه بيان اللجنة المركزية لحزبنا «التحول الاقتصادي الاجتماعي نحو النظام الرأسمالي» بإطلاق العنان لقوى السوق الصميا. أو مايسميّه الاقتصاديون الرأسماليون «العلاج بالصدمة» فتدهور الاقتصاد الوطني أكثر فأكثر الأمر الذي كان له أسوأ الأثر في معيشة الجماهير التي لمست لمس اليد مايعنيه «التحول نحو النظام الرأسمالي» من فاقة ويؤس وخراب اقتصادي «خلال الأشهر الماضية» بالذات التي يتحدث عنها بياننا. وفي هذا الظرف تصلب ظهر البرلمان الروسي فطرده حكومة غايدار صنيعة يلتسن ورفض «التحول نحو الرأسمالية» ومن الأمثلة على ذلك رفض البرلمان قانون تملك الأرض الذي يبيع للأفراد بيعها وشراها، وحصر حق حيازة الأرض باستثمارها فقط وبذلك حافظ على تأمين الأرض منذ أمها لينين في ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بموجب مرسوم الأرض كأول خطوة نحو الاشتراكية.

وقد عمدت الحكومة الجديدة التي اختارها البرلمان الروسي خلقاً لحكومة غايدار إلى تحديد أسعار المواد الضرورية للمعيشة: الخبز والحليب واللحم وبذلك أخضعت آلية السوق لانتضباط الدولة وهذا لايتعارض مع الاشتراكية ولايعني هذا نيل آلية السوق بالمرّة لأنها ضرورية لرقابة المستهلك على الانتاج ضمن رقابة الدولة في النظام الاشتراكي أيضاً، والصراع لايزال يحتمد ويتفاقم... وتلكم هي مؤشرات تدل على أن الشعب الروسي العظيم بدأ يستفيق من دوخة الصدمة.

وبما له مفزاه تجرية لتوانيا وهي من أصغر جمهوريات الاتحاد السوفيتي (٣.٧ مليون نسمة) وفي مقدمة الجمهوريات التي انفصلت عنه ومن أشدها حمية في التحول الرأسمالي. وبعد ثلاث سنوات من التجارب وتشجيع الرأسمالية العالمية بالكلام فاز في الانتخابات حزب العمال (الشيعي سابقاً) ببرنامج يتضمن:

١ - إعادة العلاقات الاقتصادية مع جمهوريات الاتحاد السوفيتي.

٢ - إعادة تأسيس الكونخوزات.

وتدل النقطة الأولى على أن الاتحاد السوفيتي لم يكن محض علاقة فوقية قسرية مفروضة هي

والاشتراكية على لثوانيا من روسيا بل تكامل بنيتي، وإن لأزمته بعض العلل كالمبالغة في المركزية والبيروقراطية. وإن الكرنحوزات وهي شكل من أشكال الاشتراكية الفعلية السوفيتية ملازمة أيضاً للفلاح الليتواني الذي يحظى بثقافة غربية، وليس فقط الفلاح الروسي الأقرب عهداً بالقناة والثقافة الباترياركية الآسيوية. وقد فشل في الانتخابات اللتوانية الحزب الحاكم برئاسة لاندسبرغير وهو أشد الانفصاليين سعاراً ومحمساً للتحول الرأسمالي وعلى فشله بسببين:

١ - خذلان البلدان الرأسمالية له إذ لم تقدم له المساعدة الضرورية.

٢ - إستعجاله التحول الرأسمالي وتجاهله لحنين الفلاح اللتواني (أكثرية السكان) للاشتراكية.

وهكذا لو تأخر الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية شهراً واحداً لما نظرت إلى الدنيا بهذا المنظار المعتم الذي هو بيانها موضع المناقشة.

ولقد الآن لم تجلب محاولات إعادة الرأسمالية إلا الفناء ونقصان الخدمات الاجتماعية والبطالة وغيرها من المآسي بالنسبة لأوسع جماهير الشعب. والتحول نحو الرأسمالية يصطدم بعقبات متباينة بين بلد وآخر وكان أوفر حظاً في النجاش في بولونيا وهنغاريا وتشيكيا، وهي في الأصل بلدان رأسمالية متطورة قبل أن تتحول إلى الاشتراكية. وقد غزت الراسمائل الأوربية. أما بالنسبة لروسيا وبلدان أوروبا الشرقية الأخرى فإن الرأسمال الأجنبي لم يقترب إلا من حقول النفط في كازاخستان وتركمنستان. فهو ينتظر خراب الاقتصاد الروسي تماماً حتى تعود روسيا من بلدان العالم الثالث ليستثمر مواردها الطبيعية الغزيرة والأيدي العاملة المتعطلة الرخيصة وعندئذ تصبح روسيا خاضعة للرأسمال الأجنبي... ولكن عجلة التاريخ لن تعود إلى الوراء ولذلك نجد اتفاق القوميين الروس مع الشيوعيين ضد نهج التحول الرأسمالي الذي اتبعه يلتسين ورئيس وزرائه غابري..

إن خروج روسيا من الأزمة الاقتصادية لا يتحقق عن طريق التحول الرأسمالي بل بالعكس بالمحافظة على الاشتراكية ولكن هذا لا يعني العودة إلى الماضي فالماضي لا يعود وإن الاشتراكية إزاء ولادة جديدة تخلصها من شوائبها القديمة التي عددها البيان: «غياب الديمقراطية وتفشي الأمية البيروقراطية بدلها في الحزب والنولة والمؤسسات، والتخلف العلمي والتكنولوجي واتساع الفجوة في هذا المجال بين الإتحاد السوفيتي السابق والبلدان الرأسمالية المتطورة وحرمان المراحل والقفز عليها في البرامج والتخطيط والتنفيذ وإرهاق المجتمع بكلف سباق التسليح فائق التطور والمجمود في الفكر والثقافة وإغتراب الشغيلة والجماهير وقاعدة الحزب عن ثروات المجتمع والملكية العامة وإبعادهم عن عملية البناء وإدارة وتسيير المجتمع الاشتراكي...»

وهكذا ستولد الاشتراكية من جديد وتكتسب سمات جديدة. ولا يشترط لقيام الاشتراكية تأميم ١٠٠٪ من وسائل الإنتاج بأي حال من الأحوال وقد قدر ريجكوف آخر رئيس وزراء للاتحاد السوفيتي وهو من معارضي غورباتشوف يلتسن ويعتبره الاعلام الغربي «شيوعياً محافظاً» يعني متمسك بإبادئ الشيوعية العلمية: إن ٤٠٪ من وسائل الإنتاج في الإتحاد السوفيتي كان كافياً

## الثقافة الجديدة

إبداعها لعهد الدولة والحفاظ على النظام الاشتراكي مع إحالة (٦٠٪) إلى عهدة التعاونيات والقطاع الخاص. كما يجب إستخدام آلية السوق كأداة لفرض رقابة المستهلك على المنتج على أن تبقى السوق تحت هيمنة الدولة.

وكل شيء يتوقف على تنظيم الشغيلة أي على نهوض الحزب الشيوعي من جديد وكذلك النقابات والمنظمات الجماهيرية... وتنتظر الحركة الشيوعية العالمية ولادة جديدة أيضاً. مد أن تتجدد أحزابها.

لم يذكر البيان كلمة واحدة عن إيجابيات حركة التجديد وكأنها محض سلبيات سببها أفراد «مستغلون في قيادة الحزب والدولة» يمكن أن يذكر المرء حسنة واحدة لحركة التجديد على الأقل هو أنها كسرت الجليد القديم الذي إكتنف النظام الإشتراكي والحركة الشيوعية لفترة طويلة وإن كانت قد تركت كل شيء في حالة فوضى.

كما أن الشعب الروسي يستفيق الآن من اللوثة الوقتية التي أصابته وزعزعت ثقله. وهو ليس شعباً مغلوباً على أمره بل يملك حق تقرير مصيره بنفسه ويجمع بحريات ديمقراطية لاتطير لها في العالم اليوم. وبهزة من كشفه يستطيع أن يسقط أي نير يلحم البصر وعندئذ سوف تعود موسكو منارة للاشتراكية وللديمقراطية أيضاً.

مسألة إيجابية أخرى لم يعرها البيان أي إهتمام وهي توقف سباق التسلح الذي كان يكلف شعوب الاتحاد السوفيتي خمسة أثمان الانتاج السنوي. والثورة العلمية التكنولوجية تضع الانسانية أمام أحد خيارين لاثالث لهما فيما الاشتراكية أو البربرية، وهو مايجتمع عليه خبرة العقول المفكرة في عالم اليوم وليس الشيوعيين فقط، فلا يزال عصرنا عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية على النطاق العالمي وليس عصر «التحول الاقتصادي الاجتماعي نحو النظام الرأسمالي».

\* \* \*

### ضرورة كسب القوات المسلحة وجمهرة حزب السلطة :

يشير البيان إلى أن سبب فشل إنتفاضة آذار / ١٩٩١ هو غياب القيادة السياسية الموحدة على ساحة النضال. في حين نحن نعلم أن نجاح ثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨ يعود إلى حضور هذه القيادة المؤلفة من الأحزاب السياسية الوطنية المتحالفة في جبهة الاتحاد الوطني مع حركة الضباط الأحرار في الجيش العراقي والدعم الجماهيري المباشر والفوري في قلب بغداد دولا. حامية بغداد العسكرية للشعب... في حين أن القسم الرئيسي من الجيش ولاسيما في بغداد لم يكن مع إنتفاضة آذار. لا لأن الجيش العراقي حتى بحجمه المصغر الحالي (٤٠٠٠٠٠) جندي وضابط محض أداة قمع بيد صدام حسين يستطيع تحريكها وفق أهوائه كما تظن المعارضة بل لأن القسم الرئيس من الجيش يخشى من أن تزدي محاولة إسقاط صدام حسين إلى حرب أهلية من شأنها تمزيق العراق. وكان سلوك بعض



فئات المعارضة خلال انتفاضة آذار يقضي هذه المخاوف، ولا يبددها كما يشير البيان. وتناول البيان أهمية كسب القوات المسلحة وحزب البعث بإيجاز فيقول: «في هذه الأوضاع التي تعيشها أجهزة الدولة العسكرية والمنية بما فيها الأوساط المعارضة لنهج الدكتاتورية وسياساتها داخل الحزب الحاكم، يترتب على حزبنا وقوى المعارضة جميعاً تنشيط العمل لإيجاد وتطوير الصلات بهذه الأوساط المؤثرة التي يعتمد على إنعيازها إلى صف الشعب حسم المعركة مع النظام والقوى المؤيدة له وتحسين مخاطبتها في الدعاية السياسية بما يؤمن التعرّف عن تأييدها للنظام وتحولها إلى صفوف للشعب» ترى كيف يجب تحسين مخاطبتها في الدعاية السياسية؟ جاء في البيان.. ومن المهام الجديرة بالاهتمام تطبيق قاعدة حزب البعث الحاكم وإعداد غفيرة من منتسبيه على مستقبلهم ورعاية مصالحهم! فالبيان يخاطب جيورهم وجلودهم لجانبهم إلى جانب الشعب ضد الدكتاتورية بدلاً من مخاطبة عقولهم وقلوبهم وتحميلهم مسؤولية الحفاظ على استقلال العراق ووحدة وحقوقه على التضال من أجل حريات شعبهم وعزبه والالتزام إلى المعارضة الوطنية كما فعل إخوانهم في ثورة ١٤ / تموز، لإسقاط الدكتاتورية وإنقاذ الوطن..

إن البيان يخاطبهم كما لو كانوا جميعاً أو في الأغلب الأعم من المرتزقة وليسوا وطنيين قلقين على مصير العراق. وبالطبع يوجد مجرمون سفاحون وقتلة سلايون كثيرون في صفوف حزب البعث والقوات المسلحة ولكن يجب مخاطبة الوطنيين من البعثيين وهم ليسوا قلة ولا سيما في القوات المسلحة. علينا أن ندعهم إلى التضال لإنقاذ حزبهم بالذات من دكتاتورية صدام وشركائه ولتجديد حزبهم والعمل مع المعارضة لإنقاذ الوطن.

توجد قوى عراقية داخل العراق كافية لتغيير الوضع رأساً على عقب ولدى هذه القوى الوسائل الكافية لهذا التغيير. يجب تمبئتها وتوعيتها بمسؤوليتها والإعتماد عليها وليس على خطوط العرض ٣٢ و ٣٦ أو شمالها أو جنوبها.

### المناطق الامنة: قضم للدكتاتورية أم هضم للعراق ١٩

بقرار من مجلس الأمن الخاضع للولايات المتحدة حددت المناطق الآمنة شمال الخط ٣٦ وجنوب الخط ٣٢ بضرورة حماية المواطنين من بطش صدام حسين. ولو كان القصد منها حقاً ضمان أمن الشعب العراقي من بطش الدكتاتورية لما إحتاج الأمر إلى خطوط طول أو عرض بل لأصبح العراق منذ البدء متعلقاً آمنة واحدة وإضمت هيئة الأمم إجراء انتخابات عامة حرة آمنة وإحترام ما يقرره الشعب العراقي.

وقد سطر البيان السلبيات والإيجابيات لهذه القرارات مع الإنعياز غير المبرر للإيجابيات وبتحرك الشعب العراقي بعزبه وأكراده وعينه تراقب ماسوف يأتي من الخارج.. فيقول: «ومن المتوقع أن تتحول (المنطقة جنوب الخط ٣٢) إلى ملاذ آمن على غرار ماتم في كردستان، وذلك بتحرير استخدام القوات البرية والديابات والمدفعية في مجابهة نضالات قوى المعارضة وجماهير الشعب.

وتجدر الإشارة إلى خطورة هذه الخطوة على النظام إذا أضفنا إليها المنطقة الأمنية الأخرى في كردستان العراق.. « وبعد هذا الاطراء يستدرك البيان قائلاً: «إن حزينا إذ يبدي تفهمه لإقامة المنطقة يدرك جيداً ماتمنيه من مخاطر جسيمة تمس سيادة العراق، وتهديد لوحدة ترابه الوطني وصيانة كيانه السياسي الموحد، وحظر على ثرواته البترولية الغزيرة في هذا الجزء من وطننا. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تقترح في المجال للتدخل الخارجي...»

وهكذا يعبر البيان عن اتجاهين متضاربين سعى عيشاً للتوفيق بينهما فالأول: يرحب بالحماية الأميركية للمنطقة باسم «ملاذ آمن» والاتجاه الآخر: يقضح دوافع هذا الإجراء الحقيقية التي تستهدف سيادة العراق ووحدته وثرواته البترولية، ومحاولة التوفيق هذه بين الاتجاهين المتضاربين محاولة يائسة. والغريب أن تقف اللجنة المركزية هذا الموقف من هذه القضية الخطيرة التي يتوقف على مآلها كيان العراق كدولة واحدة ذات سيادة وتحويلها إلى دويلات طوائف ويؤمن للامبريالية منطقة بترولية غزيرة كانت الهدف المركزي «لمعاصرة الصحراء» ومنذ بداية حرب الخليج كان التلفزيون الأمريكي يقدم خارطة العراق بثلاثة ألوان: كردي، سني، شيعي.

لقد إتبع البيان أسلوباً اختيارياً: من جهة «ملاذ آمن» ومن جهة أخرى خطر يهدد وحدة العراق وسيادته وثرواته.. وهذه انتقائية في السياسة مرفوضة لأنها تضع الهدف المركزي الذي يجب تركيز القوى نحوه وهو النضال من أجل الحفاظ على استقلال العراق ووحدته وتحقيق الديمقراطية.. ولم تستهدف الحماية الامبريالية لجنوب الخط ٣٢ سوى ضرب إستقلال العراق ووحدته ونهب ثرواته النفطية الغزيرة في هذه المنطقة. وبعد ثلاثة أشهر تبين أن أمريكا أرادت تأمين المنطقة لطاثيراتها التي قصفتها من دون سبب سوى اضعاف الدفاع العراقي.

إن الأساس الفكري لهذا التردد في أخطر قضية يجابهها العراق هو الأوهام التي تساور البعض بنوايا الامبريالية تجاه العراق.. الأوهام التي تعلق عليها إقامة الديمقراطية ورفع مستوى الشعب المعاشي والثقافي؛ التي لاتقل خطورة عن أوهام غورباتشوف ويلتسن بإستدعاء الرأسمالية العالمية لإنتقاذ الإقتصاد السوفيتي؛

لقد آن الأوان لنبد هذه الأوهام ومجابهة الواقع وجهاً لوجه وتحمل مسؤولية تغييره. ونحت عنوان «وضع جديد» يتوقع البيان «.. أن تنشأ ظروف تستدعي إقامة إدارة ذاتية شعبية في المنطقة (جنوب الخط ٣٢) وينبغي العمل على جعلها تستقطب كل القوى الناشطة في الساحة دون إستثناء، وتجنب الأعمال والشعارات القسرية الضيقة..» ولا يتحدث البيان عما إذا كانت تلك «الإدارة الشعبية الذاتية» سوف تعتمد على حزاب عراقية أم إيرانية أم أمريكية؟ وما إذا كانت معزلة عن الوضع في بغداد أم لا؟ أو سوف تكون طائفية أم وطنية؟ قد يمكن تبرير إنفصال كردستان على أساس حق تقرير المصير لكل شعب في إقليمه القومي ولكن على أي أساس يمكن تبرير تقسيم العراق العربي إلى دويلات طوائف؟ أو حسب خطوط العرض؟

### حول أمن كردستان:

يبالغ البيان في الوضع الأمني في كردستان ويعتبره مثالا يحتذى للمناطق العراقية الأخرى. ثم يحدد تحت عنوان «الآفاق المتطورة» فيضع احتمال «الوصول إلى اتفاق في نهاية المطاف بين الولايات المتحدة والدول المتحالفة وبين صدام حسين لاستحصال موقف محايد من الحلفاء إزاء هجوم السلطة على كردستان..» ثم يرجع البيان احتمالاً معاكساً آخر فيقول: «ولكن التطور الأكثر احتمالاً في أعقاب الإعلان عن المنطقة المحظورة على الطيران الحكومي في جنوبي العراق تنحصر إلى أن على صدام حسين أن يرحل ويتبني التهيؤ للتعامل مع من يخلقه..»

هذا ليس تحليلاً سياسياً بل محض تأويل.. فالولايات المتحدة لو كانت عازمة على إسقاط صدام حسين لواصلت قواتها زحفها برأ أن وصلت نهر الفرات عند السماوة لتصل إلى بغداد وتعتقله كما فعلت في بنما مع نوريفغا. ولكنها توقفت فلم يكن لديها بديل عن صدام حسين وخشيت أن تقع المنطقة الجنوبية الغربية بالنفط بيد إيران أو أن يكون فيها نظام تسوده الطائفة الشيعية وكلا الأمرين يقض مضاجع السعودية حليفة الولايات المتحدة الرئيسية في المنطقة. فتركت صدام حسين لتلعب به لعبة القط والفأر بأن تضعه في قفص محاط بالقط لتقض مضاجعه فيسلم لها المواقع خطرة فخطورة..

وبعد إجماع اللجنة المركزية وقبل نشر هذا البيان في جريدة الحزب المركزية حصل تطور جديد وهو إجتماع الدول الثلاثة (إيران - تركيا - سوريا) التي تحتوي على أجزاء من كردستان في أنقرة وأصدرت قراراً مشتركاً ضد قيام دولة كردية في شمال العراق..

إن الدول المتحالفة مع أمريكا بالإضافة إلى إيران لها مصالحها الإقليمية الخاصة بها، ولصلحتها بالذات تحالفت مع أمريكا ضد العراق ولكل من أمريكا وكل حليف من حلفائها بديله الخاص عن صدام حسين ولم يتفقوا على هذا البديل وعلى هذا الأمل يعيش نظام صدام حسين بقدر ما يتعلق الأمر بالمعامل الدولي. ما لم يرتكب حادثة كبرى ثالثة، ما لم يقع في فخ أمريكي آخر تكون فيه نهايته.

إن الأمن في كردستان لا يمكن أن تضمنه قوات التحالف التي تتزعمها الولايات المتحدة إلا بقدر ما ينسحب المجال لها ولحلفائها لتطمين مصالحهم. وإذا بدأ الصراع بين إيران، وتركيا والعراق حول كردستان العراق ولا يزال محصوراً في اللقائات والمؤتمرات والتصريحات فإنه لابد أن ينفجر وتكون ساحه كردستان وضعيته الشعب الكردي. وعندئذ ستقف قوات التحالف كما سبق أن وقعت أثناء غزو تركيا لكردستان العراق بعجة ضرب أكراد تركيا..

إن أمن كردستان يستوجب إستشارة الشعب الكردي لحماية أمنه بتوحيد قواه الوطنية ولاسيما الجبهة الكردستانية والتحالف مع قوى المعارضة العراقية والتركية والإيرانية وليس بالإطمئنان للأمن الحالي الهش والتعرض إلى عملية تهجير جماعي جديدة حالما يضطرب الأمن

إن الإطمنان للأمن الحالي بإعتباره مثلاً يحتذى لبقية مناطق العراق يخدر يقظة الشعب الكردي ويجعله يركز اهتمامه على المكتسبات الآتية الضرورية وغير الضرورية التي ستصبح عرضة للضياع بضياع الأمن كما يتيح للعناصر المتطرفة وضيقة الأفق للإستغفاف بالحلقاء ووحدة الصف وتجميع القوى وبجميع الدعائم الأساسية للأمن الحقيقي لكرديستان.



## قرارات

# تفضح إنتهاكات حقوق

# الإنسان في العراق

شباط ١٩٩٣

إصدار

لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان في العراق

## دروس من انتفاضة آذار ١٩٩١ المجيدة

### آزاد

---

مع اطلالة آذار ١٩٩١ صيق العالم بخروج الشعب العراقي في انفجار هائل شكل حدثاً ثورياً فريداً في تاريخ العراق من حيث طابعه الشعبي وقوته ومدا، أعاد إلى الأذهان ذكرى الحصان الجامح الذي خرج فجأة عن القياد صبيحة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وذكرى معارك الشعب المسلح بالغاله والمكوار مع أعتى امبراطورية استعمارية في ثورة العشرين المجيدة. ورغم أن نظام الاستبداد المعادي للشعب استطاع أن يخمد لهيب ذلك الانفجار بوحشية ليس لها نظير، إلا أنه مازال حتى بعد مرور ستين من القمع والتقتيل والترحيلات والمناورات، لا يستطيع الاطمئنان، ويعيش في رعب دائم من أن تشب النار في ثيابه في أية لحظة. فشعلة الانتفاضة ما برحت تضيء وتتصاعد في كردستان وفي أهوار الجنوب، وأكبر منها نار الحقد الذي يملأ الأتنة وتطلق به العيون في كل مدينة وكل ناحية في عراقنا المجريح.

والحدث العظيم خلف عيراً ودروساً مازالت مرضع المراجعة والنقاش في أذهان أبناء شعبنا الذين عاشوها وعلى شفاههم، وهي ماتني تتحدى كل أطراف المعارضة الوطنية أن تعطبها حقها من الدرس والتسجيل والتعميم وصولاً إلى نتائج ومبادئ يلتزم بها الجميع قولاً وفعلًا لكي لا تتكرر الأخطاء ولكي لا تذهب التضحيات هباءً.

### - ١ -

انسمت الانتفاضة بالعقوبة إلى حد كبير، وكانت تعبيراً صادقاً عن الغضب المكبوت طويلاً، عن قهر وذل الجنود والضباط الذين وجدوا أنفسهم مهزومين دون معركة، ومتروكين في العراء بدون حماية، بدون أوامر، وبدون أكل وشرب، عن بأس غالبية الشعب التي أخذت تعاني من ظروف معيشية مزوية، وارتفاع للأسعار، وانقطاع للماء والكهرباء وقصف متواصل من دول التحالف، والدكتاتور يواصل الاستهتار بمصيرهم ومصير الوطن، يتحدى بالمجان ثم يعلن تخليه عن كل شيء دفعة واحدة. في تلك اللحظة عادت ذكرى حرب الثمان سنوات مع الجارة إيران، ذكرى مئات ألوف الضحايا الذين ساقهم النظام للموت في سبيل الحقوق المضافة، ثم تبين أن التضحيات والدماء راحت هدراً بعد تخليه عن شط العرب وأراضي عراقية أخرى.

في تلك اللحظة أيضاً حانت تصفية الحساب مع من قتل الوطنيين من خيرة أبناء الشعب وضيعهم في السجون والمنافي البعيدة، مع من هجر مئات الألوف من أبناء الشعب دون ذنب اقترفوه، وخنق بالفازات السامة حلبة الشهيد، حانت ساعة القصاص من أجهزة حزب السلطة المتعترية ودولته الفاشية التي عاثت فساداً واستهترت بالملذسات وانتهكت الحرمات.

وعبثاً تحاول أجهزة اعلام السلطة وبرايع فيصل الياسري وسواه أن تبرهن أن انفجار الانتفاضة كان بابعا من الخارج. فتصريحات زعماء التحالف العربي التي دعت الشعب العراقي إلى تشيير نظام حكمه لم تكن تقصد الشعب حقيقة. وقد فوجئت بالطابع الشعبي للانتفاضة وبأهدافها، فوقفت ضدها منذ اللحظة الأولى وخففت الضغط على النظام وتواطأت معه للقضاء عليها، أو انهالك قراها إلى الحد الذي يمكن من فرض الشروط عليها، الأمر الذي أكدته مجريات الأحداث والتصريحات اللاحقة وتحول لغة أجهزة الاعلام في تلك الدول.

أما تدخلات بعض دول الجوار التي يأتين بالشواهد على حصولها، فإنها هي الأخرى لم تقدم مساعدة حقيقية للانتفاضة، حتى إذا كانت تقصد ذلك فعلاً، لأنها كانت تنطلق من تصريحاتها الخاصة بالأساس، وحاولت دفع الأمور باتجاه اعلان النظام الذي تريده للعراق، وبالنسبة فقد أركبت الانتفاضة، وأبعدت بعض الأوساط الشعبية أو المثقفة عن المشاركة بحماس فيها، وطرحت أهدافاً غير مناسبة أدت إلى استعناء العالم على الانتفاضة وتشويه صورتها.

### - ٢ -

قلنا إن أجهزة اعلام السلطة ماتزال تحاول عبثاً أن تبرهن أن الانتفاضة المجيدة كانت مدفوعة من الخارج. ولأن هذا التعبير يثير تداعيات واسعة فلا بد من الوقوف عنده ملياً.

من المعلوم أن «الخارج» يستضيف مئات الألوف من العراقيين الذين هجرهم النظام بشكل جماعي في أوقات مختلفة بحجة تبعيتهم إلى دولة أجنبية وهم مازالوا يحتنون إلى وطنهم العراق ويعتبرون أنفسهم جزءاً منه، وهناك أيضاً الأكراد الذين هربوا من البطش والأسلحة الكيميائية، وأبناء الأقليات القومية الذين هاجروا بسبب التمييز والارهاب. كما يوجد في الخارج آلاف النشطاء السياسيين المعارضين من ممثلي أجيال مختلفة ومشارب متباينة، اضطروا إلى مفارقة الوطن في مختلف السنوات، وقسم منهم غادر العراق قبل الانتفاضة بوقت غير طويل وكانوا قبلها يشكلون جزءاً من النظام وأجهزته، إلا أنهم فقدوا الأمل ببقائه أو اختلفوا معه وفروا بجلودهم من بطشه. وإذا كان نظام صدام لا يستطيع أن يحرم على هؤلاء مشاركة شعبهم سراً وضراً فإنه لا يستطيع، بالأحرى، أن يغطي على النضال البطولي للقرى والأحزاب الوطنية العربية والكردية، ومن مختلف التيارات الفكرية والسياسية، اسلامية وعلمانية، ومن بينها القوى الديمقراطية التي يحتل حزنها الشيوعي، بنضاله الطويل المتواصل، مكانة هامة بينها، نقول أن النظام لا يستطيع أن يغطي على نضال هذه الأحزاب المعارضة أو أن يلغئها من الحساب. وإذا كانت أية قوة وطنية أو اسلامية لا تستطيع الادعاء بأنها هيأت وفجرت انتفاضة آذار، فإن هذه الانتفاضة العفوية كانت تتوجها لجميع النضالات التي خاضها الشعب وقواه السياسية الوطنية ضد النظام الدكتاتوري بمختلف أشكالها وخصوصاً استمرار نفوذها الفكري ووجودها السياسي وعملها التنظيمي التعبري الذي، رغم ضعفه وانحساره وتذبذه، لم يتقطع يوماً من الأيام، وكذلك الكفاح البطولي المتفاني للحركة القومية الكردية التحررية وبيشمرگتها الأبطال وللأنصار الشيوعيين البراسل في كردستان، والكفاح الفكري والعمل الدعائي والاعلامي للمعارضة الوطنية في الخارج. فقد ساهم في تمضج جرائم النظام الدكتاتوري وتصعيد تضامن الرأي العام العالمي وقواه الديمقراطية ومنظّماته الانسانية مع شعبنا العراقي في محتته، والتي لم تعد حتى الحكومات، وخصوصاً منذ خريف ١٩٨٨، قادرة على تجاهلها، بغض النظر عن مدى التطابق مع مصالحها.

أما أن قيادات القوى الوطنية المعارضة وكوادوها الأساسية موجودة في الخارج فهي لم تختبر ذلك بحض ارادتها بل اضطرها إليه بالأساس انعدام أية امكانية للعمل السياسي المعارض في ظل سلطة صدام حسين الدكتاتورية وراهابها الذي قل نظيره في العالم.

### - ٣ -

قلنا إن قوى الشعب الوطنية المعارضة خاضت نضالاً بطولياً مختلف الأشكال والأساليب يستهدف في النهاية تحريض الشعب وتمبته للثورة على النظام المجرم واقامة نظام ديمقراطي دستوري بديل عنه. وبهذا المعنى فإن قوى المعارضة الوطنية لم تنفاجاً بالانتفاضة الشعبية عند حصولها. إلا أننا نستطيع القول دون أي تردد أن الانتفاضة كانت أكبر من أية قوة وطنية وأكبر من المعارضة

الوطنية بمجموعها، بسبب وجود الكثير من جوانب القصور الذاتي والتخلف عن ايقاع حركة الشعب لدى هذه المعارضة ولدى كل قوة من قواها، وستعود إلى تفصيل هذه النقطة في حديث لاحق.

أما الذي نريد قوله هنا فهو أن الانتفاضة لم تكن تنويعاً عادياً للنضالات التي سيقعتها، لم تكن تكراراً أو إضافة كمية لها، بل كانت حدثاً ثورياً هائلاً حتى بالنسبة للشعب العراقي، هذا الشعب المتحدر على مر تاريخه، شعب الروثيات والثورات.

والذي يعطيها أهمية إضافية هو مجيئها بعد ما يقارب من ربع قرن من الاحتداد وحكم الحزب الواحد والرجل المعزوم الواحد خدمت خلاله قيم المجتمع العراقي، وزرعت الدكتاتورية وعياً اجتماعياً مشوهاً من خلال الارهاب المثقلت ومحاوله افساد ووشوة فئات اجتماعية واسعة، ولقد تبجح النظام كثيراً بأنه خلق مايسميه «بالاتمان العراقي الجديد» قاصداً بذلك ماأشاعه من قيم وتقاليده الخنوع والولاء للفرء والاستسلام أمام الارهاب وقبح النزعة الفردية والعدوان واللاتسانية والارتزاق والتجسس، هذا الافساد الذي طال العلاقات حتى داخل العائلة الواحدة.

وإذا كان من المستحيل توقع أن لاتترك نتائج هذا الزرع الخبيث للدكتاتورية آثارها السلبية الواضحة على فعل ثوري بهذا المستوى من سعة المشاركة الشعبية، الأمر الذي تجلّى في بعض مظاهر القوضى والسرقات والتجاوزات التي حصلت هنا وهناك في مجرى الانتفاضة، فإن الأمر الرئيسي يبقى هو أن أوهام الدكتاتورية الغبية هذه قد انهارت خلال ساعات مع انهيار جدار الخوف في نفوس الجماهير، التي انطلقت كما ينطلق من قمقمه مارد جبار، لتخلقه وتبلور في ممارستها الثورية خلال ايام الحرية المذبوحة تلك، قيماً جديدةً تصل ماانقطع من تقاليد شعبنا الثورية، بصورة أصيلة وفريدة ستبقى رافداً لابتنضج من روافد النضال ضد الدكتاتورية.

### - ٤ -

لقد تبجح النظام طويلاً بأنه قد ربي جيلاً جديداً لثورته المزعومة قطعه عن التقاليد الثورية للشعب العراقي وعن أية خبرة نضالية، وسد قنوات التأثير عليه من قبل الحركات الثورية، واحتكر تعليمه ابتداءً من رياض الأطفال وحتى الجامعة، وغذاه بمعلومات مزيفة عن تاريخ الحركة الوطنية، ناهيك عن اشاعة الخوف والنزعة الفردية والتعلل، مما سبق الاشارة إليه.

وإذا بكلّ هذا ينقلب على النظام كما ينقلب السحر على الساحر. فالشيئية التي ترثت ونشأت في ظل الارهاب وتأقلمت معه، واعتادت على أساليب النظام وعلى تضليله وديماغوجيته، وإذا بها تستغل تلك المعرفة وذلك الاعتياد لابتداع أساليب جديدة ومتنوعة لمواجهة النظام والتهرب من تأدية التزاماته الثقيلة والنفاذ من ثغرات مؤسساته، ثم وفي اللحظة الحاسمة انتقلت إلى الفعل، وأثبتت بالممارسة أنها وريث شرعي لشعب العراق وتقاليد الثورية الخالدة، الأمر الذي اعترف به اعلام النظام وجاء على لسان ابن الدكتاتور عدي أكثر من مرة. إن غالبية المشاركين في الانتفاضة



كانوا من الشباب دون الخامسة والعشرين من العمر وكأننا بهم قررنا تقصير عمر النظام لتنفيذ شعاره التضليلي: نكسب الشباب لنكسب المستقبل.

إلا أننا ستجانب الصواب إذا زعمنا أن تلك الظروف الشاذة وذلك التشويه الذي عاشه جيل الشباب في ظلّه لم تترك بصماتها على ممارستهم الثورية خلال الانتفاضة. فالعقوبة والاعتقال إلى أبسط خبرة تنظيمية، والموقف السلبي لأوساط واسعة من التنظيم، أي تنظيم، والنزعة العدوانية التي خلقتها حروب النظام وأرهابه ووجدت متنفساً لها هنا وهناك في محجري الانتفاضة، كل ذلك وسواء من المظاهر السلبية كان واضحاً وملحوظاً.

ومع هذا فقد اجتريح الشباب آيات من البطولة وهبوا هبة رجل واحد في المدن المنتفضة حيث كان يجري التعاون مع كل إنسان معروف بنظافته السياسية ومعاداته للنظام دون السؤال عن هويته أو انتمائه. وكان عماد تلك الثقة هو المعرفة الشخصية الوثيقة، نوع من أخوية الجنود التي نشأت في ظروف المعاناة في الحنادق وقسعتها نيران الحروب. وكذلك تقاليد التعاون والتآزر بين الآلاف، أو قل عشرات الآلاف، من الهاربين من طاحونة الموت على جبهات القتال.

والحديث يدور عن المحطات والأيام الأولى للانتفاضة التي سادها ذلك التعاون الجميل وتلك الوحدة الشاملة إلى أن جاءت لدعم الانتفاضة قوى ركبت موجتها وحاولت جني مكاسب ضيقة منها، من خلال التركيز على شعارات طائفية أو فئوية ضارة. وقد تأتي ثقل تأثيرها من دخولها باندفاع من يقتحم باباً مفتوحاً، مستغلة انهيار مقاومة أجهزة النظام التسمية أمام ضربات الشوارع في المدن المنتفضة، ومحاولة فرض الوصاية على الجماهير التي أنجزت المهمة الرئيسية. ومنذ تلك اللحظة أخذت العدوى المرضية للمصراعات الحزبية الضيقة بالانتشار إلى كل مسجد وشارع، وحلّت الريبة والتوجس محلّ الثقة والتعاون والوصاية المفروضة من الخارج محلّ أخوية الجنود ومحلّ قيادات الشوارع من رموز الأقدام والتضحية والابتهال الشعبي، التي استحوذت مكانتها باسترخاض الأرواح.

### - ٥ -

ومن أكبر الأوهام التي بدتها الانتفاضة الباسلة وهم أن نظام صدام الدكتاتوري يستحيل القضاء عليه أو زعزعة أركانه وأن كل محاولة للثورة عليه سيكون مصيرها الفشل الأكبر بسبب الولاء المطلق من قبل «الجيش العراقي» المزعوم والذي طالما تبجح به النظام، والطابع الشمولي البوليسي للدكتاتورية التي لاتعرف الرحمة والتي اعتمدت الارهاب المتفلسف والتصفيات الجسدية المستمرة لكل من يبدي أي نوع من المعارضة أو النقد لسياستها، وأقامت جهازاً قمعياً متشعباً من مؤسسات أمنية ومن وأجهزة حماية خاصة تقتلك امكانيات مادية وفنية هائلة على حساب ثروة الشعب ومقدراته، ثمّة أذرعها مثل أخطبوط عملاق في كل زاوية داخل الوطن وخارجه لتحصي على

## الثقافة الجديدة

المواطنين أنفسهم وتضمن ولائهم للدكتاتور ومبايعتهم له أو تسليمهم بقاءه كقدر محتوم. تدعمها في كل ذلك امتداداتها المسماة شعبية والتي تقفها منظمات الحزب الحاكم وتوابعها من منظمات جماهيرية مهنية واجتماعية مزيفة ومنظمات تحرير عربية وأجنبية مزعومة تضم مرتزقة يحطون بالامتيازات على حساب شعب العراق في مقابل خدماتهم لحماية النظام الدكتاتوري عندما يحين الحاجة محتجرين ذلك مهمتهم الأولى. وقد هضم الشعب جيداً خلال سنوات حكم البعث العقلي السوداء حقيقة أن هذه الأجهزة جميعاً، السريّة فيها والعلمني، لا تشرف عليها وزارة أو دولة، بل هي توظف الدولة كلها لتنفيذ مآربها الشريرة، ولا يخضع أربابها لحدود من تشريع أو قانون، ولا تقيم وزناً لتقليد أو عرف ولا تحترم قلمية دين أو عائلة وهي تتبدع للانتقام من معارضيهما أكثر الأساليب والوسائل وحشية ويربرر انتقاماً يصل تأثيره إلى سابع جوارح رابع درجة من القرابة.

إلا أن كل هذا الجبروت انهار خلال ساعات قاتلة أمام غضبة الشعب في المدن المتفضة. وكان جنده جيش الطاغية العقائدي هم الذين أطلقوا القذيفة الأولى في الانتفاضة على صورته الكريهة معلنين انتقالهم إلى جيش الشعب ومؤذنين بحصول انتقام في الجيش لم يسبق له مثيل في عهد الدكتاتورية الراحنة تجلّى في انضمام عشرات الآلاف من الجنود والضباط إلى الانتفاضة بشكل منفرد أو كوحدات كذلك والاستسلام دون أدنى مقاومة من قبل وحدات عسكرية كبيرة في كردستان وفي الجنوب. ولم تكن هناك قيادة ثورية تتعامل مع هذا الجيش بصورة صحيحة وتعيّنه للزحف على أوكار الطاغية في بغداد دون تلكؤ ودون إعطائه فرصة لالتقاط الأنفاس وهو موضوع سنعود للحديث عنه مرة أخرى.

أما عناصر أمن ومخابرات النظام وجلاوزة حزبه العقلي الكريه فقد فر من استطاع الفرّات منهم كالجرذان المذعورة وغسل من ألقى القبض عليه منهم بدموعه أحذية المتفضين من كان يسومهم اللد والهوان، واستمات بعضهم في مقاومة يائسة لادفاعاً عن الطاغية المجرم ولكن لأنهم يعرفون أفضل من غيرهم حجم الجرائم التي اقترفوها والمقابر الجماعية التي تقوم عليها أبنيتهم والمصير الأسود الذي ينتظرهم على يد شعب يحقدون عليه بقدر ما يخافونه.

وكان أول شيء يفعله الطاغية بعد قمع الانتفاضة هو إعادة ترتيب أجهزته التجميعية التي بانّت هشاشتها للعيان فحلّ فرقاً من الجيش بكاملها وأحال إلى التقاعد آلاف الضباط وضباط الصف، وبدأ حملة تطهير في جهاز المخابرات والأمن والشرطة، وفتح باب الاستقالة من الحزب الحاكم فانهاالت طلبات ألوف الناس الذين يريدون الخلاص من عار هذا الحزب والعودة إلى صفوف شعبهم، مما اضطره إلى منح الاستقالة مرة أخرى وأخذ يبحث عن مؤسسات بديلة لحمايته مثل مؤسسة العشرات المنقرضة وما إليها لكنه مهما فعل ومهما حاول فلن يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل الانتفاضة، ولن يتنجح في إعادة بناء جدار الخوف الذي انهار.

أدبعت المقالة أوائل آذار على حلقات من اذاعة حينا.

## العرب وتحديات الزمن الجديد

### لطفي حاتم

حينما تقاتل حركة شعبية من أجل مستقبل زاهر لبلادها تضطر بين آونة وأخرى الى مراجعة حصاد سنين نضالها السابقة التي توفر لها على الدوام مادة ملموسة تستطيع على ضوئها تجديد مسارها اللاحق. فان الثقافة سريعة لسنين الماضي المتخمة بالصراعات الكبيرة والصغيرة تقودنا الى معاينة المسالك التي طرقتها الحركات الشعبية العربية وما آلت اليه (الدولة الوطنية)"، التي تعد وليدة نضالها وما انتهت اليه من دروب وعرة تكاد تعصف بكل ما تبقى من منجزات حقبة الازدهار الماضية.

وتستمد هذه المراجعة اهميتها في ظرفنا الراهن من اشتداد نبرة الفرح الموهوم عند اولئك الحالمين بارساء تاريخنا على وحدانية الغزو والارهاب، وتلعيه الحدود، وارتهاق الثروات، ووصاية الغرباء، متخططين بذلك مخافة الله وغضب الساططين.

### قفزة للوراء

منذ الوهلة الاولى علينا التأكيد على ان نجاحات وهزائم الحركات الشعبية العربية على صعيد انجاز الاستقلال السياسي وبناء دول وطنية قوية مستقلة ارتبطت بالثنائية التي حكمت عالمنا (القديم) حيث لم تكن تلك الانتصارات والتراجعات بمعزل عن الدعم الكبير الذي قدمته بلدان «الاشتراكية المغدورة». ويسبب هذا الدعم المتعدد الاشكال قطعت الدولة الوطنية اشواطاً كبيرة في نموها وتطورها، الذي تحددت ملامحه على اساس تدخلها بالحياة الاقتصادية وبناء قطاع دولة متطور، ومؤسسة عسكرية تدافع عن السيادة الوطنية والقضايا القومية. إلا ان هذه الانجازات مهما تبدت اهميتها في ذلك الحين، فقد تعثرت على عتبات الديمقراطية السياسية التي شكل غيابها الوعاء الحاضن لنمو بذور الارتدادات الكبرى والهزائم اللاحقة. وبالوقت الذي تتحدد فيه مسؤولية الفئات الاجتماعية الماسكة بسلطة الدولة وارتدادها نحو اليمين فان ذلك لا يعفي الحركات

الشعبية، الديمقراطية منها والقومية، من المسؤولية عن ذلك الارتداد. إذا تعرضنا الى التكتيكات النضالية المعتمدة في ذلك الحين فانها تصدمننا بقواسمها المشتركة حيث انها تمثلت في تغليب الانجازات الخارجية لسياسة الدولة على الهموم الوطنية الداخلية. ففي الوقت الذي ارتكز تكتيك بعض القوى اليسارية على موضوعة التضامن الاممي، والذي تجسد في منح التأييد لسلطة الدولة الوطنية انطلاقاً من مدى سعة وتطور علاقاتها مع دول «الاشتراكية المغدورة» والسعي إلى حث سلطة الدولة على استيراد ادوات النموذج الاشتراكي من قطاع دولة، الى أهمية التحولات الاجتماعية بظل دولة مركزية قوية، مهمة موضوعة الديمقراطية السياسية على الرغم من الازهاب المتواصل الذي تعرضت له. وقد ساعد هذا الاهمال على ان تستغل قيادة الدولة الوطنية هذه الثغرة المميتة لترسخ نظام لا ديمقراطي مُقلدة بذلك بناء الدولة في النموذج الاشتراكي الذي اعتمد على وحدانية الحزب الحاكم وغياب الديمقراطية وازهاب الدولة ضد الخصوم السياسيين.

ولم تسلم القوى القومية من هذا النقص الخطير فعلى اساس بنائها الفكري والذي تعلق فيه الاستراتيجية القومية على المهام الوطنية الاخرى شجعت بدورها على بناء دولة مركزية قوية تغيب فيها الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان وتفرغ فيها طيول الحرب ضد العدو الخارجي. وبهذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان الحماس القومي الذي ميز نشاط بعض القوى القومية دفعها في احيان كثيرة الى الاندماج في اجهزة الدولة المختلفة افقدتها القدرة على تأشير الحدود بين نشاطها كحركة شعبية وبين وظائفها الجديدة المكتسبة. وبالمحصلة فقد شكل ضعف النضال من اجل الديمقراطية السياسية وما رافق ذلك من تطورات اقتصادية واجتماعية الى ان يتعرض الجميع، دولاً وطنية وحركات شعبية، الى هزائم وكوارث كبرى ليس على الصعيد الوطني فحسب بل على الصعيد القومي ايضاً. ولتدقيق هذه النتيجة نضطر للالتفات ولو قليلاً الى ما ادت اليه موضوعة بناء دولة وطنية مركزية قوية تتمتع بسيطرة كبيرة على اقتصادها من خلال بناء وتطوير القطاع العام الذي ساهم ليس في انعاش الحياة الاقتصادية للشغيلة فحسب بل ادى الى ولادة مبكرة مشوهة لشرائح اجتماعية متنوعة، استفادت من غياب الرقابة الشعبية لتمارس النهب المتواصل للثروة الوطنية. وبسبب النزاعات والتهديدات الخارجية اندفعت الى بناء ترسانة عسكرية كبيرة واجهزة امنية متطورة مترامنة مع نشوء وتطور جهاز بيروقراطي استمد تضخمه من تداخل الوظيفة الحزبية والحكومية خاصة في البلدان ذات الاحزاب الوحدانية الحاكمة والتي تدرج غياب الحس الوطني والقومي عند بعضها الى حد ارتهان الانجازات الوطنية ومصير البلد وتطوره اللاحق بقرارات فردية لهذا القائد أو ذاك.

وعلى الصعيد الخارجي فقد تطورت علاقات الدولة الوطنية مع العالم الرأسمالي بشكل كبير بسبب تشعب علاقاتها مع السوق الرأسمالية الامر الذي ساعد على تقوية البنية الطبقية للبرجوازية البيروقراطية وقوى من جرأتها السياسية للعمل على تشديد وتيرة الارهاب وتغيير النهج السياسي والاقتصادي بما يتلاءم ومصالحها الجديدة التي تسرت عليها بشعارات وطنية وقومية لفترة من الزمن، ويمكن وصف البرجوازية البيروقراطية التي افرزتها هذه الحقبة ببرجوازية «البخشيش» والتي تستمد ثراءها ليس من خلال سرقة قسم من الثروة الوطنية فحسب بل ومن عرض خدماتها على زبائنها الداخليين والخارجيين. وفي تطور لاحق ومن خلال عمليات الشد والطرذ برز تشكيل قيادي جديد لقيادة الدولة الوطنية ذو سمات مختلفة عن السلف السابق، نتيجة لتزاوج البرجوازية البيروقراطية والطفيلية مع شبكة الكادر القيادي للمؤسسة العسكرية وتكوين طغمة حاكمة تستمد قوتها من المؤسسات القمعية التي بحوزتها. وقد سارع من عملية هذا الانهيار التغيرات المتسارعة التي حدثت في بنية الجيش بعد استبعاد العناصر الوطنية المخلصة منه وربط طاقمه القيادي الجديد بمهمات الجيوش الاميركية والغربية من ناحية التدريب والايفاء والمناورات المشتركة، ناهيك عن التصنيع المشترك الذي وفر لشبكة الكادر القيادية نوعاً من الوظيفة الاقتصادية التي قادته للدفاع عن سلطة الدولة القائمة باعتبارها حقلاً خصباً لمنافعه الجديدة. وقد ارتبطت تلك الاجراءات بأهداف اميركية واضحة تلتخص في تعديل الوظيفة الاساسية لبعض الجيوش العربية خاصة تلك التي لعبت دوراً وطنياً وقومياً مشهوداً من خلال ابعادها عن اهدافها النبيلة تمهيداً الى تسريب جزء من الوظيفة القمعية اليها من الدولة الامبريالية على النطاق الاقليمي.

لقد دلت الانصهار الحاصل بين الشرائح البيروقراطية والطفيلية وبين شبكة الكادر العسكري في الدولة الوطنية على مرحلة جديدة تتسم ببروز قوة طبقية فاعلة تعمل على حماية مصالحها الجديدة اضافة لحماية المصالح (الحيوية) للغرب الامبريالي على النطاق الاقليمي بعد ان فككت هذه الشرائح ارتباطها مع همومها الوطنية وتوجهاتها القومية السابقة. لقد سارت البرجوازية البيروقراطية العراقية على هذا الطريق إلا انها تطورت بسرعة ملحوظة بمساعدة جهاز الدولة المركزية المتمتعة بثروات بترولية هائلة، والممدومة بقوة عسكرية كبيرة جرى بناء حلقاتها القيادية بروحية التعالي والعدوان. ولذا فان البرجوازية العراقية اعتصمت منذ البدء بالخوذة العسكرية مرتدية شكلاً اربابياً ليس في علاقاتها مع الخصوم السياسيين في الداخل فحسب بل ومع خصومها في الخارج حيث حاولت بسط هيمنتها السياسية من خلال الحروب الدامية. وهذا الشذوذ للبرجوازية البيروقراطية العراقية الحاكمة المصصرة على ارتداء البذلة المرشالية يفسر كارثة الخراب والدمار الذي لحق

بالعراق واهله جراء الخطة الاميركية الرامية الى تعديل مسار هذه البرجوازية البيروقراطية المجامعة بطريقة همجية هي الاخرى.

اخيراً ان التزاوج والانصهار بين الشرائح الطبقية الحاكمة في الدولة الوطنية وظهور التشكل القيادي الجديد، عرقل الى حد بعيد بروز النزعة الانقلابية وادى الى انحصارها في الظروف الراهنة، وفي حالة القيام بعمل انقلابي ناجح فانه لا يعدو ان يكون تعديلاً بسيطاً على شروط سيطرة التكتل المتعدد الاطراف بما يتناسب وصيانة المصالح الطبقية المكتسبة.

إن استعراضنا للتغيرات الحاصلة في البنية الطبقية والوظائف السياسية الجديدة للدولة الوطنية تضطرننا الى معاينة التطورات المهمة في بعض البلدان العربية والسماة بالدول المحافظة، والتي نشأت في ظل استقرار اجتماعي - سياسي نسبي، مما وفر لها ارضية للتطور الهادئ بعيداً عن الهزات الاجتماعية الكبرى معتمدة بنفس الوقت على قاعدة اجتماعية عربية تمثل بهرمية راسخة للبنية العشائرية وكذلك الحماية الخارجية وقد استطاعت ان تطور جهاز دولة يستمد قوته وشرعيته من الهيمنة الاسرية، حيث افسح الاستقرار النسبي المجال امام انتقال اقسام من الهرم العشائري الى ارسناتراطية مالية مستقرة والسماح لاقسام اخرى في التطور الى برجوازية كمبرادورية لتشكل قاعدة اجتماعية مضمونة لها<sup>(١)</sup>.

إن هذا التشكل الهرمي ذا القاعدة العشائرية يحدد احدى السمات النوعية للبلدان المحافظة، خاصة الخليجية منها، متميزة بذلك عن التكون القيادي الذي افرزته الدولة الوطنية والذي نتج عن انصهار فئات البيروقراطية المدنية والعسكرية مع الشرائح الطفيلية الاخرى مما أضفى عليها طابع الحركية والحدائث وعدم استقرار قاعدتها الاجتماعية.

وتظهر السمة الثانية للارستقراطية الحاكمة في الدولة المحافظة في محاولاتها الرامية للمخروج من التبعية بالمعنى التقليدي للغرب الصناعي واصرارها على ان تكون شريكاً للاحتكارات الاجنبية، حتى وان ظهرت هذه الشراكة بصورة ناقصة غير متكافئة وجاءت المطالبة بالمشاركة هذه على اساس الربيع الذي تحصل عليه النخب الحاكمة من العائدات المالية الضخمة الناتجة من الاسراف المتواصل في تبذير الثروة الوطنية وكذلك اصرارها المتواصل على توظيف عائداتها المالية ورساميلها المختلفة في البنوك الرأسمالية الكبرى مما عزز من وشائج الشراكة والقرباة مع الرأسمال الاجنبي الذي بات يتقاسم وإياها نهب الثروات الوطنية<sup>(٢)</sup>. وبهذا الصدد يلاحظ جاك توبي عن حق ان «الدول الكبرى المنتجة للبترول صارت أكثر تضامناً مع العالم الرأسمالي»<sup>(٣)</sup> ومن الجدير بالذكر ان الشراكة المشار اليها لا تستهدف الجوانب المالية فقط بل تتعداها الى جوانب اقتصادية وسياسية.

وتساهم الاموال العربية الوافدة الى البلدان الرأسمالية في ادامة حركة الرساميل الاوربية والاميركية وتخفيف الازمات المالية عنها. وهذا الاستثمار العربي يشترط دفاع الغرب عن سلطة الاسر الحاكمة.



عند النظر الى مكنائز قيادة الاسر الحاكمة للسلطة نجدها تعمل بروح التكافل والتضامن. فكما تقول انترنشنل هيرالد تريبيون «فانها تعمل مثل شركة تعتمد في جبروتها على عدد هائل من حاملي الاسهم الذين هم في الواقع من الامراء والاميرات»<sup>(١)</sup>. واذا اخذنا بنظر الاعتبار التحالف العسكري الاقتصادي لدول الخليج الست نصل الى ان «نقابة الاسر الحاكمة» تشكل طغمة مالية كبيرة تتشابك مصالحها مع الغرب الامبريالي. وتكتسب هذه الشراكة العضوية مضموناً جديداً يتحدد بالبقاء المصلحة الوطنية حيث تشجيع الاجيال الجديدة تبعاً لذلك بروح الغرب وتوجهاته متجاوزة النفسية الوطنية والقومية. وبمساعدة الآلة العسكرية والاقتصادية الاميركية برز توجه جديد في نشاط الاسر المالكة ينسجم في العمل على رشوة البرجوازية الحاكمة في الدولة الوطنية ومحاولة توظيفها في الدفاع عن المصالح المشتركة للحلف الغربي الخليجي ويعكس هذا التطور جوهر المرحلة الحالية التي تتناسب واهداف الاستراتيجية الاميركية في المنطقة.

### عواقب وخيمة

التطورات المشار اليها تكتمل برؤية اخرى انطلاقاً من مفهوم هيمنة القطب الواحد على النطاق الاقليمي والتي تلقي الضوء على فهم المضمون الجديد لصرعات الحدود والادعاءات التاريخية المتبادلة، والتي كانت ذروتها حروب الخليج الدامية التي خاضتها البرجوازية البيروقراطية في العراق ضد جيرانها والتي انتهت لا الى تحطيم الاسنان الفولاذية للدكتاتورية بل والى كارثة وطنية واقليمية يصعب تصور نتائجها المستقبلية المدمرة ولذا فمن الخطأ النظر بخفة الى هذه النتائج بل وضعها في زاوية استراتيجية متكاملة.

من الملاحظ ان صراعات الحدود، ومعظمها في منطقة الخليج<sup>(٢)</sup>، تكتسب اهميتها في الظرف الراهن من خلال المساعي الاميركية الرامية الى استكمال هيمنتها العسكرية والاقتصادية والسياسية على الخليج بالاعتماد على توطيد هيمنة دولة عربية مضمونة تشكل القبضة الضاربة لها. وتبرز السعودية كقوة اقليمية كبرى مرشحة لذلك لاسباب عديدة تنصلدها العلاقة التاريخية الاستراتيجية بينها وبين اميركا<sup>(٣)</sup> حيث تواجد قوة عسكرية اميركية كبيرة على اراضي المملكة وتمتع الاخيرة بثروات واحتياطات بترولية ضخمة مضافاً

الى مواقعها الدينية في العالم الاسلامي خاصة اذا نظرنا اليها بالترباط مع «الصحة الاسلامية» وانتشار الدين السياسي ، واخيراً لا بد من الاشارة الى اهمية الاستقرار السياسي الاجتماعي<sup>(١)</sup> الذي تتمتع به المملكة السعودية حيث يشكل هذا الاستقرار دعامة للعوامل السابقة ، ويتناسب ترسيخها كقوة اقليمية مهيمنة مع سياستها الخارجية المرتكزة على ما يسمى «بنظرية المجالات المركزية» لمصالحها والتي تحدد بدول الخليج والعجيرة العربية حيث يشكل الحلف الخليجي اداة السيطرة الرئيسية للنظرية المذكورة . وتبذل السعودية بهذا الاتجاه جهوداً مكثفة لا من اجل التفوق الاقتصادي الذي تحاول تعزيزه على اساس احكام السيطرة على المناطق الغنية بالبتروال والمتنازع عليها مع اشقائها بل كذلك الهيمنة العسكرية والسياسية وذلك بالسعي لتحويل نقابة الاسر الحاكمة الى حزب واحد تتحكم السعودية في قيادته وقراراته وبذلك تسلب امراء الخليج حركتهم السياسية وحرية التصرف بثروات اماراتهم ، ووضعها تحت متطلبات الهيمنة الاميركية - السعودية .

إن تنامي نزعات الضم واللاحق لاراضي الاشقاء الغنية بالثروات يخدم المحاولات الاميركية الهادفة الى تحقيق استراتيجية العزل الاقتصادي للبلدان الخليجية عن محيطها العربي وتفاعلاته السياسية والاجتماعية وامنه ومستقبله ، وذلك يشد النخب الحاكمة وقاعدتها الاجتماعية البرجوازية الكمبرادورية الى المصالح «الحوية» للغرب بشكل لا انفكاك منه ، والسعي لتكوين مجتمعات تحمل سمات مشابهة لليونان القديمة حيث سادت ديمقراطية للسادة المالكين ، وشغيلة محلية ووافدة بلا حقوق . وتزامن تلك المساعي مع تصاعد وتائر العمل على اغراق هذه المجتمعات بأنماط وسلوك الحياة الغربية في محاولة لخلق نفسية معادية للانتماء العربي وصولاً الى تحقيق استراتيجية التطويق النهائي التي تشكل قاعدة لسلخ هذه المناطق عن انتمائها العربي . وتمثل مستويات هجرة الايدي العاملة الى دول الخليج والتي بلغت نحو ٥٤٪ من مجموع السكان العاملين والموزعة بين ٤٢٪ في السعودية و٨٩٪ في دولة الامارات و٧٨٪ في الكويت<sup>(٢)</sup> احد العوامل المهمة في تحقيق استراتيجية العزل المشار اليها ، خاصة اذا اضعفنا اليها مؤشرات السياسة الاقتصادية الجديدة للبلدان الخليجية بعد عاصفة الصحراء والتي تتضمن تقليص المساعدات المعتمدة للبلدان العربية وانخفاض نسبة الاستثمارات الخليجية في المحيط العربي ، وكذلك الاستمرار في ابعاد العمالة العربية واستبدالها بعمالة وافدة من دول جنوب شرقي آسيا .

وعليه فان تطوير التعززة وسلب استقلالية بعض الكيانات القائمة سيبقي هو التوجه المعتمد في الفترة اللاحقة ، الامر الذي يطرح بقوة خطر سلب بعض المناطق الغنية



بالبترول من بعض البلدان العربية مثل العراق تحقيقاً لاهداف استراتيجية اميركية كبرى .

إن الاستنتاج يطرح قضية السيادة الوطنية وبالترايط مع هذه الاهداف في المرحلة الراهنة، وبسبب سعة الموضوع وتداخلاته نضطر الى ابداء ملاحظات مقتضبة عساها تكون مدخلاً لدراسة لاحقة .

من المعروف ان هناك علاقة وطيدة بين السيادة الوطنية والسلطة السياسية القائمة، وتتعدد هذه العلاقة من خلال التأثير المتبادل بينهما، فالوطن وسيادته ليسا مجرد حدود دولية معترف بها، بل منظومة متكاملة من عناصر متداخلة ومتشابكة يحتل الموقع المقرر فيها الدولة القائمة وسلطانها السياسية بأجهزتها المختلفة التي يضمن القانون الدولي لها حرية ممارسة انشطتها المتنوعة على حدودها الوطنية وكذلك تنظيم علاقاتها مع المواطنين التابعين لها .

ويسبب حساسية العلاقة بين السلطة والمواطنين تبع اهمية الشكل الذي ترتديه اجهزة الدولة في تنفيذ مهامها . وبالمحصلة يمكن القول ان السيادة الوطنية ترتبط بطبيعة وشكل الحكم القائم والذي تنفرع على اساسه موضوعات اساسية منها الوضعية القانونية التي تشرعها سلطة الدولة لرعاياها ومدى التزامها واحترامها لحقوقهم المدنية والسياسية وبعبارة شاملة مدى تقيدها باحترام حقوق الانسان .

وفي زمن انهيار الانظمة الشمولية وازدياد المطالبة بالديمقراطية وحقوق الانسان تتخذ السيادة الوطنية مظهراً جديداً في مدى مشروعية السلطة القائمة ومبررات استمرارها في ادارة شؤون الوطن . ومن هذا المنطلق فقد اقرت القوانين الدولية مبدأ الانتفاض على الانظمة الدكتاتورية والارهابية، ومساعدة المعارضة في نضالها للاتاحة بهذه الانظمة وبناء اخرى على انقاضها، وقد فرزت الحقبة العاصية امثلة عديدة متناقضة<sup>(١)</sup> لكنها تصب في مجرى واحد يؤكد على ان شرعية الحكم تنأى فقط من خلال الارادة الشعبية التي توفرها الديمقراطية السياسية .

عالمنا العربي يفتقر الى سلطة سياسية تتمتع بالشرعية المطلوبة، ويشكل استمرار ذات القوى الاجتماعية بادرارة شؤون الحكم بذرائع وراثية أو شرعية انقلابية سبباً رئيسياً في خرق السيادة الوطنية وانتهاكها، ويتجلى هذا الخرق بطلب الحماية الاجنبية أو افساح المجال للتدخل في شؤونها الداخلية، وهذا الواقع الذي تعيشه منطقتنا العربية لا ترفضه العلاقات الدولية الحالية بل يتحزز بمضامين جديدة امتلأتها متطلبات الهيمنة والمصالح «الحوية» .

### وحدة الاعمال المشتركة

من الملح اعادة التفكير في السياسة المعتمدة والتكتيكات النضالية المصاحبة لها والتي لم تعد تتناسب ومرحلتنا الراهنة . ويتطلب ذلك جرأة في التفاعل مع الواقع والابتعاد عن العموميات وتكتسب اهمية الدعوة الى التجديد فعاليتها من جملة المصاعب المنتصبة امام الحركات الشعبية بتياراتها المختلفة والتي تحاصر تطورها وانتقالها الى حركة فاعلة مؤثرة . فاذا تركنا الارهاب السلطوي الممارس ضدها وما ينتج عنه من محاولات تحجيم دورها في الحياة السياسية تطالعنا اوجه اخرى قائمة تتبدى في استمرار بعض الحركات الشعبية في طرح برامج متنفخة بأهداف استراتيجية كبرى مكتفية بنشاط لا يتعدى الفعاليات الاعلامية الصاخبة مع عدم الالتفات الى الهموم اليومية للمواطنين .

وتتظافر مع هذا المنحى عوامل الانقسام والتشتت التي عمقتها غزوات الخليج الدائمة ، حيث اعاقت بدورها بناء وعي جماهيري متفاعل مع الاحداث السياسية الكبرى . وتشكل خيبة الامل لبعض المثقفين الذين ارتبطت ابحاثهم وتوجهاتهم الفكرية بما كان قائماً في بلدان «الاشتراكية المغدورة» سبباً اضافياً في تعطيل الانشطة الفكرية الموجهة الى منع الكادحين من الغوص في عدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة السياسية . ولدى دراسة هذه العوامل مجتمعة يطالعنا اليأس والاحباط للمواطن العربي مقترناً بعجز جزئي للحركات السياسية الشعبية عن تحريك الشارع الوطني، خاصة في المنعطفات السياسية الحادة .

المطالبة بتنسيق الاعمال المشتركة يتطلب التخلي عن البرامج ذات الاهداف الكبرى واستبدالها ببرامج مرحلية تستهدف اعادة تربية الجماهير وتأسيسها بروح واقعية ملموسة ، ويشكل الالتفات الى همومها ومشاكلها ومعاناتها المدخل الاساس لعملية التيسر هذه . وهذا التوجه ليس بالمستعصي الآن بل توفره طبيعة التوترات الاجتماعية المحسنة في العديد من البلدان العربية ناهيك عن الطليعة الارهابية للسلطة السياسية القائمة ، الامر الذي يتطلب جهوداً مكثفة لتطوير الوعي السياسي للجماهير بما يتناسب والتأكيد على عدم شرعية الانظمة اللاديمقراطية التي تشكل تهديداً بمذابيح جديدة لمواطنيها .

إن المطالبة بتنسيق الاعمال المشتركة بين الحركات الشعبية تفرضه ايضاً طبيعة المهمات الحالية التي تتوحد في اطارها اغلبية الفصائل العربية الناشطة والتي يمكن صياغة اهدافها في تحقيق الديمقراطية السياسية المرتكزة على نظام ديمقراطي يعيد بناء شكل الدولة بما يتناسب وموازنة مصالح القوميات في اطار الدولة الوطنية وموازنة المصالح

الطبقية للفتات الاجتماعية المختلفة بما يحقق دولة القانون والعدل الاجتماعي والتي تجد تعبيرها في عمق الروابط الانسانية والاخوية بين القوى الشعبية المختلفة .

والتشديد على الترابط بين الديمقراطية والوطنية تمليه جسامه الاخطار الناجمة عن سياسة الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة الاميركية والرامية الى تكريس الاخلال بمبدأ موازنة المصالح في العلاقات الدولية الامر الذي يتطلب التشديد على السيادة الوطنية وتعرية الاسباب الحقيقية للاختراقات المتواصلة لها والتي ترتدي اشكالاً متعددة بدءاً بالتستر على الانظمة اللاديمقراطية والارهابية وانتهاء باقامة الاحلاف العسكرية وسياسة النهب والتطويق للمناطق البترولية . ومن هذا المنظور فان الوحدة بين الديمقراطية كشكل للحكم وكعلاقة انسانية بين القوى السياسية وبين الوطنية كمسؤولية تاريخية ازاء البلد وسيادته وثرواته ومستقبل ابنائه تستلزم بذات الوقت استفاراً وتصبيحاً لمشاعر التضامن الشعبي العربي الديمقراطي الذي يشكل ضمانه للجسم المحاولات الرامية الى تفتيت الروابط الكفاحية بين شعوب اقطارنا العربية .

أخيراً لا بد من التنويه الى ان برنامج الديمقراطية الوطنية وقاعدته الاجتماعية التحالف العريض بين الحركات الشعبية لا بد له ان ينبثق في البدء على قاعدة قطرية خاصة في تلك البلدان التي تتعرض لكوارث لا تحصى (العراق مثلاً) حيث يشكل هذا التحالف اداة فعالة في الاطاحة بالانظمة اللاشريعية ومنها النظام الدكتاتوري في بلادنا ، واقامة انظمة ديمقراطية على انقاضها تمهد الطريق لبناء علاقات اخوية بين البلدان العربية على اساس الحوار المثمر والعلاقات النافعة بدلاً من لغة المذابح والمدافع .

١٩٩٢/١١/٢٠

الهوامش

- (١) استخدم مصطلح الدولة الوطنية من الناحية السياسية للتليل على سلطة الدولة التي جرى استلامها عن طريق الانقلابات العسكرية في غمرة نضال حركة التحرر الوطني العربية .
- (٢) لقد سمح آل سعود لممثلي الطبقة الوسطى بالاغتراف من منهل الثروة الوطنية وحولتهم الى شريحة من البرجوازية الكمبورايدورية ووسعت بذلك قاعدة دعمها الاجتماعي .
- (٣) تقدر الاموال الخليجية المستثمرة بشكل ايداعات مصرفية بـ ٦٧٠ مليار دولار وتشكل ٣٠٪ من مجمل الارصدة الاستثمارية لكل المجموعة الاوربية وتشكل ٩٠٪ من هذه الارصدة اموال سعودية وكويتية بالاساس . انظر عامر عبدالله لماذا كانت حرب الخليج الثانية ث . ج عدد ٢٤٣ .

وتعرض هذه الاموال في احيان كثيرة الى النهب نتيجة لارتباطها بمنظومة البنوك الرأسمالية التي يتعرض بعضها للافلاس كما حدث لانهايار بنك الاعتماد والتجارة الدولي (الاماراتي) أو ما يتعرض له الاستثمارات الكويتية في اسبانيا والبالغة ٤,٤ مليار دولار للضياع بسبب تعرض شركة توراس الاسبانية الى الافلاس حيث تعتبر الكويت المالك الرئيسي لها.

- (٤) آلان غريش - دومنيك فيدال : الخليج مفتاح لفهم حرب معلنة ، دار قرطبة للنشر ص ٨٤ .
- (٥) سرغي لوسيف يوري نيسوفسكي : الشرق الأدنى البترول والسياسة ، دار التقدم ، موسكو ص ١٨٨ .
- (٦) ان صراعات الحدود كثيرة ومعظمها يتركز في منطقة الخليج فبالاضافة الى الصراع العراقي الايراني حول شط العرب ، ونزاع كويتي عراقي توجد هناك نزاعات وخلافات اخرى ، فهناك خلاف حول احتلال ايران لجزيرة ابو موسى وطسب الكبرى والصغرى وخلاف سعودي مع اليمن حول منطقتي نجران وجيزان الواقعتين شمال اليمن ، وخلاف سعودي كويتي حول المنطقة المحايدة المليئة بالنفط والتي جرى الاتفاق عليها عام ١٩٦٥ ، وخلاف سعودي عراقي بالمنطقة الحدودية ثم اقتسامها لكنها لازالت تجري حولها سجالات ، ونزاع حدودي بين السعودية وقطر ، ونزاع بين أبو ظبي وقطر حول منطقة فور العليد ، ونزاع بين سلطنة عمان وأبو ظبي حول واحة البهيبي والتي لا تزيد مساحتها التي متر لكنها منطقة مائية تشكل اهمية لحياة البدو الرحل وفيها اكتشف النفط .
- راجع آلان غريش - دومنيك فيدال : الخليج مفتاح حرب معلنة ، دار قرطبة للنشر ، ملحق ٦ ص ٩٨ .
- (٧) اول علاقة بين السعودية واميركا ظهرت عام ١٩٣٣ عندما منح السعوديون للاميركيين امتياز استخراج النفط في الاحساء وتطور التعاون النفطي الى تعاون سياسي استراتيجي وفي عام ١٩٤٣ استخدمت اميركا قاعدة الظهران كقاعدة اساسية في حربها ضد اليابان . وفي عام ١٩٤٥ جرى لقاء قمة بين الرئيسين الاميركي روزفلت والملك عبد العزيز ليمزج لحمه محور واشنطن - الرياض .
- (٨) ان اجهزة الدولة في السعودية موزعة ايضاً على اساس القاعدة الاسرية - العشائرية فالجيش مثلاً تسيطر عليه كتلة الصديري عشيرة الملك فهد ، والحرس الوطني تحت امره كتلة الجبلوية ويقودها أخ الملك من ابيه . والملاحظ ان الدكتاتورية في العراق حاولت ان تنهج نفس السبيل في حصر المسؤوليات بين الاسرة الواحدة والعشيرة الواحدة .
- (٩) آلان غريش - دومنيك فيدال : الخليج مفتاح لفهم حرب معلنة ، دار قرطبة للنشر .
- (١٠) لقد ساعد المجتمع الدولي بالاطاحة بنظام تشاوشيسكو بعد الانتفاضة الجماهيرية ، ومن ثم الاشراف على الانتخابات في نيكاراغوا وتسلم اليمين الموالي للغرب السلطة على الرغم من التضحيات الكبيرة التي قدمها الساندانيون في نضالهم الدامي . واخيراً الاشراف الدولي على انتخابات انغولا .

## نحو إعادة النظر في ما إتفقنا عليه مما يتصل بـ. تأريخنا

**عبد السلام سيد أحمد\***

لم تعد «الزمنية» في عصرها الراهن مشروعة فكرياً وحضارياً يقابل بالرفض أو التبول عبر الجدل والمحااجة الفكرية/ الفلسفية، وإنما بات نعتاً يطلق على كل ما هو رافد وغريب على مجتمعاتنا وحضارتنا. وهكذا دفعة واحدة تم إغتيال كامل تاريخ السجال الفكري الحسبي الذي بدأه ووضع أسسه زعماء حركة إصلاح الفكر الاسلامي في القرن الماضي والثلث الأول من هذا القرن، كما تم تكريس «القطيعة المعرفية» مع كامل التراث المستعير الذي أبدعته الحضارة العربية الاسلامية في عصرنا «الذهبي». وبقيت لدينا هم التفریب والمروق والحيانة في هذا العصر الذي يصر البعض على تسميته بعصر «الصخرة».

ومن المؤسف حقاً أن يدفع شمول العصر الظلامي هذا الكثيرين من المثقفين المحسرين على «التيار العلماني» إلى التكرس عن واجب البحث المسؤول والجاد في أطروحة العلمانية باعتبار ما يحيط بها من خطر، والاكتماء بالحديث المجبول عن «الديمقراطية أولاً».

هذا المقال محاولة لاتزعم لها الريادة لالقاء بعض الحجارة في هذه البحيرة الآسنة. إنها محاولة للبحث في التساؤلات القديمة المتجددة حول معنى العلمانية والعلمنة، وإن كان ثمة مكان لهما في مجتمعاتنا «الاسلامية» أو التي يغلب على أفرادها اعتناق الاسلام.

لقد نشأت فكرة العلمانية، كما هو معروف، في أوروبا التي تبلور فيها الفكر العلماني - الليبرالي الحديث (في الفترة منذ القرن ١٦ وحتى القرن ١٩) في مقابل الفكر اللاهوتي. ومن ثم

أصبحت العلمانية والعلمنة إحدى ركائز المجتمعات الأوروبية الحديثة.

ولمصطلح العلمانية SECULARISM واشتقاقاته المختلفة مثل العلمنة - SECULARIZATION وعلماني SECULARIST عدة معاني بعضها متضارب وبعضها متقابل، وأخرى مترادفة. وللقضية بالطبع منظومة متكاملة ومتسعة أبداً من الأدب الخاص بها، ولاغرو فهي قضية شغلت ولا تزال تشغل بال علماء الاجتماع والتاريخ واختصاصيي الأديان.

لن نفرق هنا في لجة التفاسير الاصطلاحية والدلالات المتعارضة التي قد لا تفلح إلا في «تضييع» القارىء عن الغرض الأساسي لهذه المعالجة. بصفة عامة يمكن رد مصطلح علماني كما هو معروف في اللغات الأنكلو - ساكسونية إلى أصله اللاتيني «SAECULUM»، والذي يعني «هنا العصر» أو «هذا العالم». وعلى رغم تعدد التفاسير التي لحقت وتلحق بمصطلح علماني وعلمانية (كما ذاع تعريده)، فإن القاسم المشترك بين التفاسير هو دالتها على غط لحياة خارج منطق المنظور الديني وسلطانه. ومن الراجح أن النظر إلى قضية العلمانية يستند في المقام الأول على مدار الرؤية الفكرية والمنهجية للباحث وبالتالي فهي ترتدي معاني متعارضة تماماً بين نظرتي كل من عالم الاجتماع وعالم اللاهوت.

قد يكون من الضروري في هذه المجالة الإشارة إلى ضرورة التفريق بين مصطلح «العلمانية» الذي يشهر إلى الأيديولوجية التي استصحبها الفكر الليبرالي في مواجهة اللاهوت والسلط الكنيستي القروسطي، وبين «العلمنة» بوصفها العملية التاريخية الناتجة عن هذا الصراع والتي لا تزال مستمرة وتنبغي، أيضاً الإشارة إلى أن العلمنة قد تهدت بأشكال وصور مختلفة في مختلف الأصعدة والأنشطة الانسانية.

وتعتبر المضارة الأوروبية الراهنة علمانية بوجه عام، ولكن من الثابت أن المسألة اتخذت مساراً معقداً ومطولاً حتى استقرت على شكلها الراهن.

برزت في عصر النهضة الأوروبية (القرن السادس عشر وما يليه) قضية التفكير غير اللاهوتي والذي استقرت ممارسة عمله في ميدان العلوم الطبيعية أولاً، ثم الانسانية، وذلك بعد معارك ضارية ودامية مع طفيان الفكر اللاهوتي القروسطي (ليست بعيدة عن الأذهان معارك غاليليو، وكوبرنيكس حول كروية الأرض ومسارها.. إلخ). ثم حل عصر التنوير ليبدن نهضة فكرية شاملة حملت معها بالطبع أبرز الطروحات العلمانية الأساسية في ميادين الاجتماع والسياسة، بعد ذلك جاءت الثورة الصناعية لتعطي بعداً إضافياً وأكثر «علمسية» لهذه الأفكار والصيغ، وذلك بإكمالها التمسك بالبنوي للمجتمع المدني الأوروبي. فالتزمت الدول بمسائل الإدارة والأمن والدفاع وجباية الضرائب، والكنيسة بالشؤون الروحية حصراً، ومن ثم تراجعت دائرة نفوذ اللاهوت وانطلق الفكر العقلاني الطبيعي من عقالة يرتاد المجالات كافة، وتزامن ذلك كله مع إنهيار القرايبية الكنسية - الاقطاعية القديمة، لتحل مكانها جدلية العمل - الرأسمال.

من خلال هذه التطورات وبإزائها كان يدور صراع ضار على النفوذ بين دوائر الدولة والكنيسة حتى جسم لصالح الأولى. وبحلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر والأول من هذا القرن، كان قد تركز مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة، وتوطد قانوناً في المجتمعات الغربية كافة، وأن بأشكال متفارة ومختلفة طبقاً لاختلاف التطور التاريخي لهذه المجتمعات وتقاليدھا السياسية.

نخلص مما تقدم إلى أن هناك دوائر رئيسية للعلمنة:

• العلمنة فكرياً والمتمثلة في بروز الفكر العقلاني - الطبيعي.

• العلمنة سياسياً والتي استقرت في مبدأ فصل الدين عن الدولة.

• ثم العلمنة إجتماعياً والتي تقوم على إحلال منظومة متكاملة من القيم والأخلاق والعلاقات الإنسانية أو «الأنسية» مقابل الدينية.

ومن المراجع أن أوروبا الراهنة قد حققت - حتى الآن - علمنة فكرية وسياسية. أما الشق الاجتماعي فظل موضع جدل وخلاف بين علماء الاجتماع والإناسة المعاصرين. ومن دون الدخول في تفاصيل هذا السجال وموضوعاته نبادر إلى القول أننا، خاصة في ما يتعلق بالمجتمعات والحضارة الإسلامية، معنيون بالأصعدة الفكرية والسياسية أي قضايا الفكر العقلاني.

ومن المقولات الشائعة أن العلمانية نشأت في أوروبا باعتبارها ثورة ضد تسلط الكهنوت الكاثوليكي، وبما أنه ليس هناك كهنوتية في الاسلام فبالتالي لا مكان للعلمانية فيه. وبمضي هذا السياق المنطقي إلى الاحتجاج بأن في المسيحية في الأصل «جذراً» علمانياً طالما أنها تقول بإعطاء ماله لله ومالبصر لتبصر، بينما يقدم الاسلام نظاماً متكاملأ للحياة في مختلف جوانبها الروحية والمجتمعية وبالتالي فهو دين ودولة.

لقد ساد هذا المنطق لدرجة اليقين حتى أصبح له سلطانان الخاص، وهو سلطان دعمه ووطد من مكانته إزورار الكافة من المثقفين (مسلمين وحتى مستشرقين) عن المقاربة النقدية لهذه القضية. والراجع أن النظر الجدي في قضية العلمنة والحضارة الإسلامية لا يتم عبر الاحتجاج بالنصرص، وإنما بالنظر الدقيق إلى ماحدث على أرض الواقع بالفعل خلال التاريخ الإسلامي في حقبه المختلفة وأطرو السياسية، ونتاجه الفكري والحضاري.

صحيح، لم يعرف تاريخ الاسلام الطروحات العلمانية كما تطورت في أوروبا الحديثة، ولم يعرف أيضاً أنماطاً الهدائة الليبرالية السائدة حالياً، ولكن عرف التاريخ الإسلامي التيارات الفكرية/الفلسفية/العقلانية، وعرف السلطة الزمنية/الدنيوية.

الحديث النوستالجي

وباستثناء مراحل التكوين الأولى (ظهور الاسلام، حقبة الخلفاء الراشدين، وبناء الامبراطورية في صدر العصر الأموي) فإن الحضارة الإسلامية تنقسم إلى مرحلتين رئيسيتين: الأولى، العهد الزاهر، أو المرحلة «الكلاسيكية» والممتدة من القرن التاسع الميلادي وحتى الثاني عشر، والثانية

## الثقافة الجديدة

عهود الانحطاط وهي التي أعقبت ذلك التاريخ (خاصة بعد سقوط بغداد في ١٢٥٨) واستمرت حتى القرن التاسع عشر، بل يمكن القول أنها لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا مع الأسف.

شهد عهد الحضارة الزاهر رقياً ورفاهاً مادياً، كما فُرز نتاجاً غزيراً في مختلف ضروب العلم والفن (بالطبع وفق إمكانيات ذلك العصر وضمن حدوده ومرجعياته المعرفية). ولاتأني بجديد إن قلنا أن هذا العهد قد أفرز تياراً عقلياً رصيناً وجزئياً ومنفتحاً خلف آثاراً قيمة في مختلف ضروب الفكر والفلسفة. ولعل من أبرز أساطينه على سبيل المثال: أئمة المعتزلة والغزالي وابن رشد وابن سينا، ومن المتأخرين ابن خلدون، والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذه العجالة. ولولا أن هذا التيار العقلائي قد قمع باكراً أو هُشم، فلربما كان قدم مساهمات أغنى وأبعد أثراً في الحضارة الانسانية اللاحقة. وعلى رغم كثرة الحديث النوستالجي عن فضل المسلمين على أوروبا عشيّة نهضتها، إلا أنه نادراً ما يتم شرح هذا التأثير والتوقف المتأمل عنده. إن كتابات علماء المسلمين وفلاسفتهم الأجلاء التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية من أمثال ابن رشد وابن سينا وابن النفيس، بين آخرين، تشترك جميعاً في نسبتها إلى التيار العقلائي الذي جرى الحديث عنه أعلاه. وهذا التيار، كما هو معروف تعرض لحملات ضارية في عصره، بل لا يزال لا يحفل به من المسلمين إلا القلائل. أما الأكثرية فجلبهم يناصره العدا - بقفل مواصلهم من القدماء من شبهات حوله. هكذا كما يبتئنا محمد أركون، تمارس غالبية مسلمي اليوم «قطيعة معرفية» مع أفضل إشراقات تراثها العقلائي المجيد، وتعصم بتراث الفقهاء والمقلدين على رغم ظرفية اجتهادات هؤلاء.

نعم، لقد خصب نتاج هذا التيار العقلائي الاسلامي في فكر أوروبا النهضة الذي وضع أساس الفكر التنويري اللاحق. وبالتالي يمكن القول أن الفكر الأوروبي العقلائي / العلماني الحديث يتصل نسبة بالفكر العقلائي الاسلامي. بل لقد ورد بالفعل إسم ابن رشد (AVEROS باللاتينية) ضمن الآباء القروسطيين للفكر العلماني. نسوق هذا القول ليس بفرض الخروج باستنتاج متعسف يزعم أن العلمانية هي في نهاية المطاف نتاج للفكر الاسلامي، أو أن الاسلام أسبق من أوروبا إلى هذا الاكتشاف، وإنما لتقرير التواصل بين الحضارات وواحدة التراث الانساني أياً كان منبعه. هذه الحقيقة - كثيراً ما يهمل الناس إلى تجاهلها والتمترس ضمن الحدود الضيقة للقوم أو الطائفة الدينية، أو الاطار المحلي (عرقياً كان أم إقليمياً).

واستطراداً نقول أن أية نهضة اسلامية مقبلة أو متظورة لن تحدث إلا تأسيساً على نتاج الحضارة الغربية الراهنة وفكرها «العلماني» (أقول تأسيساً وليس نسخاً أو مصغراً). ومن يقل بغير ذلك فليأتنا بمشروعه الحضاري المنتسب إلى حضارة الاسلام وحدها بلاشريك.

على الصعيد السياسي نجد أن التاريخ على مر عصوره أفرز مؤسسة (الخلافة)، وهي مؤسسة على رغم مرجعيتها الدينية التي تبلورت عبر العصور كإطار للشرعية، إلا أنها من حيث الجوهر لم تكن تختلف كثيراً عن مؤسسات الحكم القائمة حينذاك في الامبراطوريات والكيانات المعاصرة، بل



إن الخلافة الإسلامية ورثت الكثير من نظم وتقاليد الحكم والادارة التي كانت سائدة لدى الفرس والرومان.

فلقد كان الصالحون من الخلفاء منذ عهد معاوية وحتى إلغاء المؤسسة على يد أتاتورك عام ١٩٢٤ هم الاستثناء وليسوا القاعدة. والثابت أن الخلفاء الذين كان يخطب لهم في المساجد ويضرب باسمهم على العملة، لم يكونوا يتحكمون برقاب الناس وأموالهم إلا بسيف السلطة القائمة على عصبية العشيرة أو اصطناع الجند، أو تغلب ذوي الشوكة من أمراء الحروب (كما كان الأمر في عهد العباسيين المتأخرة)، وبالتالي لم يكن عقد الامامة التي وضعها وفصلها فقها - ذلك العصر.

والخلاصة أن مؤسسة الخلافة التي سادت العالم الإسلامي في مختلف مراحل تاريخه كانت مؤسسة دينية (أي علمانية بالمعنى الحديث) في جوهرها أو تصرفات القائمين عليها الذين لم يتورع أكثرهم عن ظلم الرعية والغلو عليها، ولم يتردد بعضهم لحظة في اقتراح أشنع الجرائم (مثل هدم الكعبة وسفك دماء آل البيت) من أجل تدعيم سلطانهم. وعليه فإن مقولة الاسلام دين ودولة ظلت نموذجاً يتطلع إليه المسلمون، وليست تجربة واقعية ملموسة يضاهاون بها بقية الأمم، هذا ما خلا تجربة المدينة في عهد الراشدين (رضي الله عنهم)، وتلك تجربة كانت لها ظروفها التاريخية وملابساتها الخاصة والتي يصعب إن لم يكن يستحيل تكرارها.

يتصل بهذا الموضوع قضية الكهنوتية والقول بعدم وجودها في الاسلام. والراجع أن الاسلام عرف أنماطاً مختلفة من «الكهنوتية» من دون أن تأخذ الشكل التراثي الدقيق الذي ميز الكهنوتية الكاثوليكية. وحتى هذا الشكل عرفت بعض المجتمعات الاسلامية شبيهاً له في عهد الخلافة العثمانية التي تم خلالها تنظيم طائفة العلماء بصورة هرمية يتربع على قممها شيخ الاسلام في الأستانة. وبالطبع عرفت الشيعة الامامية منذ عهد بعيد النظام التراثي الهرمي لعلمائهم. وعرفت مجتمعات أخرى أشكالاً أقل شأناً من هذه، ولكن يبقى القاسم المشترك بينها كلها إنفراد العلماء بإصدار الفتاوى والأحكام ومعرفة الحلال والحرام وما بينهما، وهي معرفة كانت تعطيهم سلطاناً كبيراً على عامة الناس. وحتى في ضحى الاسلام لم يخل الأمر من فرض الخلفاء لمذاهب بعينها بالقوة.

وإن لم يعرف حاضر العالم الاسلامي سيادة الفكر اللاهوتي في مجال العلوم الطبيعية وأمثالها بسبب طغيان الفكر الأوربي، فقد سمعنا بعض «العلماء» حتى وقت قريب يشككون في حقيقة صعود الانسان إلى القمر، وغيره، من الاكتشافات العلمية الحديثة. ولكن حيث أصبحت هذه المسائل حقيقة واقعة في عصرنا الفضائي التكنولوجي هذا، لم يجد «العلماء» بداً من التسليم، ثم محاولة دفع ذلك بأننا «عرفنا هذا قبل أوروبا بأربعة عشر قرناً»!! لا يدري أحد بالطبع ما كان سيصير عليه الأمر لو أن الظروف التي شهدتها أوروبا في القرنين ١٦-١٩ وتخضعت عنها حضارتها الحالية، كانت قد نضجت هي نفسها في العالم الاسلامي. وأغلب الظن أن معركة مشابهة كانت لتدور بين مجالي تفكير متعارضين. أما الآن فإن هيمنة الحضارة الأوروبية أدت إلى أن تتخذ المعركة شكلاً آخر

وهو طبيعة الاستجابة الإسلامية للتحدي الأوربي / الغربي ، وهو سؤال ظل ماثلاً منذ القرن الماضي وحتى هذه اللحظة.

وصفوة القول أن الأفكار والمجتمعات الإسلامية عرفت تيارات مشرقة من التفكير العقلاني، كما عرفت أنماطاً من الدول الزمنية وهاتان الظاهرتان تعتبران بعض وجوه العلمنة. وإن اختلف السياق التاريخي. وإن اعتبرنا نمط التفكير العقلاني الذي أفرزه العهد الزاهر تراثاً حيويّاً خليقاً بمسلمي اليوم أن يعرفوه، فإن مؤسسة الخلافة الدنيوية أفرزت الكثير من التجاوزات والتجارب المرة. (عن الحياة) ٣/٣١

\* أستاذ جامعي سوداني يقيم في بريطانيا.

## واقع حقوق الانسان في كردستان

بتاريخ ١٠ /٢٥ المنصرم وجه مكتب سكرتارية منظمة حقوق الانسان في كردستان التقرير أدناه إلى قيادة الجبهة الكردستانية:  
تحيةة انسانية ..

طياً نسخة من التقرير الشهري لمنظمتنا حول واقع حقوق الانسان في كردستان، واجين الاطلاع عليه، وأملنا بذلك المجهود الحقيقية لوضع حد للانتهاكات الحاصلة في كردستان وتناشد منظمتنا دراسة المقترحات الواردة فيه، وإيجاد الحلول العملية والثابتة لها، خدمة للانسانية واحترام حقوق افلاسان والحفاظ على التجربة الديمقراطية في كردستان. مع تحيات منظمتنا...

هذا وكان المحامي م.ص. تاميذي قد قرأ التقرير في قاعة (ميديا) باريل نهاية عن مكتب السكرتارية وذلك ضمن الأسبوع الثقافي لوزارة الثقافة في كردستان. وعمم التقرير على الصحافة للنشر.

تعتبر منظمة حقوق الانسان في كردستان المنظمة الوحيدة من نوعها التي تعمل في الساحة الكردستانية في الوقت الحاضر. وقد أطلقت الشمعة الأولى في العاشر من ١٠ في هذه السنة بمناسبة ذكرى تأسيسها، الذكرى التي تصادف تأريخ صدور ميثاق حقوق الانسان العالمي وقد

## الثقافة الجديدة

مارست المنظمة شرعيتها عبر مؤتمر تأسيسي صدق لائحة العمل لها والمبادئ العامة وانتخب هيئة إدارية ومكتب سكرتارية ولجاناً اختصاصية. ولها فروع في المحافظات الأربع وفروع آخر في مدينة استوكهولم في السويد. وبلغ مجموع طلبات العضوية أكثر من (١٠٠٠) طلب.

إن المبادئ الأساسية للمنظمة تتكون من (٦٧) مادة، إضافة إلى المحاور الثقافية والحضاري. وهي مقسمة على المبادئ الدستورية والقانونية والاجتماعية والحريات العامة والحقوق الشخصية وحقوق المرأة ومبادئ رعاية الأطفال وغيرها. ولا يخفى على سيادتكم بأن هذه المنظمة قد تأسست من خلال لجنة تحضيرية ضمت مجموعة من الأطباء والشعراء والمعلمين والكتاب وأساتذة الجامعة والمهندسين. وقد أصدرت مجموعة من البيانات والمذكرات الرسمية تناشد منظمات حقوق الإنسان في العالم إدانة الانتهاكات والمخزقات الفاضحة في العراق. وبعد التأسيس وضعت المنظمة خطة بالمحاور التالية:

- ١ - جرد وتوثيق ضحايا عمليات الأنفال مينة الصيت.
  - ٢ - جرد وتوثيق الضحايا من البارزانيين المفقودين.
  - ٣ - جرد وتوثيق ضحايا الأسلحة الكيميائية.
  - ٤ - جرد وتوثيق ضحايا الاختفاء القسري في كردستان العراق.
  - ٥ - الدخول في مشاريع وبحوث انسانية بالاشتراك مع منظمة (ميدل أيست ووج الأمريكية) ومنظمة العفو الدولية، والمعهد الكردي في باريس.
- وقد تمخضت عن هذه الدراسات والبحوث نتائج ايجابية وأصبحت أساساً للدراسات اللاحقة ولا زالت المنظمة بفروعها مستمرة في توثيق المحاور المذكورة أعلاه.
- إن العمل في منظمنا هو عمل طوعي وحر. هدفه حماية واحترام حقوق الانسان في كردستان، وكانت المنظمة قد وضعت أمام أنظارها أن مهمة احترام حقوق الانسان في كردستان ليست طريقاً معيئاً ومفروشاً بالورد وإنما مهمة صعبة. وإن الناشطين فيها في أكثر الأحيان يصبحون عناصر غير مرغوبة من قبل الأجهزة الرسمية، يقتحمون أسوار السجون والمعتقلات ويراقبون الانتهاكات ويكشفون الأسرار التي تقبع في كواليس التحقيق، إنها ساحة المنازلات الشريفة والمباريات على الحق والواجب والانسان المقدس. فعليهم أن لايهابوا الموت في سبيل هذا الحق ولا يرتعبوا من الارهاب والارهابيين سواء كانوا أشخاصاً أو سلطات أو منظمات. وكانت الحجج والذرائع تردده لدى بعض زملائنا بأننا كشعب مغلوب على أمره خرجنا من بطش الارهاب والسلطة الدموية في بغداد، وإن جميع حقوقنا كانت منتهكة، علينا أن نفصح المجال للجهة الكردستانية وأحزابها لكي تقوي أقدامها وتنظم الإطار العام لكردستان وتضع برامجها السياسية والديمقراطية والانسانية. فعلاً فتحنا الباب أمام فرصتهم التاريخية وسكتنا عن انتهاكات كثيرة. سكتنا لسببين/ الأول، إتاحة الفرصة للجهة الكردستانية والأحزاب لكي تقوى ساعدها وتقود المجتمع كونها سلطة الأمر الواقع،

والثاني، لكي لا يستفيد العدو من قصورنا وانتهاكاتنا وتصبح مادة لأبراقه الاعلامية وذريعة له لكي يطمئن في سلطتنا، وذلك رغم وقوع انتهاكات كثيرة في كردستان في ظل تلك السلطة وكان أول ضحية في منظمته هو العضو الدكتور (محمد باجلان) الذي استشهد على أيدي ايرهابيين وخارج القضاء.

هناك ضحايا أخرى لاتعد ولا تحصى بسبب حكم الميليشيات التابعة للأحزاب، وأن الغيوم قد رحلت وانتشعت، والضباب قد اندثر وأشرقت الشمس التي كنا بانتظارها بملء أحداقنا والمتصلة بالانتخابات البرلمانية في كردستان وتأسيس البرلمان وتشكيل الحكومة وتنظيم المؤسسات والدوائر وأجهزة الشرطة و الاتاسايش (جهاز الأمن العام - ث.ج.)، وانتظمت الحياة العامة بشكل تدريجي.

سادتي، عندما كنا نصرف النظر عن الانتهاكات بحجة عدم وجود سلطة شرعية في كردستان كنا نعتبر ذلك واجباً وطنياً لظروفنا النائية والموضوعية. أما الآن فلاتوجد أية مبررات للسكوت عن هذه الانتهاكات وأن الواجب الانساني يفرض علينا أن نحقق في جميع الانتهاكات ونوثقها ونقدمها إلى الجهات المسؤولة، وفي حال عدم استجابتها للمناشدات الصادرة من المنظمة علينا أن نعلنها دون خوف وأن المنظمة قد توصلت إلى قناعة بأن السكوت عن أية خروقات في كردستان سواء ارتكبت من قبل الأجهزة الرسمية أو منتسبي الأحزاب، سوف يعقد الأمور ويضع حقوق الانسان في مهب الريح، ويساعد على تربية وضع دكتاتوري للأنظمة المشكلة حديثاً. كما أن صروتنا يجب أن يسمع في كافة المؤسسات صغيرها كبيرها، وبالنتيجة نخدم شعبنا ونوسع مدارك مؤسساتنا الأمنية والقضائية والادارية بالوعي الانساني لأن المجتمع الكردستاني يحتاج إلى الوعي الكامل بحقوق الانسان واحترامها، وعلى أثر حالات البطش - والارهاب والانتهاكات الفاضحة التي قام بها النظام العراقي ضد أبناء كردستان فقد تحركت الجهود الانسانية العالمية تحركاً لامثيل له بمنظمتها الانسانية وصحافتها الحرة ومواطنيها، وقدمت احتجاجات شديدة لحكوماتها والمجتمع الدولي ودعت لمناصرة الشعب الكردي وحماية حقوقه ووقف حملات الابادة ضده. وفعلاً استيقظت الشعوب والحكومات لتقديم العون الانساني للكردي وتقرر باسم الجهد الانساني إيجاد مظلة آمنة لأبناء كردستان وفق قرار ٦٨٨ وتحت حماية مجلس الأمن، لكي يعيش أبناء الشعب الكردي في سلام وطمأنينة، ولولا هذا الجهد الانساني الخلاق والعظيم لما تحقق مانحن فيه الآن، حماية دولية طمأنينة، سلام انتخابات برلمانية، تشكيل حكومة اقليمية، عيش الناس بحرية وسلام بعيداً عن ظلم واستبداد النظام الدكتاتوري.

إذن ما هو الواجب الذي يقع على عاتقنا نحن أبناء كردستان، حكومة وبرلماناً ومسؤولين وأحزاباً ومواطنين لكي نرد احسانهم ونضمن مواقعهم الانسانية العظيمة ونثبت للعالم أجمع بأننا شعب خير وانساني؟ نعتقد منظمته بأن خير سبيل وطريقة لاعادة احسان الجهد الانساني وتثمين مراقفهم هو احترام حقوق الانسان وحمايته في كردستان). وبهذه المناسبة فإن هناك ضمانات دستورية وقانونية

لو توفرت في كردستان لأصبح احترام حقوق الانسان أكثر يسراً، ومهمتنا أكثر سهولة ومنها: الوضع الدستوري والقانوني في كردستان: لازال المجلس الوطني الكردستاني يمارس صلاحياته وفق أحكام المادة (٦٥) من قانون الانتخابات التي تحدد الصلاحيات الدستورية للمجلس، إن الحاجة الضرورية تقضي بإعداد مشروع دستور اقليمي لكردستان، وطرحه للمناقشة الشعبية الواسعة بواسطة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وإجراء ندوات لمناقشته ومن ثم سنه، ليكون القانون الأساسي للقليم. وفي كل الأحوال يجب أن تقضي أحكامه بضمان الحريات العامة والحقوق الشخصية ومبادئ حقوق الانسان، واستقلالية القضاء والسلطات التحقيقية، ويكون الولاء المطلق في جميع التصرفات للقضاء، إضافة إلى ضمان حرية النشر والتعبير وتلقي الأخبار والمعلومات حسب ارادة الانسان ومبدأ تكافؤ الفرص في الوظائف العامة. ويهدف بالأساس إلى تطبيق مبدأ سيادة القانون وتحديد الصلاحيات ومبدأ الفصل بين السلطات، وإجراء انتخابات محلية لانتخاب مجالس المحافظات والأقضية والنواحي، وإلغاء جميع القوانين والقرارات المخالفة لمبادئ الدستور وذلك وفق مبدأ دستورية القوانين.

إن من دستور إقليمي يساعدياً شك في تعزيز سيادة القانون واحترام حقوق الانسان، ويخلق الآلية اللازمة لتحقيق العدالة والمساواة أمام القانون، ويعتبر ذلك من الثوابت الأساسية لدولة القانون وسيادته وتشريع القوانين على ضوء أحكام الدستور، في حين أن السلطة التشريعية في كردستان تمارس صلاحياتها وفق أحكام قانون الانتخاب، وقد أصدرت عدة تشريعات تخص تأسيس الوزارات والمؤسسات الرسمية وأجهزة الشرطة و(الاتاسايش) مما يخلق آلية غير صالحة لحماية حقوق الانسان في كردستان، ويعرقل مسيرتها. وعلى سبيل المثال لاالحصر فإن الفقرة الخامسة من المادة الأولى من مبادئ منظمنا تقضي بأن جميعهم الناس أحرار متساوون في الكرامة والحقوق في حين أن هناك فوارق بين تلك الحقوق تميز إلى الفكر والآراء السياسية وخاصة أن الحكومة الكردستانية قد دأبت على تحزيب الجهاز الرسمي، ومن الأعلى اعتباراً من الوزير إلى أدنى درجات السلم الوظيفي. وتتم الترشيحات للوظائف الرسمية والعامة من قبل الحزبين الرئيسيين باعتبارهما حزبي السلطة في هذه المرحلة. وإن ذلك يترك الأثر العميق على استقلالية الأجهزة الرسمية وأجهزة القضاء وخاصة السلطات التحقيقية. وأن المفاهيم الديمقراطية المتبعة من قبل جميع دول العالم الديمقراطي تقضي بأن تكون السلطات التحقيقية محايدة ومستقلة عن نهج وسياسة الدولة أو الاقليم لأنها تعمل وتمارس مهامها الوظيفية تحت إشراف القضاء أو بموجب أحكام الدستور والقانون.

إن القضاء يجب أن يكون مستقلاً لاسطغان عليه إلا القانون وأن تكون الأجهزة المكلفة بتطبيق القانون واحترام النظام العام مستقلة ومحايدة أيضاً، في حين أن المواطنين المقيمين في أجهزة (الاتاسايش) والشرطة والمكافحة هم من مرشحي الأحزاب اعتباراً من المدراء ونوابهم إلى مفروض

التحقيق ومنتسبيه، بما أن قانون الانتخابات الخاص بالمجلس الوطني الكردستاني النافذ يقرر مبدأ تداول السلطة بين الأحزاب التي تفوز بالانتخابات، فيجب التركيز على هذا المبدأ المهم، فإذا فاز حزب آخر في الانتخابات القادمة فهل يجوز لهذا الحزب أن يغير جميع الكوادر والأفراد والمحققين ويقوم بإنهاء خدماتهم الوظيفية ويعين منتسبي الحزب الفائز بولائهم؟ الجواب... كلا. لأن الحزب الذي يستلم السلطة يغير الكوادر الأساسية في الإدارة والأجهزة والوزارات فقط بغية تطبيق نهج الحزب وسياسته، أما الأجهزة الأمنية والشرطة والقضاء فيجب أن تكون مستقلة تماماً وتعارض دورها ومهامها الموكولة بموجب القانون وتحت قيادة أية حكومة مشكلة ومن قبل أي حزب فائز. وبهذا المبدأ ستكون سيادة القانون المبدأ المعمول به لتلك الدولة أو الاقليم، كما أن الأجهزة الرسمية، وخاصة الشرطة و(الاتاسايش)، لازالت تطبق قانون العقوبات المرقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ الصادر من النظام العراقي. وإن القانون المذكور يضع الآراء والمعتقدات السياسية ضمن الجرائم والأفعال المخالفة لنصوص ذلك القانون وأن أحكام المادة ٢٢ تعرف الجرائم السياسية وتضع عقوبة الاعدام على رأس العقوبات الأخرى. ورغم أن البرلمان قد أصدر قراراً يقضي بتجميد القوانين والقرارات التي تتنافى والمبادئ الديمقراطية، إلا أن نوعية التهمة والتحقيق والمساطة القانونية لازالت بنفس الاتجاه السابق للسلطة. وكان الواجب يقضي بتشريع قانون عقوبات يلزم نصوص المفاهيم الديمقراطية في كردستان، وتحديد الجرائم وأنواعها وعقوباتها، وإن كان هذا القانون موقفاً لمرحلة فيجب تحديد الصلاحيات المركزية والاقليمية للنظام الفدرالي على أن تكون أحكامه مصاغة وفق مبادئ حقوق الانسان والمعايير الأساسية لقوانين العقوبات العالمية وقواعد صيانة الحقوق الشخصية والحريات العامة.

النظام القضائي: لازال النظام القضائي ضعيفاً وإن خطوات وزارة العدل في الاقليم خطوات بطيئة في سبيل تأسيس السلطة القضائية المستقلة، وخاصة في مجال تشريع قانون السلطة القضائية وتحديد مهام مجلس العدل أو القضاء وتشكيل المحاكم بدرجاتها وخاصة تشكيلات محاكم الاستئناف ومحاكم التمييز وهيئتها الاختصاصية بغية إبراز دور القضاء في الحياة العامة وضمان حقوق المواطنين. كما أن التحقيقات الجنائية لازالت من اختصاص أجهزة الشرطة و(الاتاسايش)، رغم أن قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي يقضي بأنها من اختصاص القضاء وحكام التحقيق. وأن مهمة الشرطة و(الاتاسايش) والمكافحة هي تنفيذ قرارات قضاة التحقيق وممارسة نشاطها تحت الاشراف القضائي المباشر. ولعدم وجود مثل هذه الضمانات القانونية وضعف وزارة العدل، فإن السلطات التحقيقية وخاصة (الاتاسايش) تتجاهل قرارات قضاة التحقيق وتنتع عن تنفيذ القرارات الصادرة في القضايا التحقيقية. وقد وردت معلومات أكيدة بأن (الاتاسايش) قد امتنع عن تنفيذ قرارات عديدة تتعلق بالافراج عن الموقوفين لعدم كفاية الأدلة، أو تسليم الأموال المضبوطة (التقديرة والعينية) للموقوفين. وهي تسجل إيرادات الأجهزة دون سند قانوني).

إن تحقيق العدالة في كردستان يتطلب جهداً مشتركاً من وزارة العدل وخاصة تعزيز دور القضاء. وسيادة القانون من المهام الضرورية والملحة في سبيل ضمان حقوق المواطنين وتطبيق واحترام حقوق الانسان في كردستان. كما أن وزارة العدل قد أعدت مشروعاً للسلطة القضائية يحتوي على نص قانوني يقضي باستبعاد أعمال السيادة من اختصاص القضاء بشكل مطلق، في حين أن النص المذكور مخالف لمبادئ حقوق الانسان ومعايير العدالة. فترى منظمتنا بأن يحدد القانون أعمال السيادة أو جواز مراجعة المتضررين من أعمال السيادة للقضاء عن الأضرار التي لحقت بهم أو بأموالهم. والمطالبة بالتعويض نتيجة ممارسة الدولة لأعمال السيادة. إن أنواع المحاكم هي نفس المحاكم المقترحة مثل (البداة والشرعية والجنح والجنائيات) وكان من الواجب درج محاكم قضائية خاصة بالأراضي الزراعية تختص في المنازعات الزراعية بين الفلاحين وأصحاب الأراضي إضافة إلى درج المحاكم الادارية الخاصة بحلها أو وقف نشاطها. إن المنظمة تعتقد بأن الولاة المطلق يجب أن يكون للقضاء، إضافة إلى إستقلالية وحيدة وهذا المبدأ يخلق أرضية صلبة لحماية حقوق الانسان. ثم إن هناك عشرات بل مئات القضايا المحسومة من قبل المحاكم المدنية والشرعية والجنح والجنائيات تتعلق بالحقوق الشخصية وحقوق المواطنين والطلاق والنفقة والحضانة وأحكام نافذة بحق المحكومين عن التهم الموجهة إليهم مجمدة وغير مكتسبة الدرجة القطعية، لعدم وجود محكمة التمييز للنظر فيها، وإن المتهمين لازالوا موقوفين لمدة تتراوح بين ستة أشهر إلى سنة (١٨) شهراً وإن ذلك يعتبر مخالفة صريحة لمبادئ حقوق الانسان، ويجب الاسراع في النظر في الطعون الواردة عليها وتقرير مصير الموقوفين، علماً أن هناك موقوفين من قبل محاكم (شورش) اللغوية والمحكمة الخاصة لمدة تتراوح بين سنة إلى السجن المؤبد وكان الواجب يقضي بإعادة النظر في تلك القضايا وتقرير مصير المحكومين وضمان حق الدفاع لهم وعرض قضاياهم أمام المحاكم القضائية مروراً بالمحاكمة وإنهاء بالتمييز.

كما أن وزارة العدل لم تتخذ أية إجراءات بخصوص قضية المتظاهرين من منتسبي ومؤيدي (P.K.K) في ١٩٩٢/٨/٢٣ والتي أدت إلى نزاع مسلح بين المتظاهرين وأفراد (الاتاسايش) ووقع أربع ضحايا من الطرفين. وأن قاضي التحقيق قد قرر فتح قضية مستقلة ضد أفراد (الاتاسايش) ووفق أحكام القانون، وأن القضية التحقيقية لازالت من اختصاص مديرية (الاتاسايش) إربيل، في حين أنها طرف في القضية أي أنها المشتكية والمتهمة والمحققة في آن واحد. وكان الواجب على وزارة العدل نقل التحقيق إلى سلطة تحقيقية محايدة. وقد رفعت منظمتنا تقريراً بذلك إلى الجهات المسؤولة.

كما أن وزارة العدل قد وافقت على إصدار قرار من مجلس الوزراء بتشكيل لجنة أمنية مهمتها التحقيق والمرافقة على بيع العقارات في كردستان وعدم جواز بيع العقار أمام المحاكم أو دوائر الطاهر الا بعد الموافقة الأمنية. وإن هذا القرار يعتبر تدخلاً واضحاً في شؤون القضاء وتحديد



لولاجه إضافة لمخالفته لبادئ حقوق الانسان وذلك بحجة منع المؤيدين والمحققين بالسلطة في بغداد من بيع عقاراتهم ودورهم الواقعة في كردستان.

وإن الخطوة المهمة التي خطتها الحكومة والبرلمان هي إلغاء المحكمة الخاصة أي محكمة (شورش)، وتعتبر هذه الخطوة تمييزاً للدور القضاء وولائه العام وضماناً لحقوق المواطنين وثابتاً من ثوابت حماية حقوق الانسان في كردستان، وترى المنظمة إحالة جميع القضايا المنظورة أمامها إلى القضاء والمحاكم وإعادة النظر فيها مع ضمان حق الدفاع للمتهمين.

أما بخصوص موقف وزارة الداخلية من منظمتنا ونشاطها فإنه موقف إيجابي لحد هذا التاريخ. فقد أصدرت تميمياً إلى جميع أجهزتها بالتعاون مع أعضاء لجنة المحققين وجمع المعلومات العائدة للمنظمة وتسهيل أمرهم بدخول السجون والمواقف والاطلاع على الأوراق التحقيقية ومتابعة الظروف العامة والخاصة للمواقف والسجون. كما عقدت منظمتنا ندوة لضباط (الاناسايش) والشرطة في مقر منظمتنا بالتعاون مع وزارة الداخلية وحضر (٧٣) ضابطاً ومن أعلى الرتب. والندوة كانت تخص الاجراءات التحقيقية وموضوع التعذيب والانتهاكات في المواقف ومراكز الشرطة. ونتيجة لهذا التعاون فقد أمر بإطلاق سراح ٥٦ موقوف رأي من جماعة (P.K.K) و«روت كومنيست» واستجابت ويكتب تحريرية لمناشدات المنظمة. أمني أن يكون هذا الموقف منهجاً للوزارة خدمة للانسانية.

أما بخصوص الانتهاكات في مديريات (الاناسايش) والشرطة والمكافحة فلا يخفى على حضراتكم بأن لمنظمتنا معلومات وثيقة بارتكاب انتهاكات فاضحة في هذه المديريات والمراكز التابعة لها، حيث تستعمل مع الموقوفين جميع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي وباستعمال شتى الأساليب المخالفة لأبسط القواعد المتبعة ومنها التعذيب الجسدي والضرب المبرح واستعمال الفلقة والكهرباء وربط الموقوف بالمصمين من الورا وتعليقهم وإرغامهم على الاعتراف، وإتباع الأساليب البالية والقديمة في التحقيق، وعدم اللجوء إلى تطبيق المبادئ العلمية في التحقيق واعتماد قواعد التحقيق الجنائي وقواعد أصول التحقيق وتنظيم محاضر الكشف على محلات الحادث، كشف الدلالة والطب العدلي وعلم الاجرام الاجتماعي وغيرها. إن ذلك يرجع إلى عدة أسباب:

- ١ - إن أكثرية الكوادر التحقيقية في المديريات المذكورة هم نفس الكوادر السابقة في النظام أو تم تعيين مدراء ومدراء أقسام ليس لهم خبرة في التحقيق الجنائي وليسوا من ذوي الاختصاص.
- ٢ - عدم توفر الأجهزة الفنية ومستلزمات التحقيق في المديريات المذكورة لتساعد المحققين في كشف الجناة وجمع الأدلة.

٣ - عدم ممارسة التحقيق تحت إشراف القضاء المباشر.

- ٤ - عدم وجود قانون يحدد المديات الأصولية للتحقيق وإلزام المحققين بإتباع الأساليب العلمية في التحقيق ومعاينة القائم بالتعذيب، وفي حالة ممارسته ضد المتهم.

لكل هذه الأسباب وغيرها من الأسباب قد أصبح التعذيب والممارسات غير الانسانية من الأمور المتبعة واليومية في المديرية المذكورة، وإنني أقول بصراحة أن عدم وضع حد لهذه الممارسات والانتهاكات المخالفة لحقوق الانسان والخط من كرامته سوف تضع حكومة كردستان في موقف صعب جداً أمام المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الانسان. وإن عشرات المنظمات الانسانية بما فيها (أمستسي أنترناشيونال ومنبكو وميدل أيست ووج والمنظمات العربية) إضافة إلى منظمنا تراقب هذه الممارسات عن كثب يومياً. وفي حالة الاستمرار سوف تعلن عنها بتقارير شهرية أو سنوية، وهذا الموقف سوف يؤثر بلاشك على مصداقية الحكومة الاقليمية وعلى عطف العالم تجاه قضية شعبنا المصيرية وتلحق ضرراً جسيماً بحقوقنا والتجربة الديمقراطية. وللمنظمة قوائم وتحقيقات في تلك الانتهاكات. كما أن الحالة العامة في المواقف غير سليمة ولا تنطبق فيها أدنى النماذج للقواعد العامة لمعاملة الموقوفين، والمحكومين، حيث أن المنظمة قد وضعت دراسة حول حالة الموقف ورفع تقرير مفصل من قبل لجنة المحققين وطلبت من الجهات المسؤولة تخصيص مبلغ (٣٠٠٠٠) دينار لإكمال شبكة الماء التي تغذي الموقف بالماء، ولازالت الأوضاع الصحية والغذائية والسكنية ودينة جداً وتحتاج إلى حل سريع وجذري، وخاصة أنه لايسعوب عدد الموقوفين الذي بلغ أكثر من خمسمائة موقوف ومحكوم لحد اليوم. كما وردت إلى منظمنا معلومات بأن لبعض الأحزاب السياسية سجوناً ومعتقلات تضم عدداً من الموقوفين والمحجوزين، إن المنظمة قد رفعت مذكرة إلى مجلس الوزراء بهذا الخصوص وطلبت بإلغاء جميع السجون وإطلاق سراح الموقوفين فيها.

أما بخصوص حرية التعبير والرأي والنشر والصحافة الحرة، فإن منظمنا متفائلة بهذا الجو الديمقراطي الحر والذي فيه تنشر كافة الآراء والمواقف للأحزاب والمنظمات والأشخاص، والنهج الممارس حالياً هو منهج ديمقراطي ويعتبر التجربة والديمقراطية وحقوق الانسان، إلا أن الملاحظ أن أكثرية الجرائد والصحف الكردستانية هي من ضمن الصحافة الحزبية، ونظراً للتكاليف الباهظة فلا يوجد اندفاع في سبيل إصدار جرائد أو منابر حرة، تقترح منظمنا على الأحزاب والحكومة بتخصيص صفحة من كل جريدة باسم (الرأي الحر/ المنبر الحر/ أو الضمير الحر ... إلخ) لإفصاح المجال أمام الأقلام الحرة لابتداء آراها والتعبير عنها.

انتهاكات النظام العراقي في كردستان: إن جرائم وانتهاكات النظام العراقي لاتعد ولا تحصى وبالإمكان التركيز على الانتهاكات التي قام بها النظام بعد الانسحاب من كردستان في ١٧ - ٨١ تموز ١٩٩١ أثر الانتفاضة الثانية التي فجرها أبناء كردستان ضد بقايا القوات العسكرية وأجهزة الأمن التابعة للنظام. فبعد الانسحاب، فرض الحصار الجائر على كردستان، وقطع الامدادات الغذائية والوقود عن أبنائها، وبهذا الاجراء فقد فقد النظام السيطرة الفعلية على أجزاء واسعة من كردستان مما حال دون ارتكاب جرائم وانتهاكات مباشرة. إلا أن النظام قد وضع خطة إرهابية واسعة ضد أبناء كردستان بهدف اشاعة الخوف والرعب بين المدنيين في كردستان والاخلال بالأمن والنظام

فيها، وعرقلة مسيرة التجربة الديمقراطية في كردستان إضافة إلى إيجاد شرح بين المواطنين الكردستانيين وحكومة كردستان وإضعاف ثقتهم بها تمهيداً للقضاء على هذه التجربة الحية والمطمحة وتكون هذه الخطوة حسب المعلومات المتوفرة لدى منظمنا عمالي:

١ - إيفاد عملاء ومأجورين من قبل الأجهزة الحكومية الممثلة بالأمن والاستخبارات إلى كردستان وتكليفهم بالقيام بالاغتيالات الشخصية، وهي موجهة بالذات ضد كوادر الأحزاب الكردستانية وقادة البيشمركة لقاء مكافأة وصلت إلى مبلغ (٥٠) ألف دينار.

٢ - إرسال سيارات مفخخة وتفجيرها في المدن والقصبات الكردية وفي المناطق الآهلة بالسكان المدنيين والمناطق المزدحمة في تلك المدن.

٣ - استهداف مقرات الأمم المتحدة والشرطة الدولية ومنتصبيها، وقد قررت الحكومة العراقية منع مكافأة نقدية لمن يقتل أحد منتمسي الأمم المتحدة وصلت إلى مبلغ (١٠٠) ألف دينار.

٤ - زرع المناطق المدنية والحكومية بما فيها المدارس ورياض الأطفال بالقنابل الموقوتة. إن منظمنا قد دأبت على تنظيم اضيابة وملف لهذه الحوادث، وضعت جميع الحالات محل الدراسة والمناقشة وفق التعاريف الواردة في لوائح حقوق الانسان باسم «الارهاب المدني» في كردستان. وقد بلغ عدد الانفجارات التي قان بها النظام العراقي أكثر من (١٠٠) حادث بين انفجار فعلي ومبطل. وآخرها حادث انفجار السيارات التركية الخاصة بنقل مواد الاغاثة إلى كردستان، وقد حققت منظمنا في الحادث المذكور وتوصلت إلى أن مديرية الأمن العامة والاستخبارات العسكرية الصدامية تشرف اشرافاً مباشراً على هذه العمليات الارهابية، وأصدرت بياناً في ١٩٩٢/١٢/٣ بالتحقيق المذكور نشر في الصحافة المحلية، كما قدمت مذكرة رسمية إلى الأمين العام للأمم المتحدة وأعضاء مجلس الأمن بخصوص الموضوع. وبلغ عدد الضحايا من المجرى والتعلى نتيجة تلك العمليات الارهابية أكثر من (١٥٠) ضحية كلهم من المدنيين ومن النساء والأطفال والشيوخ.

كما أن النظام العراقي قد أصدر قرار ٢٤١ بالفسخ السياسي عن المواطنين الأكراد في ١٩٩١/٧/١٤، وأن مضمون القرار يسري على جميع الموقوفين والمهجوزين والمحكومين السياسيين إلا أن لدى المنظمة قوائم بأسماء المواطنين الأكراد الذين لازالوا قيد السجن والترقيف وبلغ عدد الحالات المستثناة من القرار أكثر من (٧٠٠) حالة. كما أن المنظمة توصلت إلى معلومات بأن النظام العراقي قد وضع خطة باختطاف عدد من المعارضين العراقيين المشاركين في مؤتمر المعارضة العراقية الموحد وقد أنشلت شرطة (الاناسايش) عدة محاولات من هذا القبيل. وأن النظام العراقي لازال مستمراً في انتهاكاته الفاضحة، وأنه يستغل كل الفرص للنيل من التجربة الديمقراطية في كردستان والقضاء عليها خلافاً لجميع الأعراف ولوائح حقوق الانسان.

### موقف حقوق الانسان في كردستان الشمالية:

أصدرت الحكومة التركية قانوناً بإسم (قانون مكافحة الارهاب) وقد أطلق سراح مايقارب (٢٩٠٠٠) سجين ومن بينهم عشرات بل مئات من سجناء الرأي الذين ظلوا مسجونين منذ أراثل الثمانينات. ومع ذلك احتجز عشرات من المواطنين الأكراد بسبب آرائهم ومعتقداتهم السياسية بعد صدور القانون المذكور، وأصدرت محاكم أمن الدولة أحكاماً بالسجن على مئات من السجناء السياسيين وذلك بعد إجراءات قانونية لم تف بالمعايير الدولية، ولم تكن تلك المحاكمات عادلة ولم يضمن حق الدفاع لهم بشكل سليم، واستمرت الحكومة التركية وسلطاتها التحقيقية في ممارسة التعذيب والمعاملة السيئة بالنسبة للمعتقلين السياسيين والجنايين (أي العاديين) على حد سواء مما أفضى إلى موت بعضهم، كما توجد حالات إعدام خارج القضاء وحالات اختفاء، وكما أن الأحكام العرفية والطوارئ، لازالت سارية في كردستان تركيا وأن عمليات القمع مستمرة في الريف الكردستاني، مثل حالات الاعتقال فقد ألقى القبض على المغنية الكردية (يليز أيليك) في ٨ آب من هذه السنة لأنها هفتت بشعار باللغة الكردية وكما تعرض المواطن الكردي (أدوغان كيزيلكا) إلى التعذيب إضافة إلى عشرات الحالات، كما توفي (١٤) مواطناً كردياً في السجن بسبب التعذيب وكان من ضمنهم الطالب الكردي التونياس وراعي الغنم الكردي (عشان أيكتمسي)، كما أن السلطات التركية قد قتلت المثقفين الكرد بعد اختطافهم ورمي جثثهم في الطرق العامة ومنهم الكاتب الكردي المعروف (فدايت أيدن) عضو رابطة حقوق الانسان في تركيا والمحامي والكاتب المعروف (موسى عنترو)، وقد طلبت المنظمات الانسانية من الأمم المتحدة بوضع حكومة تركيا تحت نظر الأمم المتحدة بسبب انتهاكات حقوق الانسان، وباللوات ضد المواطنين الأكراد في كردستان الشمالية.

كما أن منظمنا قد حققت في القصف التركي للقرى في كردستان العراق في السابع من شهر آب من عام / ١٩٩١ و ١٩٩٢/٣/١ بواسطة الطائرات الحربية مما ثبت بأن الطائرات التركية قد قصفت القرى الكردية التابعة لناحية (سيدكان) قصفاً عشوائياً وهي قرى (كوه رتي، سيبداره، كوره شه، زياره ت، دايلان) في سهل (هه رتي) وقرية (كه زه ك) وأدى القصف إلى إستشهاد (٨) مدنيين وجرح (٦١) مواطناً كردياً آخر إضافة إلى هدم الدور والأضرار الجسيمة بالحيوانات العائنة للمواطنين وأن المنظمة قد جمعت المستندات القانونية ملف خاص وتتوي المطالبة من الحكومة التركية بالتعويض المادي والمعنوي لأسر وعوائل الضحايا.

كما أن منظمنا مستمرة في رصد وتثبيت الانتهاكات في كردستان ايران وسوف تصدر في نهاية الشهر القادم تقريراً سنوياً مفصلاً عن جميع حالات الانتهاكات والحقوق التي ترتكب في كردستان، ولازال محققو المنظمة مستمرين في جمع المعلومات وتثبيتها.

## الاقتصاد السياسي للتضخم في العراق\* ١٩٨٨ - ١٩٩٢

د. عبد المنعم السيد علي  
د. هيل الجنابي

---

### مقدمة

يعاني العراق حالياً في أواسط عام ١٩٩٢ وإبتداءً من عام ١٩٨٨ . من تضخم خطير لم يسبق أن مر بمثله في تاريخه الحديث. ويهدف البحث إلى بيان طبيعة هذا التضخم ومداه وأسبابه وما يمكن عمله لكبح جماحه والحد منه. وزمنا حتى إيقافه . وهو أمر قد يكون بعيد المنال حالياً . ولذلك فإن المعالجات ستكون آتية في مداها ، وسياسية واقتصادية في طبيعتها ، نظراً للطبيعة السياسية والاقتصادية للتضخم السائد في العراق في الوقت الحاضر.

وقد حاولنا بيان طبيعة هذا التضخم ومداه من خلال الأرقام القياسية لأسعار المستهلك. ثم حاولنا قياس حجم الفجوة التضخمية من خلال معايير معينة اجتهدنا في أن تعكس قدر المستطاع حجم تلك الفجوة بأقصى ما يمكن من الدقة العلمية دون إصدار أية أحكام قيمية بمدى صحتها أو صحة النتائج التي توصلنا إليها . وهو مبدأ إلزمناء في ثنايا البحث، وذلك ضمن اجتهادنا كإقتصاديين وليس كباحثين اجتماعيين. ولذلك فإننا لم نبحث آثار التضخم التي أصبحت معروفة لدى القاصي والداني. ولن نختلف في حالة التضخم السائد إلا من حيث مداها وعمقها وسعة انتشارها وحجم ونوع الفئات التي ستعرض لها. وقد حاولنا استقراء الماضي من خلال قراءة

تاريخية لما تعرضت له بعض البلدان الأوربية من تضخم مفرط في أعقاب الحربين العالميتين الأولى والثانية حيث يتبين لنا مدى التشابه الكبير بين أحداث الماضي هناك ومجريات الحاضر هنا . في العراق . مع الاختلاف في الدرجة وليس في النوع . وحاولنا أن نسهم نظرياً في تحليل واقع التضخم في العراق تحليلاً اقتصادياً معززاً بالنظرية الاقتصادية مما نعتقد أننا قد قدمنا فيه مساهمة متواضعة من خلال اجتهاداتنا العلمية والشخصية..

وسيجري البحث في جزئين: يتم في أولهما بيان طبيعة وأنواع التضخم كمدخل للدراسة التضخم المفرط وخصائصه وتاريخه. ثم انتقلنا في جزء ثان من البحث إلى دراسة التضخم في العراق خلال الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٢ بالشكل الذي أشرنا إليه أعلاه، مع إجراء تحليل اقتصادي له. وختمنا البحث بكلمة موجزة عن المعالجات المطلوبة على المدى القصير. مؤكداً على الطبيعة السياسية للأزمة الحالية. مما يقتضي بالدرجة الأولى حلاً سياسياً يأخذ بتلاييب الأزمة فيكبح جماحها وينهي آثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المدمرة.

### أولاً: معنى وطبيعة وأنواع التضخم

ربما كان التضخم أقدم مشكلة اقتصادية تم تشخيصها. ومع ذلك ليس هناك اتفاق عام حول أسبابها ووسائل علاجها. وأفضل تعريف للتضخم هو أنه عملية ارتفاع مستمر في المستوى العام للأسعار على مدى فترة زمنية طويلة. ويمكن التعبير عن المعنى نفسه بالقول إن التضخم عملية انخفاض مستمر في القيمة الحقيقية للنقود مما يعني أن للنقود علاقة به لأنها مركزية في عمل الاقتصاديات الحديثة. وبهذا المعنى الضيق يرى النقاد أن التضخم هو ظاهرة نقدية - دائماً وفي كل مكان. وقد يكون الارتفاع في الأسعار معتدلاً وتدرجياً. وهو ما يدعى بـ (التضخم الزاحف) الذي يتصف بارتفاع بطيء في الأسعار لا يعتمد في أقصاه أصابع اليد (أي يقل عن ١٠٪ سنوياً) وذلك حتى خلال فترات يكون فيها النمو في الطلب الكلي معتدلاً. وتبقى الأسعار في مثل هذا التضخم ثابتة نسبياً، ولا يحاول الأفراد أثناء التضخم التخلص من نقودهم لأن سعر الفائدة ليس منخفضاً بما فيه الكفاية لكي يدفعهم إلى ذلك. (أي أن سعر الفائدة الحقيقي الذي يساوي الفرق بين سعر الفائدة الاسمي ومعدل التضخم السائد يبقى موجباً). كما أن التوقعات تكون ثابتة نسبياً. في حين تبقى الانحرافات وعدم الكفاية الاقتصاديّتان معتدلتين عموماً. وقد ساد مثل هذا التضخم في الولايات المتحدة وألمانيا في الستينات والسبعينات (١) وفي العراق في الخمسينات والستينات.

كما قد يكون التضخم مكبوتاً Repressed Inflation حين تمنع الأسعار من الارتفاع رغم الحجم الكبير من الطلب الكلي. وذلك من خلال وضع ضوابط وفرض عمليات تقنين وتسعير إجباري تحد كلها من الاتفاق الكلي وتحول دون ارتفاع الأسعار. ولكن ذلك لن يحول دون قيام الجمهور بتراكم موجودات نقدية ومالية كبيرة يستطيع تحويلها عند الطلب إلى قوة شرائية فعالة في وقت لاحق. وبالتالي فإنها تمثل مصدراً مهماً لتضخم كامن قد يجري تنشيطه أو تفعيله عندما

تعيين الفرصة لذلك.

ثم هناك التضخم الجامح Galloping Inflation الذي يحدث عندما تبدأ الأسعار بالارتفاع بمعدلات ذات رقمين أو ثلاثة من فئة الـ ٢٠٪ والـ ١٠٠٪ والـ ٢٠٠٪ سنوياً. وقد حدث ويحدث مثل هذا النوع من التضخم في العديد من دول أمريكا اللاتينية والبرازيل اللتين تفوق ليهما معدلات التضخم بنسبة الـ ١٠٠٪ سنوياً. ومتى تحكم مثل هذا التضخم في اقتصاد ما فستنشأ عن ذلك تشوهات اقتصادية خطيرة. ويجري تقييم معظم العقود عموماً برقم قياسي للأسعار أو بعملات أجنبية. ولأن النقود تفقد قيمتها الحقيقية بسرعة كبيرة، فإن الأفراد سيتحاشون الاحتفاظ بأرصدة نقدية إلا ضمن الحد الأدنى اللازم لتدوير معاملاتهم اليومية. كما تتلاشى الأسواق المالية. ويجري تخصيص الأموال تقنياً وليس من خلال أسعار الفائدة. ويقوم الأفراد باختزان السلع ويشترعون العقارات ولا يقترضون شيئاً من أموالهم بأسعار فائدة حقيقية سالبة (٢) . حيث تفوق معدلات التضخم بأسعار الفائدة السائدة. - كما حدث في العراق منذ النصف الثاني من عقد الثمانينات وفي تركيا في عقد الثمانينات.

وهناك التضخم المفرط Hyperinflation الذي ترتفع فيه الأسعار بمعدلات عالية جداً وتزداد فيه الأسعار بمعدلات عليّة جداً وتزداد فيه سرعة تداول النقود وتتوقف فيه النقود، أو تكاد، عن العمل كمستودع للقيمة أو كأداة للادخار. فإذا استمر ذلك فإنه قد يؤدي إلى إنهيار النظام النقدي ومعه الوحدة النقدية كوسيلة تقويم - وربما حتى كوسيلة مبادلة ودفع - كما حدث في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولندا في العشرينات. بعد الحرب العالمية الأولى، وفي هنغاريا واليونان في الأربعينات في نهاية الحرب العالمية الثانية. وهي حالات اقترنت بالحرب والأزمات الاقتصادية والسياسية وعدم الاستقرار الاجتماعي.

### التضخم المفرط

سنكرس دراستنا لحالة التضخم السائدة في العراق حالياً. وهي حالة تضخم مفرط لا ريب فيه. فما هي طبيعة هذا الوباء الخطير؟

عرف Cagan الاقتصادي الأمريكي المعروف في بحثه الشهير عن الموضوع (٣) «التضخم المفرط» بأنه الحالة التي ترتفع فيها الأسعار بمعدل يتعدى الـ ٥٠٪ شهرياً والـ ١٠٠٠٪ سنوياً. فقد ارتفع مستوى الأسعار في ألمانيا عام ١٩٢٣ حوالي ١.٣ تريليون مرة (أي ١.٣ × ١٠<sup>١٢</sup>) مما يعني أن الأسعار كانت ترتفع بمعدل يصل حوالي ٨٪ يومياً أو ١٠٠٠٪ شهرياً. وقد كان يتم دفع الأجور مرة واحدة على الأقل يومياً لكي يستطيع العمال التسوق قبل أن ترتفع الأسعار مرة أخرى، وكانت الأسعار تتغير أحياناً خلال فترة تناول وجبات الطعام (٤).

ولعل الملمح الرئيس للتضخم المفرط هو حالة التوقعات حول الأسعار المستقبلية. التي تدفع الأفراد نحو شراء السلع بهدف التخزين والاستعمال مستقبلاً. كمال تدفع المنتجين إلى حجب السلع

عن السوق وإنتاجها لأغراض التخزين وليس لغرض البيت العاجل. وهكذا كلما كانت الزيادات المتوقعة في الأسعار أكبر، اتسعت الفجوة بين حجم السلع المطلوبة وحجم المعروض منها. مما ينتج عنه طلب فائض يزيد بدوره من أرباح البائعين وبالتالي من الأسعار والأجور. ولكي يمكن لمعدل الارتفاع في الأسعار أن يولد تضخماً مفرطاً، يجب أن يتوفر شرطان (٥).

الأول: أن يستمر مستوى الأسعار المتوقع في تجاوز المستوى الفعلي للأسعار لفترة طويلة. لأنه متى توقع البعض أن تبقى الأسعار ثابتة. فإن الضغط على الأسعار سيتناقص. فإذا ألحقت الأسعار الفعلية بالتوقعات، فإن العملية ستتميل في النهاية نحو الاستقرار. وإذا لم تنته العملية إلى الاستقرار فإن من المحتمل أن ينتهي الأمر إلى إنهيار تام في العملة.

الثاني: أنه لا يمكن استمرار التضخم المفرط دون زيادات كبيرة جداً في كمية النقود. وقد يتأصل التضخم المفرط في توسيع غير طبيعي في كمية النقود. أو في تحول تلقائي في التوقعات وزيادة تالية في عرض النقد. والحالة الأولى هي حالة نموذجية تحدث في حالات الحروب والاضطرابات السياسية. تنبع فيها الزيادة في كمية النقود من حاجة الحكومة إلى الحصول على موارد حقيقية.

في هذه الحالة تكون العلاقة بين التوسع في عرض النقد والطلب على السلع بسيطة ومباشرة. وتتم الزيادة في عرض النقد في التحليل التقليدي من خلال بيع السندات في السوق المفتوحة. ولكن في الحالة موضوع البحث، ليس هناك مثل هذه الخطوة الوسيطة، بل تلجأ الحكومات مباشرة إلى طبع النقود وإصدارها. وبالتالي زيادة عرض النقد. فتكون النتيجة أن هذه الزيادة تمارس ضغطاً مباشراً وأنيباً على الطلب على الموارد فتؤدي بالتالي إلى ارتفاع في أسعارها.

أما في الحالة الثانية: حالة التوقعات، فستنتج عن التغيير في توقعات الأسعار على المدى القصير طلب فائض. ومن خلال توقعات الأرباح المتزايدة تتزايد الأسعار والدخول. وباستمرار هذه العملية، تصبح الحكومة غير قادرة على مواجهة متطلباتها المالية من خلال الاقتراض، لأن الارتفاع المتوقع في الأسعار يقلل من رغبة الجمهور بالاحتفاظ بالتزامات ذات فوائد حقيقية ثابتة كالمستندات التي تصدرها الحكومة وتبيعها إلى الجمهور. ولذا لكي يمكن قبول هذه المتطلبات بحري التوسع في عرض النقد مما يؤكد مصداقية توقعات الأسعار لدى الجمهور (٦).

هذا ومن السهولة تبرير تزامن الحروب والاضطرابات السياسية مع التضخم المفرط فمتطلبات الحرب تستوجب نسبة كبيرة من موارد القطر الاقتصادية وتكريسها لإنتاج لايشبع الاستهلاك ولايضيف إلى وسائل إنتاج سلع الاستهلاك. مما ينتج عنه شع شع سلمي، مقارنة بمستوى المعيشة السائد. مما يمارس بالتالي تأثيراً رئيسياً على توقعات الأسعار. وهكذا يشع بشكل غير اعتيادي، عرض المتطلبات الأساسية للمعيشة، مثل المواد الغذائية التي تكون أسعارها عادة مرنة نسبياً مما يضاعف من قيمتها سريعاً. وفي النهاية، قد تصاحب البطالة مستوى أسعار متزايد بسرعة لأن أعقاب الحروب تشهد غالباً تحولات في الإنتاج واضطراباً تنظيمياً في التجارة مع تحول الطلب على



الموارد لمواجهة المجهود الحربية.

وهكذا يرتبط التضخم المفرط بزيادات غير طبيعية في عرض النقد، وانخفاضات غير اعتيادية في عرض السلع، مما يؤثر على حالة التوقعات حول الأسعار، فيضج بذلك أساساً لتضخم لولبي مفرط. هنا لا يستمر عرض النقد في لعب دور المساعد الذي يعزى إليه في النموذج الأساسي للتضخم. ذلك لأن علاقته بالطلب على الموارد، من خلال الاتفاق الحكومي، تصبح مباشرة وأنية، فالارتفاع الحاد في الأسعار، الذي يؤدي إليه ذلك في المدى القصير، يؤثر في رغبة الجمهور بالاحتفاظ بالنقد ويزيد من طلبهم على الموجودات الحقيقية لتخدم كخزين قيمة بدلاً عن النقود. ذلك أن الزيادات المتوقعة في الأسعار تصبح من العظم بحيث تنهي دور النقود كمستودع للقيم. وفي بعض الحالات المتطرفة قد تتوقف النقود حتى عن العمل كوسيلة تداول. كما حدث فعلاً في ألمانيا الغربية بعد عام ١٩٤٥ عندما استعملت السجائر كنقود (٧).

ومن خصائص التضخم المفرط أن سرعة التداول النقدية في الواقع خلال المراحل الأولى من التضخم الذي حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى في عامي ١٩٢٢ - ١٩٢٣ اعتقاداً من الجمهور بالعودة سريعاً إلى الأسعار السابقة. لذلك تمسكوا بالعملة توقفاً لانخفاض الأسعار.

وقد ساعد انخفاض سرعة التداول وتدهور القيمة الشرائية للعملة. إلى تصاعد طبع العملة من قبل الحكومة. فتزايد عرض النقد وتساعد الارتفاع في الأسعار. فأدى ذلك إلى فقدان النقود لقيمتها كوسيلة تبادل وكمقياس للقيمة. وهكذا قاد ذلك إلى إجراء التقييم بعملات أجنبية (٨).

ومن الخصائص الأخرى لفترات التضخم المفرط أن النسبة بين الرقم القياسي للأسعار (س) والرقم القياسي لكمية النقود (ن). أي س/ن تميل إلى الارتفاع. أي عكس ذلك - إلى انخفاض معكوس هذه النسبة (ن/س) التي تقيس القيمة الحقيقية للنقود أي الأرصدة النقدية الحقيقية. فقد وصلت النسبة (س/ن) في ألمانيا خلال عام ١٩٢٢ إلى ١.٤. وفي اليونان خلال عام ١٩٤٢ إلى ١٣٠. فانخفضت بالتالي القيمة الحقيقية للنقود (ن/س) إلى ٠.٣. في الأولى وإلى ٠.٠٦٩. في الثانية (٩) وقد حدث الشيء نفسه في الولايات المتحدة الأمريكية إبان الحرب الأهلية في ستينات القرن الماضي. إذ زادت الأسعار بسرعة أكبر بكثير من السرعة التي زاد بها عرض النقد. ففي الفترة ما بين الفصل الأول من عام ١٨٦١ وأوائل عام ١٩٦٤ زاد عرض النقد "١١" ضعفاً بينما ازدادت الأسعار بمقدار "٢٨" مرة وانخفضت القيمة الحقيقية للأرصدة النقدية بنسبة ٤٦٪ (١٠).

ويرى Cagan أن الكلفة الوحيدة للاحتفاظ بالأرصدة النقدية - والتي يبدو أنها تنقلب على مدى واسع يكفي لأن يكون سبباً للتغيرات القاسمة في الأرصدة النقدية الحقيقية خلال التضخم المفرط - هي معدل التضخم في قيمة النقود. أو ما يوازي ذلك، معدل التغير في الأسعار، وتتضمن هذه المشاهدة الفرضية القائلة بأن التغير في الأرصدة النقدية الحقيقية أثناء التضخم المفرط ينتج عن التغيرات في المعدل المتوقع للتغير في الأسعار (١١).

ومن المعلوم أن Cagan صاحب أهم وأول دراسة منتظمة لعللنا حول التضخم المفرط هو اقتصادي ينتمي إلى مجموعة (المدرسة النقودية) The Monetarist School التي تعزو النقود الأهمية الأولى والأكبر في التأثير على المستوى العام للأسعار. ولذا فإنه ينتقد النظريات الأخرى التي تحاول تفسير التضخم المفرط بعوامل نقدية أخرى من غير عرض النقد. من مثل سعر الصرف الأجنبي والعوامل الحقيقية كالاستخدام والانتاج والدخل الحقيقي وهيكل تقايات العمال ومعدل مدى تكوين رأس المال... وغيرها أيضاً من مثل نظرية (لولب الكلفة - السعر - Price Spiral The Cost التي تستمد مفاهيمها وإطارها العام من نظرية الدخل والاستخدام. هذه النظريات تفترض أن الارتفاع في الأسعار ينتج عن الارتفاعات في الأجور وفي أسعار السلع المستوردة. ويسبق الزيادات في كمية النقود. هذا في حين تشير دراسته إلى تنال معاكس Opposite Sequence وإلى أن الارتفاعات المتطرفة في الأسعار تعتمد كلياً تقريباً على التغيرات في كمية النقود. ومن مضامين ذلك أن الارتفاع في الأجور والانخفاض في سعر الصرف الأجنبي أثناء التضخم المفرط هي نتائج للارتفاع في الأسعار. وأن التغيرات المتطرفة في فترة زمنية قصيرة في أسعار الصرف تمكس بشكل رئيس تضع تركيداً على العوامل الخطأ. فالتضخم المفرط على الأقل - أي من بين الأنواع الأخرى من التضخم - يمكن تفسيره كلياً تقريباً في إطار الطلب على النقود. ففي حين يمكن للسلطات النقدية أن تستسلم للضغوط لتمهيد زيادات الأجور. كما تفترض النظرية اللولبية. فإن هذه السلطات تأخذ في إعتبارها عوامل أخرى من أهمها الإيراد الذي يخلقه الإصدار النقدي. فالتحليل الأدق حول محدودات عرض النقد يذهب إلى مدى أبعد من مجرد المحاسبة الميكانيكية للعملية التضخمية دوافع الحكومات التي تضم في النهاية سلطة الإصدار النقدي (١٢).

**ثانياً: طبيعة وقياس وحجم التضخم في العراق (١٩٨٨ - ١٩٩٢).**

شهد العراق في عقد الستينات تضخماً معتدلاً بحدود ٥٪ سنوياً. بدأ يتصاعد تدريجياً باتجاه نهاية العقد وبدأ عقد السبعينات حتى وصل إلى أكثر من ٦٪ عام ١٩٧٢. مما يمكن معه القول أن تلك الفترة تميزت باستقرار نسبي في الأسعار (١٣) وذلك حتى عام ١٩٧٤ ومنذ عام ١٩٧٥ فما بعدها بدأت الأسعار بالارتفاع بوتائر أعلى بكثير ومعدلات تزيد على أصحاب اليد تراوحت بين ١٨٪ في ذلك العام و ٦٨٪ عام ١٩٧٩ وذلك بأسعار عام ١٩٧٣ بالنسبة للرقم القياسي لأسعار المستهلك في العراق. هذا رغم التدخل الحكومي الواسع في الاقتصاد من خلال التسعير الاجباري والدعم الواسع للأسعار (١٤). واستمر معدل التضخم في الارتفاع حتى وصل عام ١٩٨٠ إلى ٩٥.٣٪ ثم قفز عام ١٩٨١ إلى ١٣٩٪ وابتداءً من عام ١٩٨٠ دخل العراق فترة حرب الثماني سنوات مع إيران. وهي فترة تصاعدت فيها معدلات التضخم بدرجة أكبر حتى وصلت في نهاية الفترة (عام ١٩٨٨) إلى ٣٦٨.٨٪ (١٥). وقد لعبت الحرب المذكورة دوراً رئيسياً في ذلك إذ إن جزءاً كبيراً من الانتاج القومي ومن الاستيرادات قد تم تكريسه لأغراض الحرب فكان طبيعياً

أن يتمكس ذلك في ارتفاعات متوالية في الأسعار. وهكذا يمكن القول أن العراق قد دخل فترة التضخم الجامع الذي تعدت معدلاته الـ ٢٠٪ منذ عام ١٩٧٦. وتفاقت معدلاته خلال الحروب المذكورة حتى بدأ يزيد عن ١٠٠٪ عام ١٩٨١ ومن ثم وصل في نهاية عقد الثمانينات (١٩٨٩) إلى ما يزيد عن ٣٩٨.٢٪ (١٦).

إلا أن الفترة التي تلت أحداث عامي ١٩٩٠ - ١٩٩١ قد شهدت فرض حصار اقتصادي محكم عليه وممارسة مقاطعة تجارية شاملة ضده. إضافة إلى أعباء الحرب والتدمير والتخريب اللذين أصابا منشآته الاقتصادية والانتاجية والعلمية. أعباء جديدة تثقلت بانقطاع تصدير النفط وتوقف الاستيرادات عملياً. وإيقاف كل أنواع التعامل معه ومنع الدواء والغذاء عن شعبه وتدمير مخزونه السلمي. مما خلق شعراً سلعياً واسعاً بقي العراق يعاني منه منذ آب ١٩٩٠ إلى حين كتابة هذه السطور أواسط عام ١٩٩٢. وقد كان طبيعياً أن ينتج عن ذلك ارتفاعات حادة في الأسعار انعكست في تضخم مفرط وشديد لم يسبق للعراق أن مر بثقله في تاريخه الحديث. وهو شبيه بما حصل في ألمانيا عام ١٩٢٣ ولكنه أقل نسبياً. إذ. وكما سبقت الإشارة إليه، وصل معدل التضخم هناك في الفترة ١٩٢٢ - ١٩٣٢ إلى ٣٢٢٪ شهرياً. ووصل في تشرين الأول ١٩٢٣ إلى أكثر من ٢٩٠٠٪ أي أن ما كانت كلفته ديناراً في أول الشهر، وصلت كلفته في نهاية الشهر إلى ٢٩٠ ديناراً. وقد كان السبب الأساسي في ذلك هو التمويل المصرفي للاتفاق الحكومي - خاصة الاقتراض من البنك المركزي. وهو ما يحدث في العراق كذلك حالياً من حيث تمويل العجز في الميزانية العامة للحكومة. إذ أنه يتم في معظمه إن لم يكن في كله، خاصة بعد توقف تصدير النفط وتدهور الإيرادات السيادية للحكومة، منذ بدء أزمة الخليج حتى الآن.

والتساؤلات الأساسية التي يثيرها هذا البحث والتي سنحاول الاجابة عنها تتلخص فيما يلي:

(١) كم هي معدلات التضخم المتعلقة في العراق بين عامي ١٩٨٨ - ١٩٩٢؟

(٢) ماهي مؤشرات هذا التضخم؟

(٣) كم هو حجم الفجوة التضخمية في العراق خلال تلك الفترة؟

(٤) ماهي بالتالي طبيعة هذا التضخم، هل هو تضخم جامع أو تضخم مفرط؟

(٥) التحليل الاقتصادي للتضخم المذكور؟ ماهي أسبابه؟

(٦) وأخيراً هل لهذا التضخم من علاج يمكن أن يوقفه أو يخفف منه أو يعكسه؟

### قياس معدلات التضخم في العراق ١٩٨٨ - ١٩٩٢

تعمكس الأرقام القياسية لأسعار المستهلك التطورات التي تطرأ على القوة الشرائية لحائزي النقود. وتضم مجموعة واسعة من بنود الاتفاق على السلع والخدمات الضرورية. ممثلة بذلك تكاليف المعيشة لأنها تشتمل على مجموعة النفقات المهمة الداخلة في سلة الاستهلاك الضروري لمعيشة

## الثقافة الجديدة

الأفراد. وبذلك يعتبر هذا الرقم مؤشراً مهماً لقياس التضخم لأنه يكشف مدى التدهور في القوة الشرائية للنقود. مع كل التحفظات التي يمكن أن ترد عليه من حيث مدى الدقة في اختيار سنة الأساس والأوزان المعطاة لمكونات الرقم القياسي. وطول الفترة الزمنية بين سنة الأساس والسنة المراد قياس الأسعار فيها.

وعند تحليلنا للأرقام القياسية لأسعار المستهلك سنركز على فترة الثمانينات (بأسعار عام ١٩٧٣) وعلى الفترة الأحدث في نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات (١٩٩٠ - ١٩٩٢) بأسعار عام ١٩٨٨. وهي الفترة التي شهدت انفجاراً تضخيمياً واسعاً ومستمرّاً ترك آثاراً ثقيلة على المستهلكين وبشكل خاص منهم ذوي المعاشات والدخول المحدودة.

فقد قفز الرقم القياسي لأسعار المستهلك (بأسعار ١٩٧٣) من ١٩٥٪ عام ١٩٨٠ إلى ٣٢٤.٥٪ عام ١٩٨٥. واصل ارتفاعه حتى بلغ ٧٥٥.٧٪ عام ١٩٩٠ مقابل ٤٦٨.٨٪ عام ١٩٨٨ وكان الارتفاع الكبير في الأسعار من نصيب السلع الغذائية حيث وصل الرقم القياسي لأسعار هذه السلع إلى ٤٣٣٪ عام ١٩٨٧ وإلى ٩٤٢.٥٪ عام ١٩٩٠ وتكس هذه الأرقام المرتفعة التي شهدتها فترة الثمانينات وضعاً اقتصادياً ساد في تلك الفترة تميز بإنفاق حكومي واسع وإنفاق استهلاكي أسري كبير وبتباطؤ في معدلات الانتاج وتوجيه أجزاء مهمة من الموارد الاقتصادية للدولة نحو تمويل النفقات الدفاعية والأمنية أثناء الحرب العراقية - الإيرانية.

ونظراً لارتفاع الوزن النسبي للمواد الغذائية في بنود الإنفاق الكلي، حيث يصل إلى النصف تقريباً ٤٨٪ (١٧). فإن ارتفاع أسعار هذه المواد كان مسؤولاً عن أكثر من ٥٠٪ من حجم التضخم في أسعار الاستهلاك.

فقد وصل الرقم القياسي لأسعار معظم هذه السلع بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٨ إلى أكثر من ١٠٠٪ مما يمكن تفسير ظاهرة تفاقم الضغوط التضخمية خلال هذه الفترة على أسس هيكلية حيث تنعكس الزيادات الكبيرة في أسعار السلع الغذائية في ارتفاعات مقابلة في أسعار السلع الأخرى على اختلافها بصورة متتابعة وتراكمية.

### ثالثاً: تقدير الفجوة التضخمية في الاقتصاد العراقي

سنستعمل في تقدير هذه الفجوة التضخمية خلال الفترة موضوع البحث معيارين: أولهما تقديري وثانيهما إنفاقي.

١ - المعيار التقديري: يربط هذا المعيار بين ثلاثة متغيرات هي:

(أ) معدل التضخم (gp).

(ب) معدل النمو النقدي (gm).

(ج) معدل النمو الاقتصادي (gy).

مع تقدير المرونة الداخلية للطلب على النقود (h) كثابت. ويمكن قياس الفجوة التضخمية بموجب

## الثقافة الجديدة

هذا المعيار واستناداً إلى هذه المتغيرات حسب المعادلة التالية (١٨):

$$gp - gm = hgy$$

حيث يتحدد معدل التضخم بالفرق بين معدل النمو النقدي ومعدل النمو في الناتج القومي الاجمالي في ظل مرونة داخلية معينة للطلب على نقود (h).

لقد نما عرض النقد في العراق خلال الفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٤ بمعدلات متناقصة بدأت تتزايد وبشكل كبير منذ عام ١٩٨٥ حتى وقت كتابة هذه السطور (أواسط عام ١٩٩٢). ففي حين بلغ هذا المعدل ٥٠٪ عام ١٩٨١ فإنه انخفض تدريجياً إلى ٥٪ عام ١٩٨٥. ومن ثم عاد إلى الارتفاع منذ عام ١٩٨٦ بمعدلات عالية يقدر أنها بلغت، كمعدل عام، للفترة ١٩٨٦ - ١٩٨٩ - ٢١٪ سنوياً - ولا بد أن هذا المعدل قد زاد من جديد وبدرجة عالية منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن بحيث يمكن تقديره بحدود ٢٥٪ - ٣٠٪ (١٩).

ويرتبط هذا النمو الواسع في عرض النقد بشكل أساسي بالتوسع الكبير في الائتمان الحكومي المتقدم من قبل الجهاز المصرفي - المركزي التجاري وذلك لتمويل العجز المالي الحكومي الواسع والمتواصل منذ أوائل الثمانينات، والذي تزايد بدرجة فائتقي نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات، بشكل حوالات خزينة استوعبتها كل من البنك المركزي والمصارف التجارية فتوسعت بذلك قاعدة النقد الأساس نتيجة الاصدار النقدي المتواصل، خاصة بعد أن توقف تصدير النفط وتضاوت الاحتياطيات الأجنبية، وجمد ماتبقى لدى العراق منها في الخارج وشحّت موارد القطر المالية وإيرادات الحكومة الاعتيادية مما اضطرها إلى الاستدانة داخلياً. فكان الجهاز المصرفي أسهل طريق تسلكه وأرخص باب تطرقه. مما أدى إلى تراكم دين داخلي كبير، وإلى خلق سيولة نقدية فائتقة وعرض نقدي مفرط في ظل إنفاق حكومي كبير ومتزايد اقتضته الظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق زائداً متطلبات الاتفاق الاجتماعي.

إن لجوء الدول المختلفة إلى العجز المالي لتمويل نفقاتها المتزايدة غداً بعد الحرب العالمية الثانية أمراً معتاداً. غير أن الآثار الاقتصادية المترتبة على ذلك، والطريقة التي يتم فيها تمويل ذلك العجز، قد تختلف من بلد لآخر، فتمويل العجز قد تترتب عليه زيادة في النشاط الاقتصادي وتوسع في الانتاج والاستخدام، إذا كان الاقتصاد يتمتع بطاقة انتاجية فائتقة. غير أن سياسة العجز الممول مصرفياً مركزياً أو تجارياً، من دون وضع حدود لها تترك بالقطع آثاراً سلبية واسعة جداً في بلد، كالعراق، يتعرض لحصار اقتصادي محكم فلا تتوفر فيه بالتالي مستلزمات انتاج كافية تدفع باتجاه نشاط اقتصادي متميز أو معدل نمو اقتصادي إيجابي، لذلك سيكون الأثر الوحيد الذي تتركه مثل هذه السياسة هو ضغط نقدي كبير مع ما ينتج عن ذلك من ارتفاعات كبيرة في الأسعار.

تشير التجربة الطويلة للتضخم في العالم إلى أن أسباب التضخم تعود أساساً إلى أسباب نقدية. فالمعدلات المرتفعة للتضخم لا يمكن أن تتحقق من دون أن ترققها أو تسبقها زيادة ملموسة في عرض النقد. وتشير تقارير صندوق النقد الدولي (٢٠) إلى أن معدل النمو النقدي السنوي خلال الفترة ١٩٨٣ - ١٩٨٩ كان أكبر في الأقطار التي مرت بمعدلات تضخم مرتفعة منه في البلدان التي تعرضت لمعدلات تضخم منخفضة. وقد وجد أن هناك علاقة قوية وموجبة بين معدل النمو النقدي سنوياً، من جهة، وبين معدل التضخم سنوياً، من الجهة الأخرى، وذلك في الأقطار التي تعاني من ارتفاعات كبيرة في معدلات الأسعار. كما تشير تلك التقارير إلى أن الدول التي استخدمت التمويل المصرفي للمجزء المالي بسبب ضعف هياكلها الاقتصادية وانخفاض حصة الضرائب فيها، وكذلك ضآلة مدخرات القطاع الخاص وتخلف الأسواق النقدية والمالية فيها (٢١). وهكذا نجد علاقة وثيقة وموجبة بين التضخم والعجز المالي. وإذا وجد أن متوسط العجز المالي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، هو أكبر بكثير في الأقطار التي تعاني من معدلات تضخم مرتفعة منه في الأقطار التي تنخفض فيها معدلات التضخم هذه (٢٢). هذا من حيث النمو النقدي (gm) ومصادره. أما من حيث معدل النمو الاقتصادي (gy) فإنه بدأ بالانخفاض تدريجياً منذ بدأت الحرب مع إيران عام ١٩٨٠، حتى وصل الصفر عملياً بعد عام ١٩٨٥ وذلك عند احتسابه بالأسعار الثابتة. فحتى الزيادة في الصادرات النفطية منذ أواسط الثمانينات استوعب معظمها التدهور في أسعار النفط بعد عام ١٩٨٦. كل ذلك أدى إلى جعل معدلات النمو الاقتصادي سالبة وأواخر عقد الثمانينات ولكن هذه المعدلات السالبة أصبحت منذ فرض الحصار الاقتصادي في آب عام ١٩٩٠ ذات حجم فائق. إذ ربما انخفض الانتاج القومي الإجمالي بحدود ٣٠٪ خلال عامي ١٩٩٠ - ١٩٩١ وبحدود ٥٠٪ حتى أواسط عام ١٩٩٢. أما المرونة الداخلية للطلب على النقد (h) فلا تتوقع لها أن تكون كبيرة، بل نتوقع ألا تزيد قيمتها على الواحد (٢٣) وذلك للأسباب التالية:

(١) انخفاض مستويات معيشة شريحة مهمة من السكان. خاصة في ظل التضخم المفرط السائد، إن لم يكن كلها لأغراض استهلاكية. أي أن الطالب على النقود هو في معظمه، إن لم يكن في كفه، طلباً عليها لأغراض المعاملات (٢٤).

(٢) التضخم المتوقع وتوقع ارتفاع الأسعار بمعدلات أكبر وبصورة متسارعة استناداً للتجارب الماضية للسكان خاصة بعد عام ١٩٩٠، مما يدفع بهؤلاء إلى التخلص من نقودهم التي تتآكل قيمتها الحقيقية باستمرار وبصورة متزايدة، ويجعلهم يفضلون عليها الموجودات الحقيقية التي ترتفع قيمتها النقدية باستمرار.

(٣) تدهور القيمة الحقيقية للأرصدة النقدية الاسمية، وتوقع تزايد هذا التدهور في ظل

الارتفاع المستمر في الأسعار، مما يدفع بالأفراد نحو التخلي عن أرصدتهم النقدية تلك باتجاه موجودات تتزايد قيمتها الحقيقية باستمرار.

(٤) تدهور سعر صرف الدينار في السوق الموازية مما يجعل الأفراد يفضلون العملات الأجنبية والذهب كلياً تقريباً. فلا يحتفظون بأرصدة نقدية اسمية (بالدينار) إلا الحد الأدنى اللازم لتمشية معاملاتهم اليومية الضرورية.

(٥) الشح السلعي الواسع، وتقدم السلع المصنوعة الموجودة، وشدة الحاجة لقطع الغيار، والاعتماد بشكل كبير على المستلزمات الأولية والسلع المستوردة ذات الكلفة المالية لدى المنشأ الأجنبي أصلاً.

كل ذلك يجعل المرونة الداخلية للطلب على النقد في العراق أحادية في اعتقادنا. وهي على أية حال فرضية تحتاج إلى إثبات إحصائي وكمي لا يتيسر لنا حالياً. ولكننا نعتقد أننا قريبون منه إلى حد ما في ظل التبريرات التي سقناها أعلاه.

في ظل هذه المعلومات والاقتراضات، كم يجب أن يبلغ معدل التضخم في العراق حالياً؟ وكم بلغ منذ عام ١٩٩٠ مقارنة بعام ١٩٨٨ وهي السنة التي توقفت فيها الحرب مع إيران؟ يبين الجدول التالي معدلات التضخم المحتمبة في ظل الاقتراضات التالية:

(١) معدل نمو نقدي سنوي وسط بين ٢٥٪ و ٣٠٪ - أي بحلول ٢٢.٥٪ سنوياً.

(٢) معدل نمو نقدي سنوي ٢٥٪.

(٣) معدل نمو نقدي سنوي ٣٠٪.

(٤) معدل انخفاض في الناتج المحلي الإجمالي في عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١ بنسبة ٣٠٪.

(٥) معدل انخفاض في الناتج القومي الإجمالي في عام ١٩٩٢ بنسبة ٥٠٪.

(٦) مرونة داخلية للطلب على النقود مساوية لواحد.

معدل النمو نقدي سنوي	المرونة الداخلي الطلب السنوي على النقود	معدل نمو الفرق المحلي الاجمالي	معدل التضخم
gm %	(h)	(gy)	(gp)
-		%	%
(١) ٢٥	١	(٢٠ -) %	٥٥
(٢) ٥,٧	٢	(٢٠ -) %	٥٧,٥
(٣) ٣٠	١	(٢٠ -) %	٦٠
(٤) ٢٥	١	(٥٠ -) %	٧٥
(٥) ٢٧,٥	١	(٥٠ -) %	٧٧,٥
(٦) ٣٠	١	(٥٠ -) %	٨٠

من الملاحظ أن معدلات التضخم المحتمبة حتى في ظل الاقتراضات، التي قد تكون مبالغاً

فيها، هي قل بكثير من معدلات التضخم التي أشرنا إليها سابقاً والتي تجاوزت في بعضها ٥٠٠٪ سنوياً ووصل بالنسبة للسلع الغذائية أكثر من ١٠٠٪ سنوياً، خاصة في السنة الأخيرة (١٩٩٢). ولعل الأساس في هذا الاختلاف هو أثر عامل (التضخم المتوقع) خصوصاً والتوقعات عموماً بشأن استمرار الحصار الاقتصادي والشح السلمي، مما يدفع بالأسعار نحو الأعلى ويجعل معدلات التضخم الفعلية أعلى بكثير من معدلاتها المحتملة. كما أن إحصاءات الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي، وكذلك الأرقام الخاصة بعرض النقد ومعدلات النمو فيها قد لا تكون دقيقة في الغالب مما لا يسبغ على معدلات التضخم المحتملة كثيراً من المصداقية - وهو ما يصدق على معظم الدول النامية إن لم يكن كلها.

والمهم في الأمر أن النتيجة التي يمكن الوصول إليها من هذه المعلومات، مهما كانت غير دقيقة، هو أنها تشير إلى أن التضخم الذي يحتاج الاقتصاد العراقي حالياً يعود ليس إلى أسباب نقدية صرفة وإنما إلى عوامل حقيقية وأخرى نقدية. فالانخفاض الكبير في الناتج المحلي الإجمالي مع الزيادات الضخمة في عرض النقد، خاصة منه العملة في التداول، هما المسيبان الرئيسيان لمعدلات التضخم المفرطة واستمرار تناميها منذ عام ١٩٩٠. غير أن أثر (هزة العرض) الناتجة عن الحصار الاقتصادي، وبالتالي التدهور في النتائج المحلي الإجمالي. وكذلك السياسة المالية التوسعية والعجز المالي الكبير والمتواصل، اللذين سادا الاقتصاد العراقي طيلة عقد الثمانينات، ومن ثم تفاقمها منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن، لم يكونا ليسببا التضخم الجاري حالياً لو لم يصاحبهما نمو نقدي واسع جداً، خاصة بشكل إصدار نقدي كبير ومتواصل ناتج مصرفي مركزي وتجاري للعجز المالي المذكور (٢٥) الذي نتج عنه دين حكومي واسع انعكس بصورة مهمة في النقد القاعدة Base Money من خلال ائتمان البنك المركزي إلى الحكومة. وقد صاحب ذلك ميل الدين الحكومي الحقيقي بأن يرتفع مع التضخم مما يجعل الأخير حدثاً ذا امكانية كبيرة على الانفجار وذاتي التولد ويزيد التضخم ذاته من اقتراب الحكومة، مما يوسع النقد القاعدة ومن عرض النقد اللذين يزدان بدورها من معدل التضخم الذي يضاعف من العجز المالي الحكومي... إلخ.

إن هذه الحقيقة تقيل إلى أن تولد عملية يصعب احتواؤها. ولأسباب مثل هذه يبرهن عرض النقد عموماً على أنه المتغير الأكثر تحدياً لامكانية التنبؤ به في الأنظار الأقل نمواً كما في العراق، بسبب السلوك غير الثابت للعملة والاحتياجات الفائضة وهيمنة الحكومة وميزان المدفوعات في سلوك القاعدة النقدية (٢٦).

٢ - معيار الاتفاق الكلي (الطلب الكلي): في الوقت الذي توقف فيه عملياً النمو في الناتج المحلي الإجمالي في الفترة ١٩٨٣ - ١٩٩٠ - بل وتناقص في الواقع كما أشرنا إليه أعلاه، خاصة في الفترة اللاحقة ١٩٩٠ - ١٩٩٢، فإن الطلب الكلي في الاقتصاد العراقي بقي يتزايد بمعدلات كبيرة، متمثلاً بالاتفاق الحكومي والاتفاق الاستهلاكي الخاص والاتفاق الاستثماري (اجمالي الاتفاق



على تكوين رأس المال الثابت) مما أدى إلى خلق فجوة كبيرة متصاعدة بين الطلب الكلي والعرض الكلي من السلع والخدمات بلغت ٣٣٪ من الناتج المحلي الاجمالي. وقد ارتفعت حصة الاستهلاك الأسري من الناتج المذكور من ٢٢.٥ ٪ إلى ١٩٨٠ ٪ إلى ٤٩ ٪ عام ١٩٩٠. وارتفعت نسبة الاتفاق الحكومي من ١٥.٣ ٪ في العام الأول إلى ٣١.٥ ٪ في العام الأخير (٢٧). وإذا قدرنا أن الناتج المحلي الاجمالي قد انخفض في عامي ١٩٩١ و ١٩٩٢ بنسبة ٥٠ ٪ مما كان عليه عام ١٩٩٠، وأن الاتفاق الاجمالي قد زاد وسميزيد بنسبة ٢٠ ٪ في العامين الآخرين مما كان عليه في ذلك العام (١٩٩٠) فإن من المقدر أن تصل نسبة الفجوة التضخمية (الطلب الكلي - العرض الكلي) إلى مايزيد عن ٣٠ ٪ عام ١٩٩١ ومايقرب من ٤٠ ٪ من الناتج المحلي الاجمالي لعام ١٩٩٢. وهي فجوة ضخمة حقاً تفسر بما لايدع مجالاً للشك معدلات التضخم المفرطة التي حدثت أو التي يتوقع لها أن تتحقق عام ١٩٩٢ في ظل الحصار الاقتصادي وتوقف الصادرات النفطية، وتدهور المركز التجاري للقطر ونضوب احتياطياته الأجنبية وتجميد أرصده النقدية في الخارج، وتصاعد الاتفاق والعجز المالي الحكوميين الممولين مصرفياً، وأخيراً وليس آخراً الزيادة الضخمة في عرض النقد والنمو الكبير في قاعدة النقد الأساس مقابل تدهور خطير في العرض والانتاج الكليين من السلع والخدمات.

### رابعاً: طبيعة التضخم في العراق:

هل هو تضخم جامح أم تضخم مفرط؟

إذا كان معيارنا للتضخم الجامح هو معدل التضخم ذي رقمين ومن فئة الـ ٢٠ ٪ ومضاعفاتها سنوياً، فإن مثل هذا التضخم بدأ حتماً عام ١٩٨٠ عندما ارتفعت الأسعار في العام المذكور مقارنة بالعام الذي سبقه عام ١٩٧٩، وبأسعار عام ١٩٧٤ بمعدل ٢٦ ٪. ثم زادت عام ١٩٨١ إلى ٣٩ ٪. ووصلت عام ١٩٨٧ إلى ٤٧ ٪. ثم قفزت عام ١٩٨٨ إلى ٨٣ ٪. وأخيراً وصلت عام ١٩٩٠ إلى ٢٥٧.٥ ٪ متجاوزة حاجز الـ ٢٠٠ ٪ سنوياً. أما بعد عام ١٩٨٨ وبأسعار ذلك العام، فقد وصل معدل تضخم عام ١٩٩١ إلى ٢٥٧.٩ ٪ وعليه فإن المحقق أن التضخم في العراق طيلة عقد الثمانينات، بالأرقام القياسية الرسمية، هو تضخم جامح لا ريب فيه ثم أصبح تضخماً مفرطاً بدءاً من عام ١٩٨٩. هذا علماً بأن الأرقام الرسمية تخضع لبعض التحفظات التي أشرنا إليها ومن أهمها كون العديد من الأسعار محددة مركزياً وبالتالي فإنها رسمية، قيل إلى جعل الرقم القياسي متغيراً تنازلياً. كما الرقم القياسي بأسعار المستهلك يخضع لتحفظ آخر مهم وهو إعطاء أوزان غير دقيقة لمختلف فقرات الرقم القياسي المذكور، ومن أهمها الوزن المنخفض نسبياً المعطى لفقرات (الايجار) فلر أولنا هذه التحفظات لكان يمكن القول بأن معدلات التضخم كانت ستكون أعلى مما تحلته الدوائر الرسمية المعنية.

هذا فيما يخص الرقم القياسي العام لأسعار المستهلك. أما إذا أخذنا قطاع المواد الغذائية

## الثقافة الجديدة

اختلف الوضع كثيراً. إذ تجاوزت معدلات التضخم الـ ١٠٠٪ سنوياً ففي حين وصل معدل التضخم السنوي في اجمالي المواد الغذائية إلى أكثر من ٥٤٠٪ أو مايقرب من ٥٠٪ شهرياً فإنه تراوح بالنسبة لبعض المواد الغذائية كالرز والسكر والشاي والطحين والعدس والبيض ولحم الدجاج ما بين ٩٠٪ إلى ٥٥٠٪ سنوياً. وذلك في أوائل عام ١٩٩٢، وحسب أسعار السوق الفعلية، وليس الرسمية، وقياساً إلى عام ١٩٨٨. وبهذا المعنى فإن التضخم في أسعار المواد الغذائية، وبالتأكيد كثير غيرها، كالأثاث والمشروبات والدهون، الزيوت والدخان والألبسة والنقل والايجارات، هو ذو طبيعة مقرطة وليست مجرد جامحة. ولما كانت المواد الغذائية تؤلف مايقرب من نصف ميزانية الأسرة. فإن الأثر الكلي على التضخم يجعل الأخير قطعاً في مستوى التضخم المقرط في العام ١٩٩٢.

وللتدليل على أن التضخم كان ومايزال مقرطاً يلاحظ أن معدلات الارتفاع في الأسعار قد فاقت دائماً تقريباً معدلات الزيادة في عرض النقد. وهي خاصية مهمة ثبتت من تجارب ألمانيا وغيرها مع التضخم المقرط الذي حدث فيها في العشرينات والأربعينات كما تمت الإشارة إليها سابقاً. ففي الفترة ما بين ١٩٨٢ - ١٩٩٢ كانت معدلات الارتفاع في الأسعار وعرض النقد بالمعنى الضيق كما

يلي:

السنة	معدل التضخم في قوائم القياسي لأسعار المستهلك (١) (Z) (١٩٧٣ = ١٠٠)	معدل التضخم في عرض النقد (٢) (Z)
١٩٨٢	٣١	٢٤,٨
١٩٨٣	٣٢	١٠,٩
١٩٨٤	٢٤	- ٠,٥
١٩٨٥	١٥	٥,٠
١٩٨٦	٤	٧١ (٣)
١٩٨٧	٤٦	٢١,٠
١٩٨٨	٨٣	٢١,٠
١٩٩٠	٣٥٧,٥	(٥) ٢٥,٠
١٩٩١	٣١٧,٩ (٤)	(٥) ٢٥,٠
١٩٩٢	ما يزيد على ١٠٠٪	(٥) ٣٠,٠

- (١) وزارة التخطيط العراقية. تطور أسعار المستهلك للفترة ١٩٧٨ - ١٩٨٨ وعلاقتها بالانفاق الاستهلاكي للفرد في العراق. آب. ١٩٨٩.
- (٢) البنك المركزي العراقي. حتى عام ١٩٨٥.
- (٣) افترض الباحثان أن معدل نمو عرض النقد بالمعنى الضيق بقي محدود ٢١٪ سنوياً حتى عام ١٩٨٩ وذلك استناداً إلى معدلات النمو النقدي في الفترات السابقة وكذلك استمرار الحكومة في تمويل العجز في الميزانية العامة تمويلياً مصرفياً.
- (٤) بأرقام عام ١٩٨٨.
- (٥) نسب مقدرة على أساس تزايد معدل النمو النقدي بنسبة ٤٪ في كل من عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١ و ٥٪ في عام ١٩٩٢ مقارنة بمعدل النمو المقدر لعام ١٩٨٩.

ومن الواضح أن الأسعار قد ارتفعت بسرعة تزيد على السرعة التي نما بها عرض النقد. وبالتالي فإن القيمة الحقيقية للأرصدة النقدية قد انخفضت باستمرار، مما يفسر الهروب من الاحتفاظ بالنقود باتجاه الموجودات الحقيقية، كالمقارنات وبيع الاستهلاك الدائمة والذهب والمجوهرات والعملات الأجنبية. أي أن الطلب على الدينار كمستودع للقيمة قد انخفض بشكل كبير وحل محله الدولار بشكل خاص في تأدية هذه الوظيفة. ولكن الدينار بقي مع ذلك وسيلة دفع ومبادلة مما يعكس قوة الممارسة الاجتماعية الراسخة ويدل على أهمية تلك الوظيفة الأساسية للدينار. ولكن مع هذا فإن الدولار قد أصبح وسيلة التقويم الأساسية، في حين استمر الدينار وسيلة التداول السائدة. وللتدليل على مدى الانخفاض في القيمة الحقيقية للدينار، يلاحظ أنه في حين يقدر أن عرض النقد قد زاد بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٩٢ بقليل يزيد قليلاً عن ثلاث مرات، فإن الأسعار قد ارتفعت ما بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٩٢ فقط بما يقرب من خمس مرات، وما بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٩٠ بما يزيد على سبع مرات. وقد تصل أسعار عام ١٩٩٢ إلى حوالي عشر مرات أسعار ١٩٨٨. وبذلك يمكن القول إن القيمة الحقيقية للدينار العراقي قد انخفضت عام ١٩٩٢ إلى ١٠/١ قيمتها عام ١٩٨٨ وإلى أقل من ذلك بكثير بالنسبة لقيمتها عام ١٩٧٤.

### خامساً: التحليل الاقتصادي للتضخم

يوحي التحليل الأولي للتضخم في العراق بسيادة عاملين أساسيين في حدوثه وهي:  
أولاً - الحصار الاقتصادي الشديد الذي مثل صدمة عرض نتج عنها شع شعلي واسع مارس ضغطاً على منحنى عرض السلع والخدمات فنقله يساراً.  
وثانياً - التحويل المصرفي الواسع للعجز الحكومي الذي سبب ضغطاً على منحنى الطلب الكلي على السلع والخدمات فتحول يميناً..

العامل الأول حقيقي. أما العامل الثاني فنقدي. وقد نتج عن العامل الحقيقي شع شعلي تولد عن توقف الاستيرادات جزئياً وارتفاع تكاليفها بسبب التضخم في زسماها. وفي تكاليف شحنها ونقلها والتأمين عليها ووزنها. بالإضافة إلى تكاليف الوسطاء العديدين وكون سوقها سوق البائعين.

يضاف إلى ذلك انخفاض سعر صرف الدينار، أو ارتفاع سعر الصرف الأجنبي، خاصة بالنسبة للدولار، بنسبة كبيرة مقارونة بالسعر الرسمي للدينار، والذي هو مغالى فيه أصلاً وبدرجة كبيرة، مما نتج عنه ارتفاعات محسوسة في أسعار السلع المستوردة جميعاً، خاصة الغذائية منها، وهي التي تشكل غالباً الجزء الأكبر من الطلب المحلي على السلع المذكورة. فإذا زدنا على ذلك هوامش الربح المرتفعة التي يفرضها البائعون المحليون. وكثرة الوسطاء، فإن آثار ذلك على السلع المعروضة تصبح واضحة. ليس هذا فقط، وإنما هنالك ظاهرة مهمة تبرز في مثل هذه الحالات، وهي أن هناك جزءاً من

المعرض السلعي يقيم البائعون بحجبه عن السوق متمثلاً بخزين سلعي يبقى بعيداً عن متناول المشترين. ويهدف منه البائعون المضاربة في أسعاره، مما يخلق ارتفاعات اصطناعية اضافية في أسعار السلع المعروضة. فيفاقم من ذلك من معدلات التضخم السائد. وربما يشكل هذا الخزين جزءاً كبيراً من كميات السلع المتاحة التي لو عرضت كلها ومعدلات معقولة لحدت كثيراً من الانخفاضات في الأسعار.

كما يتولد الشح السلعي عن تراجع شديد في الانتاج المحلي، وانخفاض شديد في مرونة العرض السلعي ناتجة عن عدم استغلال الطاقة الانتاجية المتاحة بشكل كامل أو كفاء نظراً إلى أن نسبة كبيرة من مستلزماتها هي ذات منتج استيرادي أجنبي.

وتؤدي هذه العوامل كلها، بالضرورة، إلى نتيجتين مهمتين هما:

(١) إن متعنى العرض الكلي السوقي سيتقل إلى اليسار، خاصة بسبب تصاعد تكاليفه بالشكل الذي أورده أعلاه.

(٢) إن مرونة العرض تصبح، وللأسباب ذاتها، منخفضة بشكل كبير لعدم قدرة العرض على التجاوب بسرعة وسهولة للتغيرات الكبيرة في الأسعار، إما لأسباب تلقائية، كعدم القدرة على استغلال الطاقة الانتاجية بدرجة كبيرة كاملة أو كفاءة، أو لأسباب كيفية ناتجة عن تلاعب البائعين وحجب جزء كبير من العرض عن السوق.

أما العامل الثاني النقدي، فيتمثل بالزيادة الكبيرة في الطلب النقدي السوقي الناتجة أصلاً عن التمويل المصرفي لعجز الماني الحكومي الذي سببه الاتفاق الحكومي الواسع، مما دفع بمنعنى الطلب السوقي إلى اليمين بعيداً، فمعجل بذلك من الارتفاع الشديد في الأسعار، وبصورة متواصلة. وقد خلق ذلك ليس فقط طلباً واسعاً شديداً، وإنما قليل المرونة أيضاً، بمعنى أن الارتفاع في الأسعار لن يقلل كثيراً من حجم الطلب إلا بدرجة محدودة وهو أمر ينتج عن توقعات المستهلكين المتشائمة وغير المرونة بشأن ولرة السلع وارتفاع أسعارها مستقبلاً. وهنا تلعب التوقعات والأسعار المتوقعة، دوراً أساسياً في زيادة حجم الطلب من ناحية، وفي انخفاض مرونته السعرية من ناحية أخرى. وهو ما أكدت عليه النتائج التي توصل إليها الباحثون الاقتصاديون حول التضخم المفرط في البلدان الأوروبية كما أشرنا إليها أعلاه (...)

إن المعنى الاقتصادي لذلك هو أن التضخم المفرط الذي يسود الاقتصاد العراقي حالياً لا يمكن تفسيره ببساطة تفسيراً (نقدياً) عازين إلى النمو النقدي المفرط الدور الأساسي في إحداثه وتعميقه كما يلحظ إليه النقديون، ومنهم CaGan الذي أشرنا إليه، وإنما قد تأصل، كما نعتقد، في الجانب غير النقدي من الاقتصاد الوطني. وهو الجانب السلعي الذي شحت موارده وجفت مصادره بسبب الحصار الاقتصادي. ذلك هو التفسير غير (النقدي) للتضخم الحالي في مبداءه على الأقل. أما بعد أن حدث الشح السلعي فارتفعت الأسعار بشكل رهيب، فإن التوسع النقدي المفرط يلعب الدور

الأساسي في تسارع التضخم منذ أواسط عام ١٩٩٠ وحتى الآن. وهو ماذهب إليه Kaufman وBall سابقاً من أن الزيادات غير الطبيعية في عرض النقد، والشح غير الاعتيادي في السلع يؤثران على حالة التوقعات حول الأسعار فيضخان أساساً لتضخم مفرط، تصبح فيه علاقة عرض النقد بالطلب على الموارد مباشرة وأنيمة، وذلك من خلال الاتفاق الحكومي الواسع وهو مايعتد في العراق حالياً.

هذا هو واقع الحال في أوائل التسعينات. فكيف نفسر التضخم الجامع في عقد الثمانينيات؟ هل كان النمو النقدي هو الدافع الأساسي فيه؟ الجواب قطعاً هو بالإيجاب. فلم يكن هناك في ذلك الوقت شح سلعي كما هو الوضع الآن، ولم يكن هناك حصار اقتصادي، ولكن كانت هناك حرب استدعت تحويل بعض الانتاج والاستيرادات نحو سد الحاجات الدفاعية. ولكن الدعم الحكومي للأسعار والرقابات عليها، وتجميد بعضها، يسرت كلها منع الأسعار في أول الأمر من الجموح وذلك حتى عام ١٩٨٧ عندما عكست الحكومة سياستها وخفضت من الرقابات الرسمية وسمحت للأسعار بالتحرك بحرية أكبر، في وقت تزايد فيه عرض النقد، مما أحدث في أواخر العقد ارتفاعات أكبر في الأسعار مسبباً بذلك تضخماً جامعاً بدأت بوادره منذ أوائل الثمانينات، وانقلب إلى تضخم مفرط في التسعينات، وقد أكد البحث على أهمية العوامل النقدية في أحداث التضخم الجامع في الثمانينات بصورة لا تقبل الشك ولايحتمل أن تثير تساؤلات نافية لذلك.

### سأشأ: ماالحل: كيف يمكن معالجة التضخم؟

يقول أحد الاقتصاديين، وبحث، أن التضخم كلما طال تزايد وتفاقم. وإننا كلما قاشينا معه، ضعف رد فعلنا الفريزي والايجابي ضده، وإن القضاء عليه هو أمر مكلف بقدر ماأن استمراره هو عملية مكلفة أيضاً، لذا فإن من الضروري التوصل إلى التوازن بين كلفة تواصله وكلفة إيقافه. وقد لا يكون ذلك سهلاً مادامت تكاليف إزالته قصيرة الأجل في حين أن منافعه لا تتحقق إلا على المدى الطويل (٢٩) وما إذا كانت تكاليف إزالته مرتفعة أم لا هي في الأساس مسألة يتصف الحكم فيها بكونه سياسياً أكثر منه اقتصادياً (٣٠). وهو أمر أوضح ما يكون عليه واقع الحال في العراق في الوقت الحاضر (١٩٩٢). إن التضخم هو عملية Process وليس مجرد ظاهرة Phenomenon. لذا فإن مايجب معرفته هو الآلية التي تدور بها رعى التضخم الطاحنة وكيف يمكن إيقافها،

فهاستطاعنا تحديد الحوادث والمجريات والأفعال التي بدأت تتضخم. وهو ماقلعنا بالنسبة للعراق، الحصار الاقتصادي، الشح السلعي، شح الموارد المالية، العجز المالي الحكومي، التمويل المصرفي للعجز المالي الحكومي، التمويل المصرفي للعجز من خلال الديون الحكومية العامة، التوسع النقدي... إلخ. ولكن الفعل الذي بدأ التضخم هو أقل أهمية بكثير من العوامل التي تديم التضخم، فليس أصل Genedid التضخم هو مايجب الاهتمام به وإنما ديناميكية وأسباب ديمومته (٣١).

إن التضخم هو مشكلة سياسية أكثر منها اقتصادية فهناك عوامل قوية، غير اقتصادية تحدد معدل التضخم وبالتالي فإن من المؤكد أن تصميم طرق عملية للتعامل معه هو أيضاً مشكلة تقع بدرجة رئيسية خارج علم الاقتصاد التقني (٣٢). وهو أمر يصدق تماماً على العراق في الظروف الراهنة التي يمر بها، محلياً وإقليمياً وقومياً ودولياً. فالأزمة الاقتصادية التي يمر بها هذا القطر حالياً بما فيها أزمة التضخم، هي ذات طبيعة سياسية أكثر منها اقتصادية، لذا فإن حلها هو سياسي كذلك. في معظمه إن لم يكن في كله. فالشع السلمي (هزة العرض) ناتج عن الحصار الاقتصادي المحكم القائم على عوامل سياسية، والنمو النقدي الواسع والمطرود هو أيضاً حصيلة إنفاق حكومي مفرط وممول مصرفياً ويخضع بدوره لعوامل سياسية بقدر ما يخضع لمتطلبات اقتصادية. لهذا لا تترى حلاً سريعاً وحاسماً للأزمة المستفحلة إلا من خلال إجراءات سياسية فعالة يتوجب على الحكومة القيام بها وهي أدنى بها وأهلها.

أما على المدى القصير، فنحن لا تترى أكثر من محاولة رفع كفاءة الانتاج المحلي، وإعادة تشغيل الطاقة الانتاجية العاطلة اعتماداً في الأساس، على الموارد المتاحة محلياً، وتقليل الاعتماد على المستلزمات المستوردة قدر المستطاع ومحاولة التوسع في البطاقة التموينية من حيث كميات السلع وأنواعها الموزعة والمدعومة مركزياً حماية للفتات الشعبية ذات الدخل المحدودة والراغبة. هذا بالإضافة إلى ضرورة الضغط على القطاع الخاص لكي يفتح بهوامش ربح معقولة ولكي يفرض أسعاراً معتدلة ولكن مجزية ولكي يشعر بمسؤوليته الاجتماعية ويلتزم بالمبادئ الخلقية بالتعامل مع المواطنين الذين سحقتهم التضخم حتى العظم.

ومن ناحية الطلب، ليس لنا إلا أن ندعو إلى عقلنة الاتفاقيات الحكومية، ورفع كفاءته، ومنع الهدر والإسراف فيه وتوجيهه نحو حقول الانتاج التي تشبع بشكل خاص الحاجات الأساسية للسكان والاهتمام بالجانب المدني منه بدرجة رئيسة.

عن (الوطن) - آذار

- (١) P.A. Samuelson And W.A. Nordhaus, Economics, (N.Y. McGraw Hill Book Co., 12th, Ed., 1985) PP. 229\_230
- (٢) المصدر نفسه ص ٢٢٠
- (٣) P. CaGan, "The Monetary Dynamics of Hyperinflation" in: M. Friedman, (Ed), Studies in the Quantity Theory of Money (Chicago: The University of Chicago Press, 1954). P.26.
- (٤) G.G. Kaufman, Money, Financial System and the Economy, (Boston: Houghton Mifflin Co., 1981) P.55
- (٥) R.J. Ball, Inflation and The Theory of Money, (London: George Allen and Unwin Ltd., 1964) P.261.
- (٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٢ .
- (٧) المصدر نفسه.
- (A) M.L. Burstein, Money, (Cambridge, Mass. Shenkman Publishing Co., 1963). P.462.
- CaGan, Op. Cit., P.26. (١٠)
- Burstein, Op. Cit., P.465. (١٠)
- CaGan, Op. Cit., PP. 86\_88. (١١)
- (١٢) المصدر نفسه ص ٩١
- (١٣) انظر عبد المنعم السيد علي، *الأيام الاقتصادية والاجتماعية للتنظيم في العراق*، ١٩٧٨ - ١٩٨٨ وعلاقتها بالإنفاق الاستهلاكي للفرد في العراق، آب، ١٩٨٩، الجدول رقم ١٢، ص ١٨
- (١٤) المصدر نفسه.
- (١٥) المصدر نفسه
- (١٦) الأمم المتحدة، *الجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، الأسعار والخصومات المالية*، العدد ٩١، ١٩٨٩، ص ١٨ .
- (١٨) انظر في ذلك دراسة قيمة ومناقشة واسعة في R. Dornbusch & S. Fischer, *Macroeconomics*, (Tokyo: McGraw Hill International Book Co., 3rd, ed., 1984), CH.15
- (١٩) استناداً في ذلك إلى معلومات احصائية صادرة عن البنك المركزي العراقي للفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٥، أما بعد ذلك فالارقام تستند إلى تقديرات شخصية مبنية على تجارب العراق النقدية خلال النصف الأول من عقد الثمانينات.
- (٢٠) IMF, *World Economic Outlook*, (May, 1990). PP. 56\_58
- (٢١) المصدر نفسه
- (٢٢) المصدر نفسه
- (٢٣) انظر بشار أحمد العراقي، *المحددات الرئيسية للطلب على النقود في البلدان النامية* (١٩٦٩ - ١٩٨٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص ١٤٢ - ١٤٧، وص ١٦٦
- (٢٤) أي ليس هناك طلب نقدي لأغراض المضاربة وذلك بسبب ضيقة الإن لم يكن غريباً، أثر سعر الفائدة وغياب الأسواق المالية والنقدية المنافسة وعدم توفر موجهات مالية كافية وذات شعور مغرور أو مواصفات جذابة بالنسبة للمستثمرين.
- (٢٥) Dornbusch and Fischer, Po. Cit., PP.441\_443
- (٢٦) W.L. Coats and D.R. Khatkate, "Money and Monetary Policy in Less Developed Countries, Survey of Issues and Evidences, (Oxford: Pergamon. 1980). P.18
- (٢٧) وزارة النفط العراقية، *هيئة التخطيط الاقتصادي*، تطور أوجه الإنفاق في العراق، ١٩٩٠، ص ٢٢ (٢٨) يمكن نظرياً أن تضيف خزائن اليانمين إلى طلب المستهلكين على اعتبار أنه يمثل طلباً سوقياً مما سيؤدي بمنحني طلب السوق إلى اليمين إلى مسافة أبعد مما سيؤدي من أسعار السوق، وبالتالي من معدلات التضخم، فيجعل المستوى السائد للأسعار أعلى مما يظهر في الشكل
- (٢٩) P. Browning, *Economic Images: Current Economic Controversies*, (London: Longman, 1983).
- (٣٠) المصدر نفسه ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- (٣١) المصدر نفسه ص ١٢٨ .
- (٣٢) المصدر نفسه ص ١٥٥ - ١٥٦ .

## منهجية التصنيف العقائدية: قواعد الحدود وأوحدية الحقيقة

### د. ميثم الجنابي

إذا كان من الميث الآن سبر غور متاهات الدهاليز اللاهوتية المذهبية، فإن الأخيرة شكلت الخلفية الواقعية لفهم يمثل الملل والنحل الاسلاميين، واقع الانقسام والفرقة في الامة وتقييم مدارسها وشيعها. ولم تكن هذه العملية ضيقة الفعالية، كما يبدو للوهلة الاولى. فعلى الرغم من ان تعداد الفرق وحصرها في عدد معين قد ساهم في تضيق تتبع الصيغة الفعلية لظهور وتطور وازدياد عدد الفرق، إلا انه قدّم في الوقت نفسه قواعد الحدود الضرورية في افراز الجوهرية والثانوية؛ وفي الوقت الذي وضع اغلبية الفرق في خانة الضلال والانحراف، فإنه افرد في الوقت نفسه اوحدية الحقيقة. وفي الوقت الذي اعطى للجميع امكانية اتهام وانتقاد وتفسير الآخرين، فإنه خلق امكانية تقييم الذات باعتبارها هي الفرقة الناجية.

فباستثناء ابن حزم (ت - ٤٥٦ هـ) فإن كل ممثلي العلم المللي النحلي الاسلامي اتخذوا من حديث انقسام الامة مقدمة «شرعية» لتناول موضوعاته. إلا ان هذه المقدمة، لم تؤد الى نتائج موحدة. انما، ان امكن القول، شكلت مقدمة التناظر اكثر مما هي مقدمة الوحدة. وذلك يعكس دون شك طابعها العقائدي - المذهبي لا المنهجي التحليلي. فاذا كان التوبختي (ت - حوالي ٢٢٠ هـ) قد لاحظ، منذ وقت مبكر، أن مفهوم الجماعة في آراء الفرق المتصارعة يعكس مضمون الفرقة (الافتراق) أكثر مما يعكس مضمون الجماعة (الوحدة)، فإنه يكون قد حدس ودقق الطابع الايديولوجي للحديث. وهذا ما يفسر لحد ما غاية في تصنيفه للفرق. غير ان غياب هذا الحديث، بله رفضه عند ابن حزم (ت - ٤٥٦ هـ) لم يحل دون اشتداد عناصر الايديولوجية - العقائدية في



آرائه. ومع ذلك، فإن حصيلة التحليل المنهجي - العقائدي في مدارس الملل والنحل الاسلامية قد ابدع ضمن ومن خلال «شرعية الحديث»، قوانينه التصنيفية العامة المستندة في الاطار العام الى الرؤية الواقعية لتعدد الفرق وتباينها. ولهذا ليس من قبيل الصدفة ان يشترك اغلب مؤلفي كتب الملل والنحل المسلمين في تقسيماتهم العامة للفرق الكبرى. فالبخري (ت - ٣١٧ هـ) قسم فرق الامة الكبرى الى ست (الشيعية والخوارج والمعتزلة والمرجئة والعامة والحشوية)، في حين تتطابق تقسيمات الشوبختي والاشعري والبغدادي تطابقاً كلياً. انهم يقسمونها في الاطار العام الى أربعة فرق كبرى عند الشوبختي (الشيعية والمعتزلة والمرجئة والخوارج)، وعند الاشعري (الشيعية والخوارج والمرجئة والمعتزلة) وعند البغدادي (الروافض والخوارج والقدرية المعتزلة والمرجئة). وتتطابق آراء ابن حزم تطابقاً شبه كلي مع هذه الصيغة. فهو يضيف الى الفرق الاربع العامة، الالفة الذكر، فرقة اهل السنة. ولا تختلف في الواقع، تقسيمات الشهرستاني عن سابقه، من حيث اتجاهايتها العامة، إلا في مجال تصنيفها التقييمي. فهو يضيف الى جانب المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعية اتجاهاً الجبرية والصفائية. أي انه يزاوج بين آراء الفايضي والاشعري والبغدادي وابن حزم التصنيفية العامة. وهو بهذا المعنى، يشكل استمرارية ونغماً رفيع المستوى للتصنيف الذي سبق وان طرحه الملطي (ت - ٣٧٧ هـ) في تصنيفه للفرق العامة (الزنادقة والجهمية والقدرية والمرجئة والرافضة والحروية) والبغدادي (الذي اضاف الى الفرق الاربع العامة فرق النجارية والجهمية والمشبّهة).

وسوف يظل هذا التقسيم والتصنيف محافظاً على «بؤرته» الاساسية تجاه الفرق الكبرى حتى في الكتابات المتأخرة نسبياً، كما هو واضح في تصانيف فخر الدين الرازي (ت - ٦٠٦ هـ) وابن المرتضى (ت - ٨٤٠ هـ). فالشيء الجديد الذي يدخله الرازي في تصنيفه العام هو فرق الصوفية الى جانب (المعتزلة والخوارج والروافض والمشبّهة والكرامية والجبرية والمرجئة)، رغم انه ليس الوحيد، فيما لو اخذنا بنظر الاعتبار تلك الصياغة الاولى التي حاول فيها الاسفرايني (ت - ٤٧١ هـ) في كتابه (التبصير في الدين) ادخال المتصوفة في فرقة اهل السنة والجماعة. اما ابن المرتضى، فانه تتبع تصنيفات المعتزلة والشهرستاني والرازي. فهو يضيف الى الفرق الاربع الكبرى كل من (المجبرية والباطنية والحلولية والزيدية). وفيما لو تعمقنا في تفصيل هذه الصياغات العامة، فان ظاهرة التصنيف، تبدو اكثر تعقيداً وعرضة للتبدل والتنوع الذي من الصعب ان يحصره مقياس معين، باستثناء مقياس الانتماء الفكري والمذهبي.

ان التأثير الواضح لهذا الانتماء يظهر في ترتيب الفرق أو حشرها في الاتجاهات العامة. وفي الواقع اتنا لا نثر على أي من مؤلفي كتب الملل والنحل الاسلامية، ممن استطاع التجرد كلياً من التأثير المباشر أو اللامباشر لهذا الانتماء. ولربما شكل الشهرستاني فقط نموذجاً فريداً دون ان يعني ذلك تجرده الكامل. اذ ان ظاهرة النقاء أو التجرد الكامل في عالم الصراع الفكري والمذهبي - العقائدي، ليس لها ما «يسررها» من وجهة النظر التاريخية. وهي بهذا المعنى لا تعني رديفاً للموضوعية الناقصة، على العكس انها تكمل الموضوعية من وجهة نظر التحليل الفكري.

كان جميع ممثلي علم الملل والنحل اسلامي المنشأ والتربية والعقيدة. وبالتالي، فانهم نظروا الى اعمالهم باعتبارها جزءاً من مهماتهم الروحية ايضاً. وان هذا التناقض النسبي بين الانتماء الروحي - العقائدي والموضوعية الفكرية الصارمة، كان على الدوام المحرك القائم وراء بلورة وصياغة تقاليد الملل والنحل وتصنيفاتها للفرق.

فاذا كان الملطي (ت - ٣٧٧ هـ)، على سبيل المثال، قد اجهد نفسه في تقسيم الفرق الى ثلاث وسبعين فرقة متباعدة حرفة الحديث، تماماً مثلما فعل البغدادي (ت - ٤٢٩ هـ) والشهرستاني (ت - ٥٤٨ هـ) وابن المرتضى (ت - ٨٤٠ هـ)، فان كلاً منهم قد أسهم في جمع وترتيب عدد الفرق. فالملطي يقسمها على الشكل التالي: الزنادقة خمس فرق، والجهمية ثمان، والقدرية سبع، والمرجئة اثنا عشرة والرافضة خمس عشرة، والحروية خمس وعشرون. وجعله ذلك يستتج بان مجموعها اثنتان وسبعون فرقة يضاف لها الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة)<sup>(١)</sup>. في حين وزعها البغدادي (ت - ٤٢٩ هـ) بالصيغة التالية: الروافض عشرون فرقة، والخوارج عشرون فرقة، والقدرية المعزلة اثنتان وعشرون فرقة، والمرجئة خمس، والنجارية ثلاث، ثم كل من البكرية والضرارية والجهمية والكرامية فرقة واحدة. أي انه يطبق بصورة دقيقة، شأن الملطي، عدد الفرق الفصاة (اثنتان وسبعون)، بينهما الفرق الاخيرة فهي فرقة اهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث<sup>(٢)</sup>. أما الشهرستاني (ت - ٥٤٨ هـ) فانه لا يقدم ارقاماً دقيقة شأن سابقه، ولكنه يقلع في الاقتراب من كاملية الرقم التقليدي للحديث. إلا ان تعداده للفرق يخلق اشكالات اكثر مما يحلها. فمن الممكن ان تبلغ في إحدى قراءات الفرق الواردة عنده على العدد ثلاثة وسبعين (في حالة جمعنا لها بالصيغة التالية: المعزلة اثنا عشر فرقة، الجبرية ثلاث، والصفائية ثلاث، والخوارج ثمان عشرة، والمرجئة ست، والشيعية تسع وعشرون. ومن الممكن قراءتها بالصيغة التي توصلنا الى الرقم واحد وسبعين، في حالة النظر الى تصنيفه للخوارج باعتبارها ست عشرة فرقة، ومن الممكن ان يكون مجمل عدد الفرق سبعاً وستين في حالة جمع فرق الشيعة بخمس وعشرين فرقة. أو يمكنها ان تكون خمساً وستين فرقة في حالة النظر الى الخوارج باعتبارها ست عشرة فرقة، بينما الشيعة خمس وعشرون). ولكن حتى في حالة الموافقة (وذلك ممكن في حالة التلاعب بالتصنيف العددي للفرق) على ما أشار له الشهرستاني بعد استعراضه الفرق الاسلامية، من انه انجز القسم المتعلق بـ «الفرق الاسلامية» وما بقيت إلا فرقة الباطنية، فان الحصيلة النهائية للرقم تبقى ميبانة لما سبق وان طرحه في مقدمة كتابه عن محاولته امتيغاء «اقسام الفرق الاسلامية ثلاثاً وسبعين فرقة»<sup>(٣)</sup>. وفي كل الاحوال فان هذه القضية، كما سنبين لاحقاً، لم تكن جوهرية بالنسبة لمنظومته التصنيفية. اما ابن المرتضى (ت - ٨٤٠ هـ)، فانه يترج في تدقيق ارقام الفرق الاسلامية نزوع الملطي والبغدادي. أي انه يجد في عدد الفرق الثلاث والسبعين مصداقاً للحديث النبوي حول انقسام الامة والفرقة الناجية منها<sup>(٤)</sup>. إلا ان ذلك لم يمنعه من ان يؤكد تعقيدات هذه القضية<sup>(٥)</sup>. ومع ذلك فهو يقسمها بالشكل التالي: الروافض عشرون فرقة، والمعتزلة عشرون فرقة، والمرجئة ست فرق، والمجبرية اربع فرق، والباطنية فرقة، والحلولية فرقة، والزيدية فرقة.

أما بالنسبة للشخصيات الأخرى كالنوبختي والأشعري وابن حزم والرازي، فإنهم لم يشغلوا أنفسهم بهذا الإفراط العقائدي والمذهبي. فالنوبختي على سبيل المثال، لم يورد الحديث أصلاً إضافة لذلك، إن جل اهتمامه كان منصباً على فرق الشيعة. وهذا ما ينطبق على الأشعري. يسمي اعتبر ابن حزم الحديث مما لا يصدق به، وبالتالي، فإنه رفضه كلياً باعتباره حديثاً لا يصح من طريق الإسناد<sup>(١)</sup>. أما الرازي، فإنه وقف أمام واقع تعدد الفرق الهائل، مما جعله حائراً بين ضرورة حصر الفرق الإسلامية في إطار الرقم الشائع وبين إيجاد تبرير لتعددتها المفرط. فإذا كان ما أورده هو، أكثر من ثلاث وسبعين، فإنه وجد مخرجاً لذلك في فكرته التي صاغها بعبارة: «أنه يجوز أن يكون مراده (الحديث) من ذكر الفرق، الكبار. وما عدنا من الفرق ليست من الفرق العظيمة»<sup>(٢)</sup>. إلا أن من الضروري، حسب نظر الرازي، ألا يكون الرقم أقل من ثلاث وسبعين، في حين لا يضر كثرتهم عن الرقم المذكور<sup>(٣)</sup>. إذ لو عدنا الفرق كافة، كما يكتب الرازي، لجاز أن يكون عددها أضعاف ما ذكرنا، بل ربما وجد في فرقة واحدة من فرق الروافض ثلاثاً وسبعين فرقة<sup>(٤)</sup>.

مما سبق يبدو واضحاً، أن تأثير الحديث في مؤلفات الملل والنحل، قد انصب في إطار ما يمكن دعوته بالمنهجية العقائدية على الأقل فيما يخص تعداد الفرق. ولم تكن هذه المنهجية صياغة مقتعلة لتنافر القوى، بل ونتاجاً ضرورياً لضيق الوعي المذهبي - الفرقي. وفي صياغتها هذه غاية في الديناميكية والتناقض. بهذا المعنى كانت نتاجاً طبيعياً وخاصاً لواقع الخلافة وثقافتها ومنزعها الروحي. فعلى الرغم من تشابهها مع ما هو مميز لكل مراحل التاريخ الفكري، فإن لها خصوصيتها المرتبطة بمنظومات الحضارة المتماسكة، الواحدة، التي تنزع في حركتها القهقرية والابداعية إلى وحدة الأول والآخر.

وإذا كانت الواحدة الحضارية الإسلامية وثيقة الارتباط بالوحدانية الإسلامية، فإنه كان لا بد لها من أن تصطبغ بهذه الحلزونية الفعلية القائمة في حوافز وغايات وعيها الميتافيزيقي والوجودي وليس من قبيل الصدفة أن يحتل صراع السنة والبدعة في الوعي الإسلامي تلك المكانة الحساسة، التي وجدت تعبيراتها العديدة في ثنائيات التناقض الوجودي كالاول والآخر، الظاهر والباطن، التفسير والتأويل، الاسلام والايمان، الشريعة والحقيقة، العقل والنقل... الخ. وجد كل ذلك انعكاسه في تقاليد الملل والنحل الإسلامية المعبرة عن خصائص الحضارة الإسلامية في وحدانية ديالكتيكها التاريخي والروحي. وبالتالي ليس البحث عن الفرق الناجية، سوى التعبير المناسب عن واقع الحضارة التي شكل الانقسام مقدمتها والوحدة غايتها والبحث عن الفرق الناجية اسلوبها.

لقد بحث كل من ممثلي العلم المللي التحلي الاسلامي، ضمن إطار انتمائه الفكري والمذهبي عن الفرق التي كان بإمكانه أن يقول: هنا الحقيقية!! وإذا كانت هذه الصياغة ظاهرة مميزة للكتابات الأولى، على الأقل في مفاهيمها المباشرة، فإنها تعمقت في وقت لاحق، إلى لدرجة التي لم يعد الحاسم فيها مفهوم الانتماء المباشر للاسلام فقط، بل ومضمون العقائد لاسلامية ذاتها، فالنوبختي، الذي لم يشر إلى الحديث، لم يفته أن يحقق واقع الانقسام القائم في صراع الفرق ودعوى التمثيل الانتمائي للفرقة الناجية (أو أهل السنة والجماعة) بعبارة: كل منهم

يدعي نفسه الجماعة رغم ان واقعهم أو ما ينطبق عليهم ليس معنى الاجتماع بل معنى الافتراق<sup>(١١)</sup>. بينما سار الملطي والاشعري والبغدادى، كل منهم بطريقته الخاصة في الكشف عن ماهية اهل السنة والجماعة. فالاشعري (ت - ٣٣٤ هـ) لم يضع «اهل السنة والجماعة» فوق أو بالضد من الفرق الاخرى، بقدر ما انه اشار اليها باعتبارها احدي فرق المسلمين والمصلين التي ينتمي اليها<sup>(١٢)</sup>. أي على خلاف ما سيطرحة البغدادى (ت - ٤٢٩ هـ) في تسننه المتعصب أو سنننه العقائدية الصارمة، التي تضع اهل السنة والجماعة بالضد من فرق المسلمين «الضالة». وإذا كان الملطي (ت - ٣٧٧ هـ) قد أعطى للفرقة الناجية صيغة دينية - عقائدية لها قراينها في الديانات الاخرى خصوصاً في اليهودية والنصرانية، على اساس فكرة الحديث ذاتها، القائلة بان اليهود افترقوا على احدي وسبعين فرقة، فرقة ناجية وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية واحدي وسبعين في النار، وإن ناجية اليهود من اصحاب موسى وناجية النصارى هم المحرابون من المسلمين من اصحاب عيسى، فإن الامة الاسلامية مستفترقة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية واثنين وسبعين في النار، وهي فرقة السنة والجماعة<sup>(١٣)</sup> ان تحقيق ماهية الفرقة الناجية، لم يخل من تأثير تلك العقائد التي صاغها علم الكلام. فما يطرحه الملطي عن الفرقة الناجية ما هو في الواقع إلا الصيغة المكثفة لما سبق وإن طرحه الاشعري حول اهل السنة في الفصل المتعلق بـ «حكاية جملة قول اصحاب الحديث وأهل السنة»، أي عقائد الاقرار بالله وملائكة وكتبه ورسله، وإن الله آله واحد صمد لا آله غيره، وإن الجنة والنار حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله يبعث من في القبور، وإن اسماء الله لا يقال غير الله، وإثبات السمع والبصر له، وإن الخير والشر منه، وإن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن الله يرى بالابصار يوم القيامة، ولا يكفرون واحداً من اهل القبلة، وإن الله مقلب القلوب، يقرّون بشفاعة الرسول وعذاب القبر والحوض، وإن الصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وإن الايمان قول وعمل لا يزيد ولا ينقص، وإن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه، وإلّا اعتراف بحق السلف، والتصديق بالاحاديث، والاخذ بالقرآن والسنة، والوقوف وراء كل امام بر وفاجر والدعاء لائمة المسلمين بالصلاح وعدم الخروج عليهم بالسيف، والتصديق بخروج الدجال وإن عيسى بن مريم يقتله، والايمان بمنكر ونكير وإن السحر والسلا - موجودان، والصلاة على كل من مات من اهل القبلة، وإن الجنة والنار مخلوقان، والاقرار بالاجل والارزاق من الله وإن السنة لا تنسخ بالقرآن، والاطفال امرهم الى الله ومجانبة البدع<sup>(١٤)</sup>.

أما البغدادى (ت - ٤٣٩ هـ) فانه يلدج هذه الاعتقادات المتناثرة في آراء اهل السنة والجماعة بصيغة كلامية دقيقة، موحداً لأرائهم بخمسة عشر ركناً جوهرياً، تناول فيها كل قضايا الكلام وجدالاته، من نظرية المعرفة والانطولوجيا الى دقائق الروح الاخلاقي وإحكام الفقه المعاملاتي. فالركن الاول يقوم في اثبات الحقائق والعلوم ورفض السفسطة، بينما الركن الثاني يقوم في ان العالم كل شيء هو غير الله وأنه مصنوع مخلوق، بينما الثالث يقوم في الاقرار بصانع العالم وصفاته الذاتية، والركن الرابع يقوم في الاقرار بان الصفات القائمة بالله (كالعلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر) صفات له ازلية وتعود له ابدية، والركن الخامس في التوقف على

اسماء الله اما بالقرآن واما بالسنة الصحيحة . اما الركن السادس فيقوم في الاقرار بعدل الله وانه خالق الاجسام والاعراض خبيرها وشرها ، وانه خالق اكساب العباد . والركن السابع يقوم في الاقرار باثبات الرسالة والنبوة . والركن الثامن يقوم بالاقرار بان المعجزة هي امر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه على معارضتها بمثلها وعلى وجه يدل على صدقه في زمان التكليف . والركن التاسع يقوم في الاقرار بان اركان الاسلام خمسة (شهادة لا آله الا الله ، محمد رسول الله ، واقامة الصلاة واتيان الزكاة وحج البيت) . الركن العاشر ، هو الاقرار بان افعال الملكفين خمسة اقسام (واجب ، ومحظور ، ومسنون ، ومكروه ومباح) . الركن الحادي عشر هو الاقرار بان الله قادر على فناء جميع العالم جملة وعلى اثناء بعض الاجسام ، والقول بخلق الجنة والنار ، وسؤال منكر ونكير ، والاقرار بالحوض والصراف والميزان واثبات الشفاعة . الركن الثاني عشر ، في ان الامانة فرض واجب على الامة لاجل اقامة الامام والنظام . الركن الثالث عشر يقوم في الاقرار بان اصل الايمان المعرفة والتصديق بالقلب مع وجوب جميع الطاعات المفروضة واستحباب النوافل المشروعة . الركن الرابع عشر يقوم في الاقرار بان الملائكة معصومون عن الذنوب ، وتفضيل الانبياء على الاولياء . الركن الاخير يقوم في الاتفاق مع الاحكام العامة لفقههاء المسلمين الكبار تجاه اعداء الاسلام<sup>(١١)</sup> .

وقد سار ابن حزم (ت - ٤٥٦ هـ) والرازي (ت - ٦٠٦ هـ) وابن المرتضى (ت - ٨٤٠ هـ) في نفس هذه التقليدية الصارمة ، رغم ان كلا منهم قد حلها بأسلوبه الخاص . فعلى الرغم من ان ابن حزم اشار الى ان اكثر اختلافات اهل السنة في الفتيا (الافتاء) ونبل سيرة من الاعتقادات<sup>(١٢)</sup> إلا ان مفهوم اهل السنة قد تطابق في الواقع ، مع آرائه الكلامية<sup>(١٣)</sup> . أما الفخر الرازي ، فانه لا يورد مفهوم الفرقة الناجية ، أو اهل السنة والجماعة أو حتى آراءهم بصورة مستقلة أو مكثفة . وبالتالي فان مصطلح اهل السنة والجماعة يتطابق ، شأن ابن حزم ، مع آرائه الكلامية - الفلسفية . فهو يشير الى ان مؤلفاته التي وجهت لها المطاعن من قبل الحساد والاعداء ، وبالاخص تلك التي ناهض بها الفلاسفة ولم تسع إلا لنصرة اعتقاد اهل السنة والجماعة . ويعتقدون اني لست على مذهب اهل السنة والجماعة ، وقد علم العالمون انه ليس مذهبي ولا مذهب اسلافي إلا مذهب اهل السنة والجماعة<sup>(١٤)</sup> في حين انه حالما يقيم ما اسماء بأصحاب الحقيقة من فرق الصوفية (الفرقة الثالثة حسب تصنيفه) فانه يقول : «ان هؤلاء خير فرق الأدميين»<sup>(١٥)</sup> . بصيغة اخرى ان آراء الرازي بصدد الفرقة الناجية لا تتطابق مع أية صيغة مدرسية جامدة ، قائمة بحد ذاتها ، لها حدودها ومعالمها الخاصة ، شأن ما هو مميز للاشعري (ت - ٣٢٤ هـ) والمطلي (ت - ٣٧٧ هـ) والبيضاوي (ت - ٤٢٩ هـ) ، بل تقترب في حوافرها الداخلية ، رغم الفوارق النظرية ، مع آراء ابن حزم .

غير ان الصيغة الحادة ذاتها لمفهوم اهل السنة والجماعة ، حالما تكون قد ارتبطت في تاريخيتها العقائدية بفرقة ما محددة ، فانها كان لا بد من ان تفرز نقيضها ، الذي حاول التركيز على فكرة الفرقة الناجية .

ومن الناحية الايديولوجية ، لم يكن هيناك فرق جوهرية بين مفهومي اهل السنة والجماعة

وبين الفرقة الناجية . وهذا ما تشترك فيه كافة الاتجاهات الكبرى من شيعة وخوارج ومرجئة ومعتزلة . فالمعتزلة التي ايدت العقل واستندت اليه ، لم تجد حرجاً عند بعض ممثليها ، بما في ذلك اتباعها من اصحاب المقالات ، من ان يعتبروا انفسهم هم المقصودون بالفرقة الناجية . بل لم يجد البعض منهم حرجاً ان يصور الآيات القرآنية ، المتضمنة لكلمات ومفاهيم الاعتزال ، ان تكون رمزاً لهم<sup>(١)</sup> . دع عنك اقرار البعض منهم بالخبر المأثور (الموضوع) من النبي محمد والقاتل : «ابرأها واتقاهما الفئة المعتزلة» . غير ان هذه الفكرة هي من حصيلة الجدل الايديولوجي والاعتقادات المذهبية المتصارعة ، التي يمكن ان نعثر على صيغتها المزدوجة في آراء ابن المرتضى (ت - ٨٤٠ هـ) وموقفه من اهل السنة والجماعة والفرقة الناجية . فهو بالقدر الذي لا يرفض فيه مفهوم اهل السنة والجماعة ، فانه يجذب في الوقت نفسه عبارة ومفهوم الفرقة الناجية . وعلى الرغم من انه يحاول ان يعطي لفكرته هذه طابعاً تحليلياً نقدياً لمفاهيم اهل السنة بصيغتها «الشرعية» المشهورة في منظومات علم الكلام ، فاننا لا يمكن ان نغفل الطابع الايديولوجي في فكرته عن الفرقة الناجية . أي ان اطروحاته تمثل في الواقع الصيغة أو الواجهة الاخرى لمفاهيم «اهل السنة والجماعة» ، ولكن من منطلق ونصوات الزيدية - المعتزلة . فقد اطلق ابن المرتضى تسمية السنة على المجبرة (الجبرية) ، انطلاقاً من ان مجمل مذهبهم ، كما يكتب ابن المرتضى ، «في القول بخلق الافعال واردة المعاصي وتعذيب من يشاء بغير ذنب وان فعل الله لا لغرض ، وانه لا يقبَح منه شيء وان القبايح بقدره وقضائه»<sup>(٢)</sup> . وقد ادرج في تيار السنة (أو الجبرية) كل من الظاربية والجهمية والنجارية والكلابية والاشعرية والبكرية والكرامية . أي انه وحد ما سبق للشهرستاني ان فرق في قسبي الجبرية والصفائية . إلا ان هذا الموقف الانتقادي لم يبن على أساس التحليل الموضوعي الصارم ، كما هو الحال عند الشهرستاني ، بل على أساس افضلية الزيدية باعتبارها الفرقة الناجية المقصودة بالحديث . ان هذا التوجه المذهبي ، يمتلك في اعماقه نفس الروح المميز للفرق الاسلامية الكبرى . فكون الزيدية هي الفرقة الناجية ، كما يقول ابن المرتضى ، له دليل في العقل والنقل . فالدليل العقلي يقوم في قولها (الزيدية) بالعدل والتوحيد وتنزهها عن الجبر والتشبيه . أما الدليل النقلي فهو اجماع من يعتد به من قدماء علماء اهل البيت بالاخبار التي تنص على اهل البيت كحديث الكساء وحديث «اني تارك فيكم الثقلين» وغيرها من الاحاديث ، وبالتالي ، فان الفرقة الناجية كما يستنتج ابن المرتضى هي تلك التي تدن باعتبارها الزيدية من الفرق الاخرى كالمعتزلة وغيرهم وهو العدل والتوحيد<sup>(٣)</sup> .

من كل ذلك يبدو واضحاً ، بان «المنهجية العقائدية» قد مسّت أو أثرت تأثيراً هاملاً في مواقف أصحاب العلم المللي النحلي تجاه الفرقة الناجية ، أو اهل السنة والجماعة . واذا كان من الممكن الاشارة الى شذوذ من هذه القاعدة (التاريخية والطبيعية لحد - ما في الحضارة الاسلامية) ، فهو الشهرستاني . انه الوحيد من مثالي العلم المللي النحلي المسلمين الذي لم يراهم اهتماماً لتصنيف ما اتفق عليه أصحاب الملل من تسميات الكفار والمشرّكين فحسب ، بل وفي تجاهله مناقشة فكرة اهل السنة والجماعة ، باعتبارها الفرقة الناجية . اذ ليست فرقة اهل السنة والجماعة بنظره سوى

أحدى الفرق الإسلامية لا غير. أي أنه ينظر إليها باعتبارها فرقة كائنه فقط. نبي معرض حديثه عن الصفاتية، يشير الى ان جماعة أهل السلف كانوا يشتون صفات أزلية لله (كالعلم والقدرة والحياة والارادة) وصفات جبرية. وقد افترق هؤلاء بدورهم الى من أقر بالتأويل والى من رفضه، حتى انتهى الامر الى عبد الله بن سعيد الكلبي (ت - ٣٤٠ هـ) وابي العباس القلانسي (ت - ٢٥٥ هـ) والحاوثر بن اسد المحاسبي (ت - ٢٤٣ هـ) أي الى اولئك الرجال من أهل السلف الذين باشرؤا، كما يكتب الشهرستاني «علم الكلام وايدؤا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية. وصنف بعض، ودرس بعض، حتى جرى بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والاصح فتخاصما، وانحاز الأشعري الى هذه الطائفة، فأيد مقاتلهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لاهل السنة والجماعة»<sup>(١)</sup> حقيقة ان بعض الاشكالات تظل قائمة، وبالاخص فيما يتعلق منها بتعدد الفرق وتصنيفه لها. فهو يشير الى ان استيفاء اقسام الفرق الإسلامية ثلاثاً وسبعين فرقة<sup>(٢)</sup>. وحالما ينهي الجزء المتعلق في الفصل الخاص بآراء الشيعة في الامامة ورفقهم (الكيسانية، والزيدية والامامية، والغالية) فانه يعلق في الختام قائلاً: «وقد انجزت الفرق الإسلامية، وما بقيت إلا فرقة الباطنية. وقد اوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات، اما خارجة عن الفرق، واما داخله فيها. وبالجمله هم قوم يخالفون الاثنين والسبعين فرقة»<sup>(٣)</sup> وفيما بعد يأخذ باستعراض آراء الاسماعيلية (الباطنية)، كفرقة مستقلة<sup>(٤)</sup>.

ان هذا النص والفكرة المضمنة فيه، يضعنا امام ثلاث مسائل متعلقة بمواقف الشهرستاني من الفرق الإسلامية وعددها، والثانية فيما اذا كانت الباطنية من الفرق الإسلامية، والثالثة، فيما اذا كانت الباطنية أو غيرها هي الفرقة الناجية. فالنص الأنف الذكر، يبدو في مظهره كما ان الشهرستاني يضع الباطنية (الاسماعيلية) خارج الفرق الإسلامية. إلا ان تخطيطه وصياغته لمهمته الاولى في استيفاء الفرق الإسلامية ثلاث وسبعون فرقة، يجعل من الضروري ادراجها باعتبارها فرقة اسلامية. وهذا ليس نتاجاً لتبعية التفيد الحرفي للرقم الوارد في الحديث المشهور، بل ولانه يندرج في اطروحات الشهرستاني وتقسيمه للكتاب وتصنيفه للفرق ضمن فصل الفرق الداخلة في الاسلام. اضافة لذلك، ان الشهرستاني لا يتكلم هنا عن خروج من حضرة الاسلام، بل عن مخالفة الباطنية الاسماعيلية للفرق الإسلامية الاخرى. وهو في الواقع، لا يشدد في هذا الخلاف، حال النظر الى استعراضه لآرائهم، إلا على ما هو مميز لهم من المواقف تجاه مسائل الامامة ومنظوماتهم الفلسفية. فالاسماعيلية كحركة عامة، كما يكتب الشهرستاني، لها تسميات عديدة. ففي العراق يسمون بالباطنية والقرامطة والمزدكية، وفي خراسان يسمون بالتعليمية والملحقة. أما هم فيفضلون تسمية انفسهم بالاسماعيلية. وان خلفاءهم الجوهرري عن الشيعة الموسوية والاثنى عشرية، يقوم في اقرارهم بأمامة اسماعيل بن جعفر. وما عدا ذلك، فهم يمثلون تياراً شيعياً، خلطوا آراءهم ببعض كلام الفلاسفة.

من كل ما سبق نستطيع ان نستنتج، بان الشهرستاني يدرج الاسماعيلية في اطار الفرق الإسلامية، ليستكملوا بذلك ما سبق وان دعاه باستيفاء الفرق الإسلامية ثلاثاً وسبعين فرقة.

إلا ان مآثرة الشهرستاني تقوم، من حيث الجوهر في تخطيه الفعلي للمنهجية العقائدية - المذهبية، في تصنيفه للفرق. فالمحرك الباعث لتصنيفه للفرق لا يقوم في البحث عن الفرقه الناجية (بالمعنى المذهبي) بل الفرقه الناجية التي تقف ان شئنا الدقة، خارج اطار الفرق الثلاث والسبعين. بصيغة اخرى، ان الشهرستاني يبرز هنا باعتباره الممثل الصارم للبحث عن الواحدية الحقيقية للفرقة الناجية، باعتبارها الفرقه المتطابقة في آرائها، واطروحاتها وممارساتها مع الحقيقة المنطقية. فعندما يتطرق الى مسألة الفرقه الناجية، فانه يؤكد على ان «الناجية»، أبداً، من الفرق واحدة». إلا ان هذه الفرقه الواحدة هي فرقة «الحق المنطقي» أو «الحق العقلي»، أو الحقيقة كما هي. فاذا كان الحق، كما يقول الشهرستاني، في كل مسألة عقلية واحداً، فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة. وان هذا هو المقصود بالفرقة الناجية، أو بفكرة «لانزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة».

من كل ما سبق يبدو واضحاً، ان الفكرة المندرجة في حديث انقسام الامة، وضرورة الناجية، قد شكلت في تجريديتها، الخميرة الموضوعية التي بلورت في اطار العلم المللي النحلي الاسلامي، اساليب البحث المنهجية المتباينة. ومن الممكن اجمالاً حصرها في أربعة أساليب كبرى وهي الاسلوب العقائدي، والاسلوب الاستعراضي - الموضوعي والاسلوب اللاهوتي الفلسفي - الجدلي، والاسلوب الفلسفي التحليلي المقارن.

ومن الممكن ان نتخذ من الملطي مثلاً للاسلوب الاول، ومن الاشعري مثلاً للاسلوب الثاني. فالملطي يفصح لنا، فيما تبقى من اجزاء كتابه (التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع)، عن منهجية عقائدية استندت في تقسيمها للفرق على أساس مقارنة آرائها بعقيدة أهل السنة والجماعة. فالملطي لا تشغله هنا مهمة مقارنة المدارس أو تصنيفها استناداً الى حصيلتها أو استنتاجاتها النظرية، بل يتخذ من صيغها وأشكالها الظاهرية (تاريخياً) كاشياء أو هويات قائمة بحد ذاتها، ومعداة مرة واحدة وإلى الابد. ومن هنا، فانه لا يضع امام نفسه سوى مهمة التنبيه على هفواتها والرد عليها. وهذا ما يتجلى بوضوح في موقفه، على سبيل المثال، من الجهمية. وهنا يجدر القول، بان هذه النزعة العقائدية لم تكن شيئاً مميزاً للملطي دون سائر أصحاب العلم المللي النحلي المسلمين، كلما في الامر انها تبرز في اسلوب الاتجاه الذي مثله الملطي، كحافز ومحرك قائم بحد ذاته. وبهذا المعنى فانه يختلف اختلافاً كبيراً عن الاشعري والبغدادى وابن حزم.

فالاشعري عمق موضوعية العقائدية (أو طابعها الموضوعي)، وبالتالي تحولت النزعة الايديولوجية الجدلية في كتاباته الى خادماً تابع لعناصر منهجه الجوهري، وبالاخص لعنصر المعرفة. فقد أشار في السطور الاولى لكتابه الى انه «لا بد، لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها، من معرفة المذاهب والمقالات»<sup>(٣)</sup> وقد حدد ذلك لدرجة كبيرة الطابع الموضوعي، اللامتحزب لاستعراضه آراء أهل المذاهب والمقالات. ومع ذلك فان آراء الاشعري لم تخل من عناصر التقييم والمقارنة. على العكس. انها تضمنتها كقوى ذاتية في تصنيفه التقييمي. وقد عوّضه ذلك عن مهمة انجاز تصنيفها اللاهوتي والفلسفي الجدلي. اذ لم يشغل بال الاشعري من حيث الجوهر سوى



الفرق الإسلامية. وقد طُبّق بحذاقة غير مباشرة فكرته عن الإسلام والإيمان ليشمل بها كافة الفرق المتصارعة. ولهذا تكون كتاباته قد مهدت السبيل، تاريخياً وفكرياً، أمام المعرفة المتعمقة وتقييمها المجرد في صراع الاتجاهات الكلامية.

وفيمّا لو انتقلنا إلى الأسلوب الثالث (اللاهوتي - الفلسفي - الجدلي)، فإننا نستطيع القول بأن التباين القائم، في استنتاجات كل من البغدادي وابن حزم وابن المرتضى، لا ينفي القاسم المشترك فيما بينهم وبالأخص فيما يتعلق بمحاولة كل منهم صياغة منهجه العام لتفريق فرق الإسلام ومباينتها عن غيرها من فرق الملل والنحل الأخرى. إضافة لذلك، إن هذا المنهج أو الأسلوب لم يبن على أساس الانتماء الديني المباشر أو الظاهري للملة (الإسلامية)، بل على أساس جملة موحدة من المبادئ اللاهوتية والفلسفية.

فالبغدادي في استعراضه المسهب لأصول (أركان) أهل السنة والجماعة، قد دفع إلى الامام في تصنيفه وتحديداته الإسلامي عن اللاإسلامي، الإسلامي السني عن المبتدع، المبادئ الفلسفية - اللاهوتية المتعلقة بقضايا نظرية المعرفة والميتافيزيق والوجود، واللاهوت. أي نفس المبادئ التي نعرّض عليها عند ابن حزم وابن المرتضى.

فالبغدادي يشير إلى أن الركن الأول متعلق بآثبات الحقائق والعلوم، أي ضرورة إثبات العلوم ورفض أحكام وتصورات «السفسطائية الذين ينفون العلم وينفون حقيقة الأشياء كلها، وكذلك السفسطائية الذين شكروا في وجود الحقائق، وكذلك الذين قالوا بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد، وصححوا جميع الاعتقادات مع تضادها وتنافياها»<sup>(٣٧)</sup>. أي تلك الصيغة التي تحصل في آراء ابن المرتضى في تصنيفه لما أسماه بالفرق الكفرية، ورفقتها الأولى (التجاهلية) المكونة حسب تصنيفه من ثلاث فرق هي: «السفسطائي»، وهو منكر اليقين في كل شيء وجاعله حساباً، وعندئذ وهو مثبت الحقيقة وجاعلها تابعة للاعتقاد، وسمي «وهو منكر ما لم يشاهد بالحواس»<sup>(٣٨)</sup>. أي ما سبق لابن حزم وإن دعاه بفرقة «مبطل الحقائق وهم الذين يسميهم المتكلمون السفسطائية»<sup>(٣٩)</sup>. أما الركن الثاني، حسب عبارة البغدادي، فهو المتعلق بالاقرار بأن كل ما عدا الله بما في ذلك العالم هو مخلوق مصنوع، أي الفكرة المعارضة لافكار أهل الطوائف (من الفلاسفة) القائلون بقدم العالم، وكذلك آراء الشنوية<sup>(٤٠)</sup>. أي تلك الصيغة التي طرحها ابن المرتضى في آرائه عن الدهرية والقائلون بقدم العالم واختلّفوا في المؤثر: منهم من نفاه مطلقاً، ومنهم من أثبتته علة قديمة<sup>(٤١)</sup>. أي ما سبق لابن حزم وإن صاغه تعبيراً عن آراء أولئك «القائلون بآثبات الحقائق، إلّا أنهم قالوا إن العالم لم يزل وإنه لا محدث له ولا مبدئ»<sup>(٤٢)</sup>.

فاذا كانت الخلافات، في تصنيف المبادئ العامة عند الثلاثة تقوم لحد ما في طبيعة وعي انتمائهم لاتجاهات إسلامية مختلفة، فإنهم يلتقون، حسبما أشرنا، في المنهجية العامة، التي تحاول أن تضع حدوداً أو مبادئ كبرى يجري على أساسها تقييم الإسلامي من اللاإسلامي.

فالبغدادي (ت - ٤٢٩ هـ) سار في طريق الصرامة الكلامية السنية، التي وضعها في أركانها، أي ضرورة الاقرار بخلود وقدم صانع العالم (الله) ويصفاته الأزلية ويرسله وإنبيائه مع حاكمية وسيطرة

مبادئ الاسلام الاساسية (أو أصوله)<sup>(٣٧)</sup>. أما ابن حزم فانه وضع بصورة متجانسة مسائل الفكر الفلسفي الكبرى، محولاً حلولها «الاسلامية» الى مبادئ يشكل رفضها أو تقبلها دليلاً على الاسلامية أو إسلامية الفرق. فاضافة الى المبادئ السابقين (أي مبدأ ابطال الحقائق المميز للسفسطائية، ومبدأ اثبات الحقائق المقرون بفكرة قدم العالم ورفض وجود الله) فانه يسلسل الفرق الاخرى على أساس المبادئ التالية: «القائلون بآثبات الحقائق وان العالم لم يزل وان له مدبراً لم يزل»<sup>(٣٨)</sup>. أي القول بأزلية الله والعالم، أو ما يتطابق في بعض تجلياته مع آراء «أهل الطائفة» حسب مفهوم البغدادي، و«الدهرية» حسب مفهوم ابن المرتضى. ثم «القائلون بآثبات الحقائق». فبعضهم قال ان العالم لم يزل، وبعضهم قال هو محدث. واتفقوا على ان له مدبرين لم يزلوا وانهم أكثر من واحد»<sup>(٣٩)</sup>. أي ما يتطابق من حيث مضمونه مع آراء الثنوية، بمعنى الاقرار بأكثر من آله. ثم «القائلون بآثبات الحقائق وان العالم محدث وان له خالقاً لم يزل، وبأبطالوا النبوات»<sup>(٤٠)</sup>. أي اولئك الذين يتفقون مع آراء المسلمين بصدد القضايا الجوهرية (الفلسفية - الميتافيزيقية)، لكنهم يرفضون مبدأ النبوة. واخيراً أولئك «القائلون بآثبات الحقائق وان العالم محدث وان له خالقاً واحداً لم يزل واثبتوا النبوات، إلا انهم خالفوا في بعضها، فأقروا بعض الانبياء عليهم السلام وأنكروا بعضهم»<sup>(٤١)</sup> من هنا يبدو واضحاً التشابه الكبير فيما بين آراء البغدادي وابن حزم. بمعنى انه يرفض أولئك الذين يتفقون مع المسلمين بصدد كل القضايا بما في ذلك النبوة، في حالة رفضهم الاقرار بكل النبوات. ولا تعني الفكرة الاخيرة في الواقع سوى تضمنها ضرورة الاقرار بالنبوة المحمدية.

أما ابن المرتضى فانه يسير في الواقع بنفس الاتجاه. فعندما يقسم ما أسماه بـ «الفرق الكفرية» الى سبع فرق وهي: «التجاهلية والدهرية والثنوية والصائبة والمنجمية والوثنية والكتابية»، فان مضامينها تتطابق لحد كبير مع فرق أو مبادئ ابن حزم وأركان البغدادي. فالثنوية بفرقها التسع (المانوية والمزدكية والديسانية والمرقيونية والماهانية والكيشانية والصامية والمهراكية والمجوس<sup>(٤٢)</sup>) تتطابق، رغم تبايناتها الجزئية في فكرتها القائلة بتعدد المبادئ الاولى المتحركة في الكون والوجود الانساني أو بعارة ابن حزم «أولئك الذين يختلفون في عدد مدبري العالم». وهذا ما ينطبق بدوره على تصنيفه لفرق الصائبة والمنجمية والوثنية، أي أولئك الذين يقرّون بوجود الله، إلا ان اقرارهم هذا متباين من حيث مضمونه. فالصائبة يقرّون بالله ولكنهم يعبدونه من خلال التقرب بالملائكة (الكواكب). وهذا ما ينطبق على الوثنية في اتجاهاتها العديدة. إلا انهم يشتركون في جحدهم للرسول<sup>(٤٣)</sup> أما الفرقة الكتابية فهم النصارى واليهود. وإذا كان ابن المرتضى يكفر النصارى لأرائهم في الاتحاد والحلول، فان تكفيره لليهود مبني على أساس رفضهم الاقرار بنبوة محمد، أو اعتباره مجرد رسول للعرب، أي نفي شمولية الاسلام العالمية<sup>(٤٤)</sup>.

من هنا يبدو التطابق الخفي فيما بين آراء ومبادئ المنهجية اللاهوتية - الفلسفية - الجدلية، التي شكلت بحد ذاتها انجازاً كبيراً في تعميق الطابع التحليلي والمقارن للعلم المللي النحلي. وقد كمن هذا الانجاز في صياغة المبادئ العامة، أي الاصول القائمة بحد ذاتها والتي لم تكن معياراً للحقيقة بقدر ما انها شكلت محك التقسيم والتصنيف الضروري العام. وفيما لو تتبعنا

استمرارية هذا الانجاز التحليلي الكبير، والفلسفي في صيغته المنهجية التعميمية، فانا يمكن ان نلاحظ ديمومة اغلب عناصره في منظومة الشهرستاني المللية النحلية. بل يمكن القول، ان من الصعب فهم انجاز الشهرستاني في هذا المجال دون أو خارج اطار هذه التقاليد.

فقد عمق الشهرستاني في منهجيته الفلسفية التحليلية المقارنة، العناصر الديناميكية والايجابية في تقاليد العلم السابقة. أي انه وحد، في ظروف تلك المرحلة، عناصر المنهج الموضوعي الاستعراضي، والفلسفي - اللاهوتي - الجدلي. لقد سار هو، ان امكن القول، في اتجاهين متداخلين يتطابقان، لو شئنا المقارنة، مع ما ابدعه الفكر الاسلامي من وحدة الظاهر والباطن. فهو يبدو من جهة، كما لو انه ند للاشعري في موضوعيته، ومن جهة اخرى، كما لو انه استمرارية أو نسخة معتمدة للبغدادى وابن حزم في منهجيته. أما في الواقع، فانه يمثل نفيًا جدليًا يستند الى كل الاتجاهات السابقة للعلم. فهو يشير في مقدمته الاولى في «بيان تقسيم أهل العالم جملة» الى التقسيمات الاربعة السائدة في عصره. اذ جرى تقسيم العالم، كما يقول الشهرستاني اما استناداً الى «العامل الجغرافي» (الاقاليم السبعة) بحيث اعطى «أهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التي تدل عليها الالوان والالسن»<sup>(1)</sup>. في حين قسمهم الآخر استناداً الى اعتبارات الاقطار الاربعة (الشرق والغرب والجنوب والشمال) وبالتالي «تميز كل منهم بصفات باختلاف الطبائع وتباين الشرائع»<sup>(2)</sup> في حين قسمهم البعض الآخر على أساس «القومية» (كالعرب والعجم والروم والهند) وبالتالي خصوصية كل منهم فيما يتعلق بنمط الوعي السائد. فالعرب والهنود يلتقون في «ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية، والروم والعجم في ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية»<sup>(3)</sup>. في حين قسمهم البعض بحسب الآراء والمذاهب<sup>(4)</sup>. وقد جعل الشهرستاني من الصنف الاخير غرضه في التأليف. وما هو ملفت للنظر، ان الشهرستاني لا يناقش هذه الآراء ولا يشير الى خطئها أو صوابها. وليس ذلك في الواقع إلا لاتفاقه النسبي مع بذورها العقلانية. فالعوامل الجغرافية والقومية يمكنها ان تلعب دوراً لا يستهان به في بلورة نمط التفكير العام، إلا انها لا يمكنها ان تبعد اسلوباً في ادراك الحقائق كما هي. فالاخيرة لها ملكوتها الخاص، الذي يقع خارج اطار كل الشرطيات العارضة والمفتعلة.

فالشهرستاني يحاول ان يبرز قيمة البحث المللي - النحلي، باعتباره العلم المؤرخ المفكر والحقيقة. وبالتالي الممثل النموذجي لموضوعه وقوانينه الخاصة. وبهذا يكون قد سار في اتجاه تعميق النزعة اللاهوتية - الفلسفية في تقاليد العلم، ولكن في اتجاهها العقلاني - الموضوعي.

فيما لو أجرينا مقارنة بين المبادئ التي طرحها ابن حزم في تصنيفه للفرق الخارجة عن الاسلام وبين ما طرحه الشهرستاني، فانا نثمر على تطابق خفي، وشبه كلي في مظهره. إلا ان الخلاف الجوهرى يقوم في طبيعة الموقف من هذه المبادئ وموقعها في منهجية التصنيف. فعندما يطرح الشهرستاني مبدأ «التقسيم الضابط» لتسلسل الفرق والاتجاهات، فانه يسلسلها بالشكل التالي: أولاً، من الناس من لا يقول بمحسوس ومعقول وهم السفسطائية، وثانياً، من يقول منهم

بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية، وثالثاً، منهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية، ورابعاً من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشرعية والاسلام وهم الصابئة وخامساً، من يقول بهذه كلها واسلام ولا يقول بشرعية نبينا محمد وهم المجوس واليهود والنصارى وسادساً، من يقول بهذه كلها وهم المسلمون<sup>(٤٥)</sup>.

بصيغة اخرى، ان الشهرستاني، خلافاً للبيغدادي وابن حزم، يطرح هذا التسلسل في ايجابيته المعرفية وشموليته الكلية. فهو لا يطرح هذا التسلسل كمبادئ لفرق الفرق «الكفرية» و«الايمانية». أي ان المركزي فيها ليس فكرة التكفير، بل دراسة وتحديد الجوهري في هذه الاتجاهات. وليس من قبيل الصدفة ان يضع الشهرستاني مبدأ التقييم المعرفي في هذا التسلسل، لا مسائل الايمان واللاهوت. فهو يفرز مبادئ رفض أو تقبل المعقول والمحسوس، وجوهية المعقول والمحسوس، ثم مسائل الحدود والأحكام والشرعية والاسلام. ولم ينظر الى هذه المسائل باعتبارها قضايا منفردة منزلة، بل نظر اليها كأجزاء مكملة بعضها للآخر. وان انتقاده للفرق السابقة (للالاسلام) مبني في نهاية المطاف على أساس فكرة نقد النقص الشمولي لا تخطئة الاتجاهات استناداً الى مبدأ عدم انتمائها لعالم الاسلام الديني - المَلِّي. وحتى في اشارته الى التضاد القائم فيما بين أهل الأديان والملل من جهة وبين أهل الأهواء والنحل من جهة اخرى، فانه يفسر ذلك استناداً الى تقبل أو رفض العقائد العامة، وإلا فمن الصعب ان نفهم تقييمه لأديان المجوس واليهود والنصارى.

اننا نستطيع، دون شك، رؤية بوادر التقييم العلمي الصارم في تقييمات الشهرستاني، المبنية على أساس ابراز الاتجاه الفكري (المادي والمثالي، العقلاني واللاعقلاني، الديني واللاحادي، التقليدي والابداعي)، إلا ان هذه التقييمات تظل في منهجيته، تابعة للعنصر «المجرد» والاكثر جوهرية، أي الحقيقي واللاحقيقي، الحق والباطل، والصواب والخطأ. ومن هنا فان تقسيمه لاتجاهات الملل (الدينية) والنحل (اللا دينية) هو تقسيم علمي، لا يتطابق بالضرورة في منهجيته مع الحقيقي واللاحقيقي. ولهذا نفهم لماذا يضع في الملل، أو حسب ما أسماه بـ «أرباب الديانات مطلقاً»<sup>(٤٦)</sup> كل من المجوس واليهود والنصارى والاسلام، في حين يضع في أهل الأهواء كل من الفلاسفة والدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والاثنان والبراهمة<sup>(٤٧)</sup>. فالتقسيم الاخير مبني على أساس تحديد طبيعة الموقف من علاقة العقل بالشرعية. واذا كان هو منحازاً في نهاية المطاف الى الاسلام، فليس لعناصره الدينية الخالصة، بل لانه يتضمن الاقرار والتمثل الشمولي لكل ما هو عقلاني وديناميكي في الاتجاهات، أي لشموليته الحقائقية. وهذا ما يبرز بجلاء في فكرته حول الاسلام، التي سبق وان تناولناها بالتحليل، بمعنى ان ذروة الاسلام تقوم في تعبيره الاكمل عن الحقيقة العقلية، وان الفرقة الناجية هي فرقة الحق. وبهذا يكون الشهرستاني قد دفع مناهج التقاليد السابقة في العلم المللي النحلي الاسلامي الى اقصى درجاته الممكنة آنذاك بتحويله الحقيقة المنطقية الى معيار الحكم على الفرق وتبانيها.

١. الملطي: التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع، ص ٧٢.
٢. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٢ - ١٩.
٣. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٣٦.
٤. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، بيروت، دار المشرق ١٩٨٥، ص ٤٥.
٥. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٦٠.
٦. ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ٣، ص ٢٤٨.
٧. الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة ١٩٣٨، ص ٧٤ - ٧٥.
٨. الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٧٥.
٩. الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٧٥.
١٠. النويختي: فرق الشيعة، ص ١٦ - ١٧.
١١. الاشعري: مقالات الاسلاميين، ص ٢٧٩.
١٢. الملطي: التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع، ص ١٠.
١٣. الاشعري: مقالات الاسلاميين، ص ٢٩٠ - ٢٩٧.
١٤. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٧٩ - ٢٤٨.
١٥. ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ٢، ص ١١١.
١٦. وهذا ما يبرز بوضوح في انتقاداته اللاذعة لممثلي اهل السنة والجماعة في العرف التقليدي، كالاشعري وامثاله. أي ان ذلك يؤكد على ان مفهوم أهل السنة هنا هو ما يتطابق مع تصورات ابن حزم ذاته.
١٧. الفخر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٩٢.
١٨. الفخر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٧٣.
١٩. لهذا السبب استهزا الفخر الرازي بهذه الفكرة مستشهداً بالآية: «فان لم تؤمنوا بي فاعزلوني»، على ان المقصود بالاعزال هنا هو الكفر (انظر، الفخر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٣٩).
٢٠. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤٩.
٢١. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٦١.
٢٢. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٩٣.
٢٣. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٣٦.
٢٤. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٠.
٢٥. الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٨.
٢٦. الاشعري: مقالات الاسلاميين، ص ١.
٢٧. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٤٩.
٢٨. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٣٩.
٢٩. ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ١، ص ٣.
٣٠. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.
٣١. ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٣٩.

- ٣٢ ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والسحل، ج ١، ص ٣.
- ٣٣ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٤٩ - ٢٨٠.
- ٣٤ ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والسحل، ج ١، ص ٣.
- ٣٥ ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والسحل، ج ١، ص ٣.
- ٣٦ ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ١، ص ٣.
- ٣٧ ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ١، ص ٣.
- ٣٨ ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٣٩.
- ٣٩ ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤٠ - ٤١. وهنا يجدر القول، بان هذه الصيغة التي تقدمها عن آراء ابن المرتضى لا تتطابق بصورة مطلقة مع ما يطرحه عن هذه الاتجاهات. وفي حالات معينة لا تتطابق آرائه عن هذه الفرق مع ما هو مميز لها حقاً. إلا ان الجوهرى فيها بالنسبة لنا هو الكشف عن المبادئ العامة في تقسيم ابن المرتضى للفرق والذي يقترب اقتراباً شديداً من آراء سابقه (البغدادي وابن حزم).
- ٤٠ ابن المرتضى: كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤١.
- ٤١ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٢.
- ٤٢ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٢.
- ٤٣ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٢.
- ٤٤ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٢.
- ٤٥ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢، ص ٤ - ٥.
- ٤٦ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٣.
- ٤٧ الشهرستاني: الملل والنحا، ج ١، ص ١٣.

## من توجهات الحزب الاشتراكي اليمني

عبد الله ناجي راشد

الحزب الاشتراكي اليمني حكم الشطر الجنوبي سنوات حافلة بالإنجازات والمشاكل ثم تغلّى عن الأفراد بحكم الجنوب لصالح وحدة اليمن على أساس التعددية السياسية مشاركاً في السلطة. الانتخبات التشريعية على الأبراب والبلاد تعاني مصائب اقتصادية إضافية من عواقب غزو صدام المكروت. والتعددية البهشة مهددة بتزعزعات الاستبداد، وجرائم الارهاب، والتقاليد العشائرية، ومكائد الألقا والأغراب. ورغم ما تعرض له الحزب الاشتراكي من تشهير واحتفالات، ومن عواقب انهيار قهارب بناه الاشتراكية في أوروبا، تنامت عضويته حتى تجاوزت الـ ٢٠٠ ألف. تكيف يتعامل مع الواقع اليمني شديد التعقيد؛ المقالة أدناه تتناوله جانباً أساسياً من توجهاته وهي منشورة في (القرى) صحيفته الأسبوعية.

يعتبر الحزب الاشتراكي اليمني أكثر الأحزاب الوطنية اليمنية عارسة للسلطة وأكثرها معايير لحركة الواقع الاجتماعي. ورغم بعض الأخطاء التي رافقت تجربته النضالية إلا أن الوقائع العملية تؤكد أنه حزب نضالي قادر على مواكبة حركة التطور الاجتماعي بتغييراته المحلية والدولية، وحزب قادر على تقييم ونقد ذاته، يعمل بالحوار، ويحترم آراء الآخرين.

ورغم تجربته الماضية في أحادية القيادة إلا أنه كان سباقاً ورانداً في الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وفقاً لاتجاهات العصر ومتطلبات عملية التطور والتجديد اللاحقين للمجتمع اليمني.

## الثقافة الجديدة

فالوثيقة الأساسية لاتجاهات الإصلاح السياسي والاقتصادي المقررة في الدورة التاسعة عشرة للجنة الحزب المركزية أكدت على ضرورة تصحيح الاختلالات والأخطاء التي رافقت تطور هيئات الدولة وأكدت على ضرورة التغلب على المعوقات الموضوعية التابعة من طبيعة التخلف الاجتماعي والاقتصادي والتجزئة وجوانب القصور في معرفة القوانين الموضوعية التي تحكم تطور المجتمع اليمني والنزعة الإرادية التي حكمت بعض النشاطات التطبيقية وتجاهل بعض الخصائص، الأمر الذي أضر بالوحدة الوطنية، مشيرة إلى أن الطريق الوحيد للخلاص من كل ذلك هو اعتماد الديمقراطية طريقاً ومنهجاً وسلوكاً في حياة المجتمع والدولة وتأمين المشاركة الفعلية للطبقات والأحزاب والفئات الاجتماعية في إدارة شؤون الدولة والمجتمع.

وانطلاقاً مما سلف فإن للحزب الاشتراكي شرف السبق والمبادرة في حمل لواء الديمقراطية والإصلاح والوحدة وساهم الآن بمسؤولية كبيرة في عملية توحيد صفوف القوى الوطنية والديمقراطية للدفاع عن الوحدة والعمل على إنجاز الخطوة الأولى في مسار الديمقراطية وهي عملية إنجاح الانتخابات النيابية المقبلة وكذا العمل على تعزيز عوامل الثقة فيما بين القوى السياسية تجاه صيانة الهدف السامي المتمثل بحماية الوحدة وصيانة الديمقراطية وتأمين التطور الحضاري المستقل للشعب اليمني.

وعلى هذا المتوال فقد أولت الدورة الثامنة والعشرين للجنة المركزية للحزب أهمية كبيرة لمسألة إرساء التقاليد الديمقراطية التي نحاول الوصول إليها والسبر في طريقها، مؤكدة على اجتثاث التوازع الشريرة للذات وإتاحة المجال لحركة الإبداع والفكر السياسي والعلمي للجماهير الشعبية في إدارة شؤون الواقع وفي نفس الوقت العمل على تصحيح الأخطاء المعيقة لحركة تطور المجتمع من خلال إضفاء الصفة الوطنية على نظام الحكم السياسي والتنفيذي والقضائي بعيداً عن أساليب الرصاية والاملاء، وأساليب الاستئثار بالسلطة واستخدامها لغرض تحقيق المنافع الذاتية والمناطقية والطائفية والمذهبية وغيرها من النزعات الأنانية الضيقة التي عرقلت عملية التطور الحاصل لمجتمعنا اليمني خلال السنوات الماضية، وأولت الدورة أهمية كبيرة للعمل على تعزيز الثقة وتواصل وتبادل الحوارات بين الحزب والمؤتمر باعتبارهما الحزبين الشريكين في تحقيق الوحدة ويتحملان المسؤولية التاريخية في عملية الحفاظ عليها وبناء سلطتها على قاعدة النهج الديمقراطي وكذا مواصلة العمل والحوارات مع أطراف القوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية الأخرى في سبيل تعزيز مبادئ الثقة والجهد الوطني الصادق وتبادل الآراء للبحث عن إيجاد الصيغ المناسبة لتعزيز دور العمل الوطني والمشاركة في معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للبلد وكذا المساهمة في بناء أسس الدولة الحديثة على قاعدة الديمقراطية والقانون والتحديث الحضاري للمجتمع.

وفي ضوء نجاحات الديمقراطية في الكثير من بلدان العالم الثالث ومنها بلادنا يؤكد الحزب على أهمية استبدال الشعارات والكلمات الرنانة بالمعرفة والمصداقية والعمل. لكون الديمقراطية هي



في الأساس ممارسة، فالديمقراطية في نظر حزننا بحاجة إلى ذات متحررة من قيود الماضي ورواسبه المتخلفة، بحاجة إلى إعطاء الأولوية والأهمية فيها للفرد وضمان عيشه وأمنه واستقراره واحترام معتقداته وآرائه وتفكيراته، والعمل على تحريره من الأحكام المسبقة وإلغاء المطلقات المقيدة لتفكيره والحفاظ على مطلق وحيد هو حرية الفكر والابداع والممارسة في جميع ميادين الحياة.

وحزننا يؤكد أن الخطوة الأولى للديمقراطية هو الوصول إلى صناديق الاقتراع والاحكام إليها، غير أنه على يقين أن تلك الخطوة تكتسب أهميتها في ظل تأسيس علاقات مدنية متحضرة وقوانين سيادية متحررة من عقليات الماضي ومن العلاقات العشوائية والتبعية وكافة علاقات التبعية.. فالديمقراطية التي نريدها هي تلك الديمقراطية ذات المضمون الاجتماعي التي ستوفر للإنسان ليس حقه في الرأي والانتماء السياسي فقط، بل وضمان حقه في العيش والأمن والاستقرار والعمل على رفع النظم الاجتماعي عن كاهله وتوفير قدر كاف من العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل لمصادر الثروة وتكافؤ الفرص.

إن الديمقراطية لا يمكن أن تسود وتقارس إلا في ظل سلطة متتخبة يخضع فيها الحاكم والمحكوم على السواء لشرعية القانون وسيادته وهذا لن يتأتى إلا بإنشاء دولة المؤسسات القائمة على اللامركزية والعمل على استقلالية السلطة القضائية وتحريرها من تأثيرات أجهزة الحكم السياسي وسلطة الكماشة للحزب وايدولوجية الحاكم.

وتتمثل الضمانات الفكرية والقانونية بضرورة وجود فكر مرجعي يعبر عن القيم الوطنية للشعب اليمني في ظل سيادة القانون ووسط سلطانه على الحاكمين والمحكومين ومن خلال نظام قضائي فعال قائم على أساس الفصل بين السلطات والعمل في نفس الوقت على تخليص سلطة الدولة من تأثيرات وضغوط المؤسسات القبلية والتقليدية التي تتنازع النفوذ مع الدولة والسلطة وتتقاسمها الشرعية.. أما الضمانات الشعبية فتتمثل في قيام النظام السياسي متعدد الأحزاب والمنظمات الجماهيرية والابداعية وتوسيع منظومة الحكم المحلي وإقامة النظام الاقتصادي العادل.

إن النظرة الواقعية والعلمية لحزننا حول الكثير من القضايا الوطنية وقضايا السلطة والديمقراطية وقضايا التحديث الحضاري قد أثار غضب وحقد بعض القوى المتخلفة وتيارات الاسلام السياسي، فبالرغم من أن الجميع يدرك أن الحزب الاشتراكي اليمني خلال تاريخه الطويل لم يكن له أي موقف معادي من الدين والقوى الاسلامية الوطنية.. ولم يكن في أي يوم ضد أن يكون الدين الاسلامي ديناً للدولة، والشرعية الاسلامية مصدراً رئيسياً من مصادر التشريع.. فالحزب الاشتراكي اليمني منبثق من أوساط الشعب المسلم ويعتبر الفكر الاسلامي المتطور والثقافة الاسلامية والوطنية جزءاً أساسياً من الفكر السياسي الثقافي لحزننا، ولا يوجد في صفوفه من ينكر الاسلام والقيم الاسلامية كما تصور ذلك وتدعي بعض القوى الدينية المتطرفة والمتعصبة التي أعطت لنفسها الحق أن تكون وصية على الاسلام، وفي تكفير الآخرين وإبادة دمائهم، والاقتراء على المرأة وتشويه دورها

الاجتماعي وحرمانها من حقوقها كمواطنة.

وتعرض الحزب الاشتراكي اليمني ولازال يتعرض لحملات اعلامية مفرضة وموتورة، كما جرى استهداف العديد من قياداته وأعضائه بهدف الاغتيال والتصفية الجسدية، غير أن تلك القوى التي تلقى وراء هذه الأعمال قد أفصحت بشكل أو بآخر أمام الرأي العام أنها لاتستهدف الحزب الاشتراكي بلأته بل كل القوى الوطنية الشريفة بهدف النيل من المشروع الحضاري والوحدوي لشعبنا اليمني.

ومن الواجب على كل القوى الوطنية ذات المشروع الحضاري أن تهدي موقفاً واضحاً من تلك القوى والسياسات التي تتخذ من العنف والارهاب أسلوباً لفرض آرائها والتي تسخر دور العبادة والمساجد للتكفير والدعاية السياسية والتضليل على جموع المسلمين وإشغالهم عن القضايا الأساسية في أمور دينهم ودنياهم، وتفتيت الوحدة الوطنية وإثارة الفتنة.

عن (الثوري) صنعاء ٢/٢٥

### في الولايات المتحدة الأمريكية جيل ضائع مدجج بالسلاح

#### ترجمة واعداد: جورج يوسف

يشير موضوع ارتكاب المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية جرائم القتل وبأعداد كبيرة، رغم أنهم لا يشكلون الآن سوى نسبة قليلة نسبياً من السكان، يشير الكثير من التساؤل والجدل. المختصون يعززون الأمر إلى تعاطي المخدرات المهلكة، واستخدام الأسلحة الفتاكة، وإلى التفسخ والاتحلل المتفشى في المدارس العامة، وإلى العديد من الحقائق الأخرى. بيد أن جيمس فوكس\* يرى أن الأمريكيين في انحلال وتفكك قيم الأسرة في المجتمع الأمريكي الذي يواجه اليوم مشكلة جيل ضائع من المراهقين قساة القلوب الذين يضغطون على زناد بنادقهم بفرح، ويرفضون المفهوم التقليدي للخير والشر... جيل لا يولي أدنى اهتمام للضحية ولا بهاب السجون والمعتقلات ولا حتى الاعدامات... لأنه يتعرض للموت في الشوارع الأمريكية المحفوفة بالمخاطر كل يوم.

يشير بحث البروفيسور فوكس الأخير الذي نشره في شهر تشرين الثاني /أكتوبر ١٩٩٢ الرعب في نفوس الشعب الأمريكي. فعلى سبيل المثال لا الحصر: ازداد في الأعوام الستة الماضية عدد مرتكبي الجرائم من الأحداث بعمر ١٥ عاماً في الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها بنسبة ٢٠٠ في المائة. ثم أن نسبة مرتكبي الجريمة بعمر ١٣-١٤ عاماً زادت بنسبة ١٤٠ في المائة.

وعزى فوكس سبب اقتراف القتيلان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨-٢١ عاماً الجريمة إلى عدم التنضج والرشد وبالتالي استحالة السيطرة على سلوكهم وتصرفاتهم، ويضيف: «إن ما يهزنا اليوم

هو أن نرى ما يحدث للفتيان بعمر ١٤-١٧ عاماً. أقصد أن موضوع انغماس هؤلاء في ارتكاب الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية وبهذا الشكل المرعب محنة عظيمة... لابل أنها كارثة بحق».

ويتحدث فوكس عن الأرقام التي تنذر بكارثة مروعة، مشيراً إلى أن وباء القتل الذي تقش في الولايات المتحدة الأمريكية أواخر الستينات وأوائل السبعينات تضاعف خلال السنوات الخمس الأخيرة. ثم يردف قائلاً: «وإذا اعتقد الناس أن الأمور سيئة في الوقت الحاضر، فإنها تسير سيراً حثيثاً نحو الأسوأ. إنها أنباء محزنة حقاً أن تتجاوز ٣٠ مدينة أمريكية أرقاماً قياسية في القتل خلال الأعوام القليلة الماضية... بيد أن كل هذا لاشيء قياساً بما سيحدث في المستقبل».

يشارك فوكس زميله جلين بايرس (مدير مركز الأبحاث الاجتماعية)، فيقول بصدد ما يحدث في الشوارع ووسط المواصلات الأمريكية: أن المراهق بعمر ١٤ عاماً يطلق النار دون خشية أو ريب على من يلقي عليه نظرة جانبية، أو إذا شتمه أحد، أو لأي سبب تافه آخر دون التفكير بعواقب الأمر... وهو إذ يفعل كل ذلك ينتابه فرح غامر.

إن ما يفعله المراهق اليوم يعود إلى أنه يريد أن يستمتع بطريقته الخاصة في تلك اللحظة متناسياً أو متجاهلاً نتائج الفد. فاستمتاع المراهق في هذه الأيام يختلف تماماً عما كان في الجيل السابق.

فلم يكن في المجتمع الأمريكي هذا العدد الكبير من المراهقين المدججين بالأسلحة، أو بالأحرى لم تكن أسلحتهم فتاكة إلى هذا الحد... فالجيل السابق كان غارقاً في الادمان على المخدرات، ولم تكن كسما هي اليوم جزءاً من سلوك المراهق. ورغم أن الجريمة أصبحت تشكل جزءاً من الثقافة الأمريكية، إلا أن نوع التفكير لدى المراهق ومعايرته أخطر بكثير من ذلك.

يقول فوكس: «لا يمكننا الجزم بأن كل المراهقين يهتمون بصحتهم، بيد أن الجزء الأعظم منهم لا يتخطر الضحية بباله على الإطلاق. أعتقد أن ذلك يرجع إلى فترة المراهقة التي هم فيها، ففي هذه المرحلة يكون الشخص أنانياً بمعنى الكلمة ومتكفلاً على ذاته».

لدينا حالات عديدة يقول فيها المراهق لصديقه: «سأرتكب القتل، اصطحبي أصدقائي ليشاهدوا جثة القتيل».

ويواصل فوكس حديثه عن جيل الفتیان الذي ترعرع وكبر مع الأفلام الوحشية، جيل فتح عينيه على مشاهد من اغتصاب في أفلام الفيديو وهو يبدي قلقه حول ما سيحدث لاحقاً، مشيراً إلى أنه بعد ١٠ سنوات سيكبر هذا الجيل وستكون هذه الأفلام ومشاهد الدعارة والقتل جزءاً من سلوكه اليومي.

وبشكل عام يتفق فوكس وبايرس على أن أكثر من الأطفال عرضة للانجرار إلى عالم الجريمة والقتل هم الذين لا يلقون الرعاية في العائلة والمدرسة، ولهذا يصعب الفصل بين السبب والنتيجة. فأخطر الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية هي تلك التي ترقد قتيلاً الجنس والجريمة لدى

## الثقافة الجديدة

المراهقين، فيبقى مفهوم الاساءة والاكتصاص متعة في أذهانهم. فهذه الأفلام كثيراً ما تصور مشاهد جنسية يظهر فيها رجال يفتصبون النساء ويقومون بالتنكيل بهن.

إن عامل الرقابة والاشراف ضروري إلى أبعد الحدود في الأسرة كما يؤكد الباحثان فوكس وبايرس، إذ ليس للوالدين - غالباً - الوقت أو الرغبة لاعارة أدنى اهتمام لأولادهم كأن يكون بحوزة ابنهما ذي العشر سنوات مسلسل من عيار ٢٨ مضيقاً تهت وسادته.

ثم يخلص فوكس وبايرس إلى الحاجة الماسة لتوظيف أعداد كافية من المعلمين الأكفاء، ليعوضوا غياب الوالدين، وتوفير وسائل الراحة والاستجمام للمراهقين لتكون طعماً جيداً لهم يحيد بهم عن الشوازع المرعبة التي يلغونها كل يوم، والاهتمام بدور الحضانة، والسعي بجدية لتحويل التلفزيون إلى عامل اجتماعي أساسي في حياة الأطفال.

هنالك الكثير من الوالدين الذين يتركون أطفالهم في البيت لرحلهم ليذهبوا إلى أعمالهم، وهنالك من يهمل أطفاله قبل أن يصلوا إلى سن لا يكونون فيها عرضة سريعة للاقتصاد.

يقول فوكس: «يجب أن يكون الطفل في أعوامه الأولى في أحضان دافئة وأمنة، وإذا فقد الحنان والرعاية منذ طفولته، فسيكون في محنة عندما يكبر دون شك».

هنالك موضوع مهم آخر يقلق فوكس كثيراً، هو نظام التأمين الصحي في أمريكا، فالسواد الأعظم من الناس لا يستطيعون الاتفاق على أبحاثهم في مجال الصحة العقلية والاستشارات الطبية. الكثير من الأسر بحاجة ماسة إلى هذا النوع من الاستشارات الطبية التي لا يمكنهم أخذها لأنها تكلف ٥٠٠ دولار للشخص الواحد.

وماذا عن الدين؟ يقول فوكس: «لا يزال صدى إحدى وصايا الله العشر: «لا تقتل» عالماً في أذهانتنا. لقد كان الدين جزءاً معروفاً من ثقافتنا، لكنه لم يبق كذلك اليوم. فالدين الموجه هو أحد الروادح الاجتماعية القوية والعامل الايجابي في تربية النشء... أما اليوم فقد تحولت الوصية الأثقة الذكر إلى (حاذر أن يقبض عليك).

وهنا يتدخل بايرس ليضيف: «هنالك جيل من المراهقين لا يهتم حتى إذا أُلقي القبض عليه، لاعتقاده بأنه سيموت أجلاً أم عاجلاً وهو في عز شبابه... ولهذا لا يختلف الأمر عنده أن يكون موته في هذه اللحظة أو بعد عدة سنوات».

يقول فوكس: إننا نرى اليوم جيلاً متخماً اعتاد على التعلل وارتكاب الجرائم دون أدنى تهيب. ثم يتساءل حول امكانية إعادة هؤلاء المراهقين إلى جادة الصواب، أم أنه قد فات الأوان؟ فيجيب: «بالطبع لدينا فتيان ممن لهم بين الـ ١٤ - ١٦ سنة يعملون مع عصابات المخدرات وعصابات القتل، ومن الصعب جداً إعادة هؤلاء إلى أحضان المجتمع. بيد أنني أود التحويل على أسبقية الهداء اهتمام أكبر بالأحداث قبل سنوات المراهقة».

ويعقب بايرس قاتلاً: «إن ذلك سيكلف مجتمعنا الكثير الكثير من الأموال. فإننا لم نعر في

## الثقافة الجديدة

السابق اهتماماً لذلك وكان جلّ تركيزنا على الأسرة الأمريكية، وعلى النسوة ذوات الأجور الوطنية العاملات كأمهات، والمعلمات ذوات الدخل المحدود. ولم نعر اهتماماً كذلك لعمل الكنيسة وبرامجها في هذا المجال».

ثم ينهي فوكس حديثه قائلاً: «وإن لم تفعل شيئاً، فإننا سندفع ثمن كل ذلك بالسجون التي هي من وظائف الحكومة».

عن صحيفة (تور توتستار) الكندية

٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٢

\* بروفيسور في كلية العدل القضائي بولاية بوسطن الأمريكية. خبير معروف في مجال الجريمة، له ثمانية مؤلفات عرضت جميعها أمام الكونغرس الأمريكي ولعدة مرات. نشر بحثاً في الاونة الأخيرة يبين فيه الزيادة القسرية في جرائم القتل المتعمد التي يرتكبها الأحداث دون سن الثامنة عشرة في أمريكا.

==

# أدب وفن



### المخزومي في ذاكرة الجواهري

في أوائل آذار المنصرم توقف قلب الشيخ الجليل الدكتور مهدي المخزومي. وبرحيله فقدت الساحة الثقافية واحداً من أبرز علماء اللغة العربية وأستاذاً وقبع الخلق، ومناضلاً وطنياً في سبيل حرية الفكر والديمقراطية.

بعد ثورة ١٤ تموز تولى العلامة الفقيه عمادة كلية الآداب، وانتخب للهيئة القيادية لثقافة المعلمين، وساهم في الوقت نفسه، في تأسيس اتحاد الأدباء وانتخب لهيئته الإدارية، وحين اضطر رئيسه، الجواهري الكبير إلى مغادرة الوطن، ناب عنه الأستاذ المخزومي في قيادة الاتحاد إلى أن أودع السجن بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ مع مئات من خيرة رموز الثقافة العراقية الديمقراطية. ث

في المقالة التالية يتذكر الجواهري صديقه الراحل، مهيهاً على أسئلة طرحها عليه الزميل صباح الندلاوي:

• العلامة المخزومي من أبنا مدينة النجف، ومن أصدقائك الخالص. فهل يمكن أن تلقي بعض الضوء على نشأته وتدرجه في دنيا العلم؟

هو من عائلة زاير ادهام، وهي عائلة عريقة ومعروفة في النجف، دخل الحوزة العلمية في النجف، وكان أحد النابهين فيها، فوقع عليه الاختيار ليكون مرشحاً إلى الدراسة في القاهرة. أثبت المخزومي خلال دراسته جدارة لاتصدق، حتى أن أطروحتة المعنونة «الخليل بن أحمد» لم



تناقش من قبل الأستاذ المشرف، أحمد أمين، أستاذ الأساتذة في العالم العربي، وصاحب الموسوعة الإسلامية، إذ قال حينذاك: كيف لي أن أناقش عالماً؟

وفي لبنان، وفيما بعد، ظفرت أطروحته المعنونة «مدرسة الكوفة» بجائزة أدبية شهيرة، وبعد ذلك لم نر له مؤلفاً. حيث أصبح عميداً لكلية الآداب - جامعة بغداد.

عرف عن المخزومي شغفه ولوعه بالمطالعة والقراءة كان يبقى حتى ساعة متأخرة من الليل بين أحضان تلك الكتب وفي مكتبته الضخمة والفخمة.

في إحدى زياراتي له، قلت: ألا تخشى أن تسقط عليك تلك الكتب كما حدث للمجاهظ.  
 • ماذا عن ذكرياتك مع المخزومي خلال عملكما في اتحاد الأدباء العراقيين في أعقاب ثورة تموز عام ١٩٥٨؟

لعل أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد الدعوة التي وجهت إلينا، كاتحاد الأدباء، للمشاركة بمؤتمر عربي يقيمه اتحاد الكتاب العرب في الكويت وتشارك فيه الاتحادات كتاب عربية كلها حديثة العهد. الوفد الذي تشكل كان يضم الشاعر حافظ جميل والباحث اللغوي كمال إبراهيم، والمؤرخ علي الخاقاني، والشاعرة نازك الملائكة، والعلامة المتجرد الدكتور مهدي المخزومي، والأديب الكاتب علي جواه الطاهر والشاعر ومحمود الحبيوبي، والأديب صلاح خالص وأنا. المهم، قبل انعقاد المؤتمر بيوم واحد، وكما هو المألوف، كان علينا أن نقابل أمير دولة الكويت، وانتدبت أنا والدكتور المخزومي وأديب آخر للذهاب إلى الأمير. وجلسنا ناحية بينما هو مشغول أو متشاغل مع أحد أعضاء الوفد المصري بحيث وجدنا أنفسنا في موقف لاتحسد عليه ونحن نمثل الوفد العراقي لاغيره. وحفظاً لكرامتنا وكرامة الوفد العراقي أومأت إلى زملائي بالتهوض ونهضنا فعلاً، لنجد أنفسنا، ونحن نستاذن الأمير بالانصراف، مثل الذي ماسلم حتى ودع، كما يقولون.

خلال انعقاد المؤتمر، تم اختياري رئيساً للجلسة وهذا تابع من تقدير الحضور للوفد العراقي ونقله الثقافي. وعين حاول البعض من الوفود العربية إثارة الحساسيات والخلافات، دققت على الطاولة لمرات، ولما لم يجد ذلك نفعاً، قرروا الانسحاب فنهضت، ونهض الوفد العراقي بأكمله معلنين الانسحاب، إلا أن النخوة العربية، والعراقية بخاصة، دفعت العراقيين الحضور والعاملين في الكويت لاعادتي إلى المنصة. وحينما ظلمت من أساء إلى الوفد العراقي أن يعتذر من الحضور ومني، فما كان منه إلا أن يعتذر، فوجدتني في الوقت نفسه أبدي له أسفي وحزني على أن نتجر إلى مثل هذه النهاية. فقمنا ثم نأت إلى الكويت لنشعل الفرقة والاحتراب، وإنما لنخطو نحو التوحد والتلاحم، وأنت تدري كما يدري الآخرون، أنك لو أشعلت سيكارة في البصرة لأطفاها في الكويت، وتابعت القول: مع ذلك فقد كان الاستقبال يثير القرف والاشمئزاز، أثر تلك اللقائات التي انتشرت هنا وهناك، وعلى طول الطريق الموصل بين المطار والفتندق: احذروا الشيوعيين - احذروا الشيوعيين! وأضفت قائلاً: ثم أن هذه المسافة القصيرة بين البصرة والكويت لم تدعني أكمل قصيدي «ديانا»

## الثقافة الجديدة

التي كنت أفتنى بأبياتها في الطائرة، وأشارت إلى الدكتور المخزومي على أنه الشاهد. فهتف الجميع، تريد القصيدة، قصيدة «ياقا» فليت الطلب.

• ماذا عن رحيله إلى السعودية؟

في أعقاب انقلاب شباط ١٩٦٣، اتجه إلى السعودية بحثاً عن العمل، وبقي أربع سنوات يدرس فيها. وقد أثيرت بعض الاعتراضات من الحاقدين عليه لدى العائلة الحاكمة في السعودية على كونه شيوعياً رغم أنه لم ينتم إلى حزب. فما كان من العائلة الحاكمة وتقييماً لمكانته العلمية ومزنته الرفيعة إلا أن قالت: إن كان كل الشيوعيين مثل هذا الرجل، قهاوا لنا بهم لنستفيد منهم.

• ماذا عن أسرته؟

أذكر أنه متزوج وله ولد اسمه، مهند، وبنت اسمها نوال، ابنه كان قد سافر إلى يوغسلافيا لغرض الدراسة. قبل أعوام فجع بوفاة زوجته التي شاطرته السراء والضراء في حياته، ولربما كانت هذه الفجيعة سبباً في تعجيل وفاته، زائداً أنه كان يعاني منذ فترة طويلة، بين الحين والحين، من خفقان في القلب.

• ماذا عن خواطر وذكريات أخرى؟

في أوائل الخمسينات، وخلال وجودي في القاهرة، كان المخزومي من بين الأصدقاء الذين يترددون علينا وبخفقين عنا وطأة الغربة، ومن عرفوا بلطفهم وكرمهم وحسن معشرهم، ومن أمضيت وإياهم مستمتعاً بجلسات لا تنسى. وأذكر أيضاً في السبعينات، وحينما أقيم مهرجان الجواهري في جامعة الموصل، احتفاً وتكرياً لي، ألقى المخزومي وأدباء آخرون كلمات بهذه المناسبة، نشرت كلمته فيما بعد في كتاب يحمل عنوان «الجواهري في جامعة الموصل» وحينما تم تأسيس المجمع العلمي العراقي، في بداية السبعينات، كان العلامة المخزومي عضواً في الهيئة الادارية.. ثم أملت به علة، دخل أثرها المستشفى وعند شفاته قلت بحقه الأبيات التالية:

أبا مهند

أبا مهند لا آذتك نازلة	ولا تخطت إلى عليائك العلل
ولا خلت منك سوح الفضل عامر	بها إذا غبت عنها ساعة خلل
وظل كالقجر ضوء منك منطلق	يهدي العصور، وهدى منك مقبل
ياكاسي الجليل من أفضاله متناً	منها تنبئ على أكتافه حلل
وحاضن «اللفة الفصحى» وقد عبث	بها الجهالة ... والأخطاء .. والزلل
ومطلع الفكر في ظلماتها قهساً	كما يحول روضاً يانعاً طلل
يهنيك أن ربوع العلم تحتفل	بأن سلمت .. وسوح المجد تبتهل

• هل من كلمة أخيرة ؟

الكلمة الأخيرة عندي هي مدى قدرة هذا الانسان أن يقاوم - ما استطاع - النكبة بعد النكبة، والقجيجة بعد القجيجة، ثم لا يقدر على شيء سوى أن يضيفهما إلى دفاتر حياته المتسومة عليه (كل ذلك بصمت وخشوع) وأن يجتر آلامه اجترار الصابرين. فمئذ أكثر من عشر سنوات فارقت فيها الوطن وخلال كل مايتيسر من «الهواتف» المدينة بيتي وبين بغداد، بل ومن خلال القادمين منها والعائدين إليها، كان سؤالي الأول، بالحرف الواحد: خبروني عن حالة أبي مهند المخزومي. ولقد ظل خبر وفاته مكتوماً عليّ قرابة أسبوعين، حتى عثرت عن طريق الصدفة النادرة على هذا الخبر الأليم.

فكان ذلك أكثر من محزن لي. لأنني قبل كل شيء، رأيت المقاييس مسحقة أمام عيني.. فهل تكون تلك الكلمات القصيرة والأخيرة والباهتة هي حصة مفخرة من مفاخر العراق الأوائل وعلم من أعلامه الشاخسة؟ ولا يبدل في شيء كلمة «وداعاً ووفاء» في جريدة أخرى تبدو وكأنها ملزمة بأن لا تتجاوز حدود كلمات معدودة. ومهما كان الأمر، فبوسع القراء أن يتعرفوا على مدى خسارة العراق، بل العالم العربي كله، بفقدان أبي مهند، المخزومي، وعلى وقع هذه الخسارة على الصفة الحسرة من أقران المخزومي وخلاته.. وعلى مثلي، أنا بالذات، من دونهم.. فلقد كانت الصلاة الوطنية، بيتي وبيته، تكاد تكون مضرب الأمثال.

وهأنذا اليوم أجدني ذلك الانسان المخلوق نفسه العاجز - وهو يتلقى فقدان أعز من عنده من خليل ومن خدين - عن أن يأتي بشيء جديد، وأن يجدد الكلمات الحزينة واللائقة. فليست الأداة وحدها قادرة أن تزحزح سطرأ واحداً من سفر مآسي الحياة. وكل ما تقدر عليه هو أن تضيف سطرأ جديداً منها إلى دفتر الحياة.

لقد كنت، بارليقي الضائع، رمزاً شاخصاً من رموز الحكيم الصيني القتال:

وليدوا

فتصلبوا

فماتوا

وإلى لقاء قريب في عالم الأرواح.

قصائد

## قصيدة حب إلى المور

كريم الاسدي

---

لك،

للاذكرى نابتة في طينتك مشقوفاً بالماء

للسابلة الليليين يبرون خفافاً وثقالاً

لسان خضراء

تمخر لابساً في الأعناق فوانيساً شقراء

للقبيلات المؤودة في البر...

تفر إليك

لمواعيد في السر...

تحتق في شرك

لورود البحر، حقول أغائر

تترعرع في حضن صلاتك

لك،

لأسماك الله تحلق في ملكوت أزرق

---

لك ... للماء شقيقاً في قلبك  
لك يادفء  
لطيور هجرها البرد لموقد روحك  
لطيور الغاق تجدد بيعتها للماء  
للحذاف رهيقاً يتمرأى بالماء  
وللجمع \* المبتل بسحر الماء  
لك ياما  
لك ياصوت الكون الأول  
ياسر الكون الأول  
يامبتدأ الأشياء  
لك أجشو  
منحنياً فوق جبينك أفئدة من ماء  
لك يادفء الماء.

\* الحذاف، الغاق والجمع طيور تأكل أحرار جنوب العراق.

١٩٩١ فراي بورك - ألمانيا

### سوال

يانادل ألخان عاقرها وقم دارنا  
دارت سماكم ونحن الخمر مادارنا  
لله در الذي لا يدري مادارنا  
الحلم والصحو ماسالت به عيتهم  
هم حدثونا ولما لم تكن عيتهم  
قد أبصرتنا مضت تهسي على دارنا.

١٩٩٢/١٢/٢٩

برلين - ألمانيا

## سوت في الريح

حينما تجذاني  
راحلاً في دمي  
سابعاً في أثير الجراح  
واجماً كجنوب الرياح  
حينما تعرفان دمي  
ناهماً من أقاصي السماء  
مارقاً في البروق  
ساهماً كالنيازك خاسرة،  
فارفعاني  
فريداً كهودج ماء  
وإذ هبت الريح نحو الجنوب  
ونحو الشروق  
إذن  
وجداني

## كوكب

أنتما كالصليب  
وأنا نجمة في الوسط  
حينما يتقوس ظهر الصليب  
أرتقي للسماء  
كوكباً يتبرعم منه الضياء.

### ما الفائدة أن اتكلم معك؟

ما الفائدة المسرح بعد؟

إن كان ابنك يخطط مع رفاقه

لنهب قبر «برتولد بريشت»

ما الفائدة الأوبرا؟

وابنك يتسل من البيت

مغنياً تلك الأغنية الرعيدة

أغنية الحرب الزائفة

شاحلاً سكينه

ليغرسه في قلب زميله الأسمر

الذي ألقت به الرياح الشرقية

على مقاعد مدارسكم

ما الفائدة الشعر بعد؟

وابنك يخطط لخنق شاعر «غريب»

كتب قصيدة حب لفتاة شرقاء

هل ما الفائدة القصائد والأناشيد؟

(١) إذا كانت الجموع ستذهب عما قريب إلى «فايمار»

لوضع السلاسل في رقبة «گوته» و«شيلر»

ساحلاً أيهما في الشوارع

(٢) محولةً مكان النصب إلى بيت لـ «كاوف هوف»

ما الفائدة السيتما؟

وابنك يتمرن على بروقات الغابة،

تحت إشراف مدرب ماهر

على تصويب المسدس

نحو أئداء أرملتر  
هاجرت من جعيم الحرب  
فرحةً بصغيرها المتبقي  
مافائدة كل هذا وذاك؟  
مافائدة الطائرات؟  
تصب حممها على شعوب حكم عليها بالاعدام  
والهوارج؟  
تنقل الأسلحة لطفاة العالم  
والسفن؟  
تحمل النفايات النووية إلى مقابر الأحياء  
مافائدة كل هذا وذاك؟  
بل مافائدة أن أتكلم معك الآن... أيها الأستاذ  
مادمت منشغلاً في اللعب مع الكمبيوتر!!

١٦ - ١٧/٩/١٩٩٢

برلين

- (١) في مدينة فايمار شرق ألمانيا ينتصب تمثال للشاعرين كوته وشيلر معاً.  
(٢) كاوف هرف: إسم لواحد من أكبر المحلات الاستهلاكية في ألمانيا وأكثرها انتشاراً وشهرة ومبيعاً.  
حيث يوجد في كل مدينة ألمانية تقريباً.



## ليالي بولونيا

مؤيد عبد الستار

---

### (١) نبضات

الأرض حبلى بالأشجار والزهور  
والعشب الأخضر  
تهيم على فسحاتها قطعان الماشية  
المزركشة الألوان  
وهناك، فوق رابية معلقة إلى السماء  
يتطاير الازر الأبيض  
غنجا وحبوراً

وأنا  
أمتطي قطاراً ينهب السكة العجوز  
يخب نحر مدينة جميلة  
سأنزلها  
وأتركها سريعاً

إلى مدينة أخرى  
وأخرى  
ولأعلم  
أين سيتوقف القلب  
عن الوجيب

في القطار من كراكوف إلى وارشو  
١٩٩٠ / ٨ / ١٧

### (٢) ماريا

في تلك الحانة المكونة  
المفروشة بألوان الزهور  
طافت علينا  
ساقية بضعة  
عارية الفخذين  
تحمّل أقناع الحمر البيضاء  
تفتت  
استلارت بمنج  
وهزت وسطها  
فأضأت مصابيح الرجال  
ودقت أجراس الشرق عالياً

كراكوف / ١٩٩٠

### (٣) المشرد

جلس وحيداً  
وأتزوى في الحانة الداكنة الجدران  
الممتدة على رصيف شارع كالع  
طلب كأساً من الفردكا

وقدحاً من الشاي  
أشعل سيكارتته  
ورداً  
يرشف الفردكا  
ويشرب الشاي مرة\*

كراكول ١٩٩٠

### (٤) نافذة الغربية

من علبة  
في الطابق الحادي عشر  
تطل عيوني على مدينة  
أكوام من حجر  
يتدلى رأسي مرهقاً  
ترهق السمع أذناي  
عسى أن تلتقط خبراً  
من الأقاصي  
خبراً يترج الصرخين  
بمطرقة  
تحمل من جبل ...  
نخلة ...  
نهرًا\*

رئين

ومن نافذة العلبة  
المسورة بالحديد  
أمد يدي  
أمدحاً كي تطول أميالاً  
كي تلمس شعاعاً  
من ضوء قمر نأى ...

واختفى...

وراء شراع القرية،

والسنتين.

وارشو ١٩٩٠/٨/٦

### أيام الثقافة العراقية في بولين

مناسبة مرور عامين على القصف الجوي للعراق نظمت جمعية الطلبة العراقيين في ألمانيا أيام الثقافة العراقية في المنفى.

في الأمسية الأولى (١٤ كانون الثاني) تحدث الدكتور جيرلنكهوف (عضو دائم في لجنة السلام والتفاهم الدولي) عن زيارة قام بها للعراق سلّمت خلالها أدوية ومعدات طبية إلى المستشفى المركزي في البصرة تبرعاً من حركة السلام الألمانية. ووصف معاناة الأطفال والشيوخ والمعوقين بسبب نقص الغذاء والدواء والأدوات الاحتياطية في ظل الحظر. فدعا إلى إنهاء الحظر، والحوار لحل المشاكل.

ثم قدم الباحث فالح عبد الجبار مداخلة تناولت سلطة العائلة وتطورها في العراق وعواقب سياساتها، أعقبها مناقشة حيوية تعددت فيها وجهات النظر بشأن أوضاع العراق والمنطقة والحظر الدولي.

في الأمسية الثانية تليت محاضرة أرسلها من بكين الباحث هادي العلوي تناولت العلاقات بين الصين والعراق في غابر العصور. ثم قدم الباحث فالح عبد الجبار محاضرة عنوانها «فكرة الحق السياسي في الاسلام، نظرة تاريخية ومعاصرة».

بعد ذلك قدمت الدكتورة سائلة حسون نصاً نثرياً عن معاناة المرأة في مدينتها، الموصل. وتلا الشاعر كريم الأسدي عدداً من قصائده الجديدة. ثم تلا الشاعر الكردي فرياد بعض قصائده بالكردية والعربية، وتولى الدكتور زهدي الداودي ترجمة مقاطع منها إلى الألمانية مباشرة. واختتمت الأمسية الشاعر فاضل المزايي بشي - من تعاجه.

وافتححت الأمسية الختامية (١٦ ك ٢) بتحيةة إلى شعبنا في كل ربوع الوطن. ثم تلا الشاعر عزيز السماوي شيئاً من شعره. أعقبه عزف الملحن كمال السيد لمقاطع من موسيقانا الأصيلة، وأنشد طالب غالي بضع أغاني سياسية. ثم شارك الحاضرون حازم وجاسم في الأغاني الشعبية.

معيد - برلين ٢٨ شباط

## حينما يعلب الشعر

شعر محمد أمين بينجويني  
ترجمة: رؤوف عثمان

يا بنيامين .. بشرتك سوداء

فاقمة

لكن روحك بيضاء

ناصعة

قصائدك غابة من لهيب

ماضية حد السهام

الراسية

يا ذا اللون الفحمي ...

مالذنب إلا سواد بشرتك

وعشق التراب والانسان؟!

والبحث عبر دمك القاني

عن المساواة بين الأنام

هذه خاقتك لدى

أنظمة القهر والسلب  
وعباد الدولار والمال والذهب  
يا أيها العبد المعنى الأسود  
حينما صلبوك  
المتصفون اغتاضوا  
والاذاعات ذرقت دموعاً  
والناس ... ثاروا  
والتاريخ هتف ملء الحنجرة  
أنى لـ (هنيامين) الموت؟  
فالشاعر ملاك وزهرة  
رسالة وثورة  
يا أيها العبد الأسود ...  
كيف تجرم بحالك لونك  
وبياض قلبك  
أنا مثلك .....  
أهري الشعر والجمال  
أعشق الأرض والانسان  
أغني للحرية في كل زمان ومكان  
لكن ... آه ...  
فحينما أشتق وأصلب وأقتل  
هذا العالم بأنامه ويلدانه  
يصمت صمت أبي الهول  
كمن في أذنه نحاس ووقر  
ورائحة النفط تفقده الاحساس  
بالصوت والنواح والموت

ظلت ألسنة كل الأثام  
أصدقاء وأعداء  
محبوسة خرساء بكما  
وجهانا حنطى وأسود  
لا تُقَصِّرْ الألوان ببساطة  
وأنا ... كي أصبح فحمياً مثلك  
يلتف حول عنقي جبلك  
يا بنيامين ...  
لنبك بجوارحنا معاً  
أنت لسواد لونك  
وأنا لقلبي السافج الأبيض  
لنتعاقق في بكائنا  
لنحتسي في أكؤس النضال  
من خمر أدمعنا.

---

### في العدد القادم

- ندوة في لندن عن أبو غاطع شارك فيها:
  - الروائي زهير الجزائري.
  - الشاعر عبد الكريم كاسد.
  - الشاعر عزيز السماوي.
- الذاكرة... ملحة هي الذاكرة، شاكراً لميبي.
- قصاص يبحث عن مستمع، عبد الرزاق أبو عمر.

## الكتب ومعاناتها<sup>(1)</sup>

شعر: م. باوكو  
ترجمة: مهداوي أحمد داود

كان الليل يمضي  
ورجال الإطفاء  
يستبدلون برجال احراق الكتب.  
أيها الرجال هل الاطفاء  
أكثر متعة في أحلامكم  
أم حرق الكتب؟  
كان الليل يمضي  
وبكارة عمر الفتيات تتمزق لمرة واحدة.  
كانت الشقائق لمرة في السنة تلذف دموعها.  
وفي كل الفصول كانت نيران تضرع  
في المراعي المحترق.  
بينما الكتب كانت تهتك بها  
في كل الليالي!



كان الليل يمضي: وصراخ الكتب والأشباح  
يعرض في الأزقة المظلمة.

الكتب وصراخ الآلام يحملان سوية  
بسماء صافية.

كانت دماء الكتب تسيل وراء نفسها.  
لقد تخشعت الدماء

ومسحت آثارها ..

ولم تتوقف عيون الكتب عن الأسئلة كلها.  
انتصف الليل:

الكتاب كان طيراً «مذبوحاً»  
لقلوب عباد «أهرمان»<sup>(٧)</sup>

وكانت عيون الكتب تبدو  
أجمل من الماضي.

انتصف الليل:

والحارس يسهر مع حشرات

حينذاك كانت الكتب تعيش  
في خيال الهدوء والسكينة.

وكان طعم البسمات المرة  
يغدو أكثر مرارة !.

كانت الدماء تسبق نفسها  
والبسمات تهجر الشفاه

وكان سراب قهور أرواح الكتب  
فلم (هوليودي) مهرب لمربي الكلاب.

انتصف الليل:

وكانت الصرخات تنهال على الكتب.

مسموعة، مجنونة ومصابة بالصرع!  
نہا عمل السكير الساهر.  
وإن خطايا الكتب تائهة وليس لها قرار  
وموانئ مراسيها عديمة الوعي.  
الخطايا جمرات تحت الرماد.  
وشراواتها رعب أكثر سواداً  
من حواجب الرجال المصابين بـ (اللوكميما) (٣)  
وضعت الخطايا في نمش  
كأقما أنفاسها  
في مسرحية ومقبرة الأحياء. ١٤٠  
إلى الآن لم يعرف  
ماهي هذه الخطايا؟  
يعتقد أنهم كانوا مدخنين  
ويقال أن السكائر لا تقتل الخيال.

- (١) من مجموعته الشعرية (هه رمين) ص ١٥ الصادرة بالكردية سنة ١٩٨٥.  
(٢) أهرمان: آلهة الشر في الديانة الزرادشتية.  
(٣) اللوكيميا: سرطان الدم.

## كابوس أخضر

أحمد ناهد

---

كان المطر، في البدء، غريباً وغير مألوف، ويزداد ثقلاً كلما تهاطأ أيقاعه. ومن منطقة بعيدة الغور في المكان، قفزت إلى الوجود كتل خضراء، مصطفة بلهاقة وانتظام ومنهية عند ثقب كبير. وبينما كان يتعملى الوجوه مستقهماً، اتفق جرد أخضر كأبي الهول، شرع يسحبه من قدميه جارا إياه إلى ثقب بالوعة يتوسط ممراً أخضر.

وكن استقر جسده في العدم، وراح بلاهواة يناضل من أجل فتح عينيه، عينيه وحدهما. ولم يعرف كم من الوقت إنقضى ليجد نفسه في خلاء يمتد طويلاً، خلال لفحة خيوط العناكب واستوطنته أشباح وغطايل ونفير غير مسموح.

ثانية. اثنتان؟ ثم أخذ المطر ينقر جمجمته ويصفق نافذته الوحيدة كأنه طير أباييل. لبث لثوان مسكاً بفراشه، خشية أن يسقط في البالوعة ثانية. ولكنه انزلق مرة أخرى وجد نفسه في غرفة تغط في ظلمة وأنية وتكتظ برائحة غبار سامة، استقرت على صفوه كطابوقة. هل هي غرفة نومه الجديدة التي أبعدته إليها أمه قسراً؟

لكن، ما الوقت؟ تساءل ملتاثاً ثم عاين سماء متجهمة. سماء تقع في الجهة الأخرى من نافذته. (أذن، لم تغلق أمه دكانتها بعد؟). تخيل استجابة سوق مريدي الفريزية، وهو تحت رحمة سماء شيطانية مثل هذه: عيون تتطلع إلى فوق كما يفعل الآن كأنه يقلب الفراغ على وجهيه، تنلس كالتماع تحت ظلال الكينكات الحشوية، وصوت أمه وحسب، اخترق ثناء هذا الهيجان، مهدداً شامقاً.

---

ترافقه حقنة من كلاب سوق مريدي التابعة كمن يكتشف، على حين غرة، مبرر وجوده. ثم أخذت حركة تجمع أشلائها، واستعاد سوق مريدي وعيه. (هل توقفت المطر؟) ولكن ما الوقت؟ تسائل.

ضوء طفيف تسلل إلى غرفته مثل رجاء، ماسعاً خيوط العتمة عن محتويات غرفته الجديدة كأنه يراها لأول مرة، قنفة صغيرة منذ الأزل، سجادة نصلت ألوانها، مكتبة صغيرة فيها بعض كتبه المدرسية. وفوق رأسه علقت صورة المرحوم والده..

استجمع قواه ليناشد أمه. ناشدها مرتين، ومع ذلك لم تستجب. كان صدى صوته فائراً وبعيداً. (هل مازال يحلم؟). سقطت عيناه لاشعورياً على صورة المرحوم الرصاصية باطارها الخشبي القديم، نقط سوداء تجمعت على جبهته، وخيط ما اخترق عين والده اليسرى زاحقاً إلى الذقن كأن وجهه قد كسر تصفين. فلججه حزن متعاطف. هل هو هذا الطرق الخفيف للمطر على وحدته المتعاطفة؟ أم لأنه لا يقوى على تخيل شكل أبيه الحقيقي؟ فتخيل من جديد: سوق مريدي، مستنقع الأمطار، غرفته، لفر كابوسه الأخضر. أمه التي تنتظر أذان الشيخ لكي تغلق دكانتها وتهرع لكي تعد له الغداء. ياترى لم أقصته أمه من فراشها ورمته في غرفة الضيوف؟ هل يبرح لها بسر كابوسه الأخضر؟

٢ - الغداء:

تسللت إليه زفرة ثيابها. أعقب ذلك رفس على الباب نافذ الصبر. صفقت الباب بقدمها اليسرى، ثم شرعت بالنردمة عالياً حول السمك والزبائن والمطر غير المتوقع. سرعان ما حلت محلها قرقرة القدور وشهيق الأنابيب. ورحب بهذه المصعة كبشير خلاص. وانتظر الدعوة، دعوة الغداء لكي يتخلص من أحلام فراشه السوداء. قال له أستاذ التاريخ أن أباه ليس بشهيد. فحتمى أن يكسر نظارتيه. فالشهيد هو من تعطى عائلته راتباً. هل تأخذ أمك راتباً من الحكومة؟ سألته الأستاذ.

قال: لا.. أمني تبيع السمك في سوق مريدي.

لكن هل عاد المطر ينهمر؟ وانصحب الضوء؟

وبينما كان يفكر بطريقة أخرى يخلد فيها أباه، اخترق صوتها المهتاج سامه. فهرع إليها مشتاقاً ودانخاً في أن. صدمته ورائع زكية، ورائع جنة تحديداً فحضر أنه يفادر كابوسه إلى الحياة. ألقى نظرة إعجاب سريعة على أناقة ملابسها الزاهية، المبهجة، فأمه، عكس بقية النسوة، لم تلبس الأسود إلا سنة واحدة، حداً على استشهاد والده قبل ١٣ عاماً.

قالت كأنها تعطر: المطر دويّن الشيخ ونسائه وكنت الودان.

لم يقل لها أنه اضطرب هو الآخر في تحديد الوقت..

قال أنه ليس جائعاً تماماً، لكنها لم تعر قوله اهتماماً، بل مضت تتشكى: ليش ما يحبط ساعة

بالجامع؟

قال ببديهة: يترجى واحد يتبرعه بوحده.

قالت بعصبية: هو اللي تحصله بقّة بساعة أدگ عليه شهر زمان.

فقال مناكداً: لعد ليش تصلين وراه؟

فقالت مستدركة: أستغفر الله. قاتت الدنيا من ايده..

وحقق في وجه أمه قارئاً: وجهه بهضوي، يتدلق على صفحته خشم طويل كأنه صافورة. وشم أخضر يخترق ذقتها على شكل حبات مضافورة بعناية. هابطاً يخط مستقيم حتى نهاية بلعومها. وجهه يفضل الثرثرة على البيع خاصة بعد ماسح القيلولة آثار التعب الصباحي. وجهه يراه لأول مرة..

قالت بشكل غير متوقع: شيلك تريد تخلفني من جديد..!

قال لها مرتبكاً: اني مو جوعان..

فبادرت بهدة: لاتاكل هو.. ثم أضافت بكرب: كله من الشيخ.

- ليش طلب سمجه ورقضتي؟

- بارت.. بس ليش ماوذن من وكث.. چان الاكل استوى..

فقال كأنه يعزبها: لا، ترى الأكل طيب..

ورآها تعود إلى استراقها وسهومها. فرغب في الضحك مفكراً بالوقت الذي أنفقتة في الغسل والتأتق. قالت له أنها ذاهبة لترتيب فراشه. قال لها: رتبه. ومع ذلك ذهبت وعادت بعد قليل..

قالت: شلونها حجرتك الجديدة.

قال: ليش؟ ويلع بقية شكوته.

٣ - المساء

نثت الدنيا ساعة ثم هجعت وشرعت المزاريب تقطر طيناً. وهبط معها الظلام، ظلام ثقيل مثل لحاف سميك فاستغلت الأشباح وطهور الليل الصمت والجمّة المشهد بخفية ومكر. رآها تهوم حول ضوء مصباح الزقاق الوحيد. هل هو الأنس الوحيد وسط هذا الخلاء؟ هجرت الحركة سوق مريدي أو كادت. ورفضت الكلاب تحت دكاكين الزنك بانتظار يوم عمل جديد. (ألم تنه أمه تسوقها بعد؟)

داعبت بصره أشجار السيسمان، شاقطة مياه المطر بلهفة وجهور (الشيء الوحيد الذي يذكر المدينة بأصلها الفلاحي، حيث ترعرع والده) أعجبه هذا الرط وأراد أن يسألها عن أبيه وماعنى أن يكون شهيداً؟ تنطق أمه كلمة الشهيد كمن يتذكر حلماً سعيداً ومزعجاً في آن. قتلوه في رمضان يوم كان عمره ستة أو أقل. هل المطر.. النثيث. (هل تخفي أمه شيئاً؟)

- يه، چان أبوي بطل؟

- شنو معنى بطل؟

- أعني مويس صرة..

- الكابرس الأخضر.

- أستاذ التاريخ..

عبرت أمه أشجار السيسبان كمن يخوض في مستنقع. لمح شبحها بدءاً، ثم بانت كسيدة، مزينة الظلام بزنبيلها الخوصي فاتحة الطريق لتعاودها وصور الأثمة والفاكهة وطيبة قلبها لكي تحضر. عثا خطواتها واحدة إثر أخرى، ثم نادته فتبعها حالاً إلى غرفتها. قال بلا اهتمام: بمن أهل الكهل يحبرن الظلام. أشعلت زر الكهرباء - فانبثقت إلى الوجود ثلاث أفرشة مكددة كأنها حنوة حصان.. تام هنا حتى يوم أمس. ثم أشعلت المدفأة، معلقة «إن هذا البرد كذاب». فتمتم مرافقاً بسطت الفاكهة على طبق وسمتها دليل الصحة وضحك هو لهذا الدلال الذي تسبغه على الأشياء.. قالت إن السروق فارغ، ثم أضافت بتعجب: بنت الشيخ راحت تشرب عرگ. فكر أن أمه تغار منها..

- جسمها كله ذهب..

- يه، ليش هايوزرنا أحد؟

- الله أعلم.

- آني ما أگدر أتام هناك..

قالت بحزم: لاتاكل هو.

٤ - الليل:

قالت أمه: هاك ربع دينار وروح للكهوه.

قال لها: بس انتي تگولین هوايه حراميه بالليل!

قالت: مو انتو هسو رجال.

استغرب الحاج أمه وكرمها معاً كأن روحاً غريبة سكنت الدار. حمل بلوزته الخفيفة على كتفه وخرج مكرهاً. لقد تركته أمه لأساطين العراء من قبل، وجد نفسه وسط فراش أبيض طويل. كان يبكي وكانت الدمى من حوله تتقاذف كأنها ألعاب شيطانية. (هل هذا حلم أيضاً. يا يه؟) لفحته نسمة باردة فاخضع جسده قليلاً. توقف ليرتدي بلوزته، داست قدما أرضاً صلبة بعض الشيء، وليس كما تغول. ثم عبر المصباح اليعيم وأشجار السيسبان، بيرغ الماضي والقديم الجدوى، لتواجهه كلاب مريدي. (لقد سمع أنها تأكل البشر في الليل) فدلقت نحو اليسار ماشياً بحذر وتوجس فواجهه بيت عادي، بيت لا يميز عن البيوت الأخرى الا بسماعته المعلقة في الهواء كشبح. ومع ذلك، تمجدد ابقاع أمه اليومي. وبالمنااسبة، إن أمه لم تقل له فيما إذا كان أبوه بطلاً أم لا؟ تذكر اسمه مسيقاً بكلمة شهيد وتصمت، قليلاً، متظيرة من أن يزورها النحس مرة أخرى. ثم تقول بتشاكل بأنها لم ترعينها كيف استشهد. اقتادوه من البيت. كانوا أربعة أو خمسة يصحبهم المختار. ثم قالوا مات بعد أيام. ولكن، هل كان لون البيت أخضر؟ الجرة الذي ينتصب في منتصف الممر، هل كان أخضر؟ لقد كنت صغيراً صغيراً جداً. تركتك ولحقت بهم. ساعتان ثلاث ثم تذكرتك فعدت.

لكن هل كان أبي بطلاً؟ جاء المختار وقال أن أباك رجل مستهتر، فلاح أحقق ثم شتمه معرضاً بشرفه. ثم قلى وجهك طويلاً مثل من يعرف منيعه. قلت للمختار: ماذا فعل؟ فلم يقل شيئاً. توسلته: هل أستطيع أن أراه؟ فقال: نعم، في جهنم انشاء الله. فركضت خلف السيارة.. وركضت ولكن أباك.. ولكن هل كان أبي بطلاً؟ تذكرتك بعد ساعتين فوجدتك تصرخ كاليت. رمضان الأسود.. ولكن، هل....

دخل مقهى المحلة، فلحقته روائح الشاي الحريفة والدخان. جلس وطلب شايًا. ثم راقب الضجر المعلق في سماء المقهى وعلى وجوه الرواد وصاحب المقهى. ثم تسرب الدفء إلى جوفه كصديق. سمع أحداً يهدد بقتل بنت شيخ الجامع التي دنست شرف القطاع كله. (لم لم تحمده أمه من الأستاذ؟) وقال آخر أن المطر فاجأ الشيخ فأصابه زكام شديد. وأقسم آخر بأن يوم القيامة جد قريب. طافت عيناه صابن الأرائك الخشبية، لمب الدوميتو. السماور ثم الوجوه المحلة، العدوانية. (لم يستوضح رأي أمه بمختار المحلة). ثم أحس الكل يتعرضده كمن يتعرضون نغلاً. فخرج كما دخل غريباً ومنهزاً، تأنقاً إلى دفء غرفة أمه وحيث المدفأة تتربع ثلاثة أفرشة صفت على حدة حصان وحيث التعاويذ والمحضررات التي تبعد الشيطان أو تثنيه.

عندما دخل الدار انزلت حبات نار خفيفة على خشمه. وسمع لهاث أمه مخترقاً باب غرفتها الموصد. (ألم يكف إبعاده إلى غرفة الضيوف، الفارغة لسنتين؟) فدنا من غرفتها برهبة، راغباً أن تمتقه أو تعفو عنه. فهو يخشى الآخرين أو يراهم كقتلة. طرق بابها كالغريب وانتظر. هل ثمة رجل في النار. توقف لهاثها بقعة ولم ترد على سؤاله. فمسح جسده الغض باتجاه غرفته مشوشاً وجلس تحت صورة المرحوم.

### زوبعة القطة

#### فؤاد

عندما تنفس الصباح، وتعالى صياح الديكة، معلناً بدء العمل. بدأت الحياة تدب في أوصال المدينة وشوارع الحي، بعد أن كانت شبه مهجورة. خرجت طفلة جميلة ترتدي صدرية زرقاء، وقميصاً ناصع البياض، حول عنقها التحيف ياقة مذيبة بالننتيل، ظهرها الصغير كان مزدهياً بحقيبتها المدرسية.

بينما هي تحت الخطى نحو ملعب الطقولة (مدرستها القريبة) من نهاية الشارع الأخير في الحي، توقفت مندهشة أمام حيوان غريب الشكل. الجسم لاريب جسم قطة صغيرة لكن الرأس (iii) أسطواني... للاح. دفعتها فضولها البريء لتتقرب من ذلك الحيوان؟ تقدمت ببطء وحذر، فإذا هي أمام قطة حقيقية، ترتدي علية مريى أسطوانية من الصقيع، كصاحب القناع الحديدي.

إن سوء طالع القطة جعلها ذواقاً للحلوى مما أوصلها إلى ماهي فيه من مأزق. للممت القطة الرمادية أطرافها كسلاحفأة تحتمي بذرعها. وقفت التلميذة حائرة، بين حالة القطة المؤلمة وخوف الاقتراب. قللمت متلعفة.. عليها تجرد من يتخذ التخطيطة.. بعد هنيهة أقبل زميلها الصغير الذي يصحبها دوماً عند الخروج من المدرسة. فبادرته بأناملها المرجحة نحو القطة: «إنظر... إنها لاتستطيع الخروج، ستموت جوعاً» رد قائلاً ومقلناه جامدتان بإتجاه القطة: «لاتخافي... إنظري إلي... كيف سأنقذها».

ماإن خطا نحو القطة مقترباً حتى أحست القطة. قفزت مفزوعة مبتعدة عن مصدر الازعاج.



وقف الصغير مستغرباً، متدهشاً من تصرف القطة، يبادل زميلته النظرات مرة والقطة أخرى.. ماذا دهاها إنني أريد إتقاذها فحسب.. بينما هما على هذا الحال، أقبلت ثلة من تلاميذ المدرسة، أدخلوا يحملون في القطة الباتسة، التي استسلمت للظلام.

غص الشارع بمجاميع الحشد الكبير من التلاميذ، فهرعوا مفزوعين نعوهم، خروفاً على أطفالهم من حادث دهم، لكنهم ابتسموا حيث تجلّى الأمر أمامهم، فطليوا من أبنائهم الذهاب إلى المدرسة وترك ذلك للآباء.

وعد الآباء أطفالهم بإتقاذ القطة، لكن طفلتنا الجميلة الأولى رفضت الاتصياح لأمر أبويها، وأصرّت على إتقاذ القطة أمام عينيها فوراً، ثم أجهشت في البكاء. وأصر الأطفال الآخرون على مرقفهم فشاركوها البكاء. حاول بعض الآباء إنهاء الموضوع بإتقاذ القطة، لكن القطة أخلت تمدد على غير هدى، في منتصف الشارع الرئيسي وخلفها الأطفال وآباؤهم وأمهاتهم.

كثيرون حاولوا إتقاذ القطة، لكن دون جدوى. حاول فتى مقفول العضلات أن يستظهر قوته أمام الصبايا، فأمسك بالقطة محاولاً سحب العلبة من رأسها، حتى كاد أن يقتلع رأسها، لولا صراخ الأطفال والنساء مع صرخة الأم التي أطلقتها القطة، فوضعتها على الأرض بسرعة، فأطلقت القطة العنان لأرجلها واستقرت في الشارع العام، وحولها الجمع الفقير الذي أعجبه التفرج على هذه القطة، ثم على الأطفال بالأخص، وهم يبكون، فلم يرغب كثير منهم مفادرة المكان، قبل إتنها. المسرحية الحزينة، المضحكة، فقد مضى زمن طويل لم يضحكوا فيه من كل قلبهم،

وتحالت منبهات السيارات التي تريد المرور، فقد شبت حركة المرور تماماً ثم ترجل سائق ومن معه ليثبثوا سبب التجمع الفقير، ولحق به سائق آخر وعاشر ومئة، لم يحرك أحد ساكناً لإتقاذ القطة، واكتفوا بالمراقبة للأحداث التي أثارت ضحكهم، وأنستهم آلامهم وأعمالهم التي تأخروا عنها.

في هذه الأثناء، رنت هواتف السلطات لتسمع أخباراً عن تجمعات جماهيرية بدأت أول الصباح. المشعرون في هذه التجمعات من فئات وطبقات مختلفة. فتصارعت الأوامر موجهة دوريات الشرطة، أزالام الحكومة من الأمن والمخابرات ورجال الطوارئ، والاطفاء، والدفاع المدني، كما استدعيت قطعات الجيش والفرق الخاصة على عجل، وخلفها المدرعات والدبابات. لكن لم يطور لأحد من هذه الجماهير جن أو يهتم لكل هذه القوات، بكاء الأطفال فقط كان يسمع من مسافة بعيدة.

شق قائد عسكري طريقه بصعوبة بين الشعب المتزاحم قاصداً مركز التجمع، لعله يلتقي بقادة (المظاهرة) وهو يصرخ قائلاً: «ماذا تريدون؟» فجاءه الجواب عندهما رأى القطة، وعلم أنها سبب التجمع الكبير، فأخرج مسدسه من غمده المذهب متصنعاً الخشونة والقسوة ليقفل قائد هذا الانقلاب، وينهي الموضوع، فحال الأطفال بيته وبين محبوبتهم، ثم هاجم التلاميذ القائد مع حرسه بالمساير والأقلام. انتصب أحد التلاميذ أمام القائد رافعاً رأسه لير وجه القائد، ثم يصق بوجهه. هرب القائد مفزوعاً من هول الدفاع المستحميت عن القطة، وطلب تميزات على الفور.

## الثقافة الجديدة

حضر إلى المكان مجلس الوزراء، وزير الداخلية، النفط، الصحة، الاعلام، ثم جاء وزير الدفاع بمصحفته المدرعة، وتمركزوا حول الجماهير الهادئة التي أصبحت حشودها تسد الشوارع. لأحد من أولئك الناس يعرف سبب التجمع الأول، فبعضهم يعتقد أن انقلاباً قد حدث.

استخدمت القوات المسلحة القنابل المسيلة للدموع، لكنها لم تخف الجمهور الذي ثارت ثائرتة. راح الكبار يذافون عن أطفالهم، أما أطفالهم فكانوا المدافعين عن القطة.

طلب القادة والوزراء حضور «السيد الرئيس»! فمن غيره يحل هذه المعضلة؟.

بعد سريعات من التدافع والتصادم، تعددت الاصابات، كسر الجرحى، غصت بهم سيارات الاسعاف والمستشفيات، وبعد الانتظار وصلت طوافة «السيد الرئيس»!

برفقة المركب الجمهوري الرسمي ومن طائرات تحمي الموكب، نزلت الطوافة قرب الجماهير، وهرع «السيد الرئيس» مسرعاً متوغلاً بين الجدران البشرية مشقة، أغلب الناس لم يسبق لهم أن رأوه من قبل إلا في الصور والتلفزيون، حوله الحرس الخاص يصرخ طالباً معرفة أسباب التمرد. قال بعض الوزراء... لا تدري. قال رجال الأمن: إنهم مجرمون! قال وزير الدفاع: إن في الأمر خدعة! أما وزير النفط فيعتقد أنهم اكتشفوا منبع بترول! بدأ وزير الاعلام أكثر حكمة، إذ قال: ربما السبب هو إشاعة عن توزيع الغذاء فتسمل «السيد الرئيس».

ترك الوزراء بين الصفوف الأولى من الجماهير مخترقاً الأمواج البشرية نحو قلب التجمع، فرأى العمال.. سألهم عن مطالبهم.. فقالوا نريد رفع الأجور وتحسين المعيشة، فقال: لكم ماتريدون، أصدقكم. وعد «رئيس»! وكلمة شرف. صفق العمال وهللا ثم هتفوا. لكن البحر البشري لم يتفرق بفرحة العمال، فتوغل «السيد الرئيس» وسط المرح المتلاطم من الأجساد المتعبية، حتى وصل جمع الموظفين، المدرسين، المثقفين والكسبة. سألهم حاجتهم. قالوا له أشياء عن «روتين، حرية، قراة، «قراطية»\*، شعب بطالة، رقابة، جشع وقوت الشعب» بهذه الكلمات همهم ذلك الجمع. فصرخ «السيد الرئيس» لكم ماتريدون. وعد رئيس! كلمة شرف! هتف الجمع، صفقوا، حملوا «السيد الرئيس»!! على الأكتاف ثم أنزلوه وسط قادة التجمع، «التلاميذ». وجدهم غاضبين لا يشاركون بالأنوار والهتاف. تصنع ابتسامة خفيفة، لمعت أسنانهم.. متودداً: ماذا تريدون يا حلويين؟ أجابوه بأصوات متشابهة، معقطة: أسكت لنا بكاء الأطفال. لاتبب الدموع على خدودهم. على الفور أجاب «السيد الرئيس» مبتهجاً: لكم ماتريدون. وعد رئيس! كلمة شرف. رد التلاميذ: هيا.. لن نصق، لن نهتف حتى نتقذ القطة المسكينة.

دخل بين الأطفال، لم يحولوا أبصارهم عن قطيبتهم المسكينة: مجهشين بالبكاء. قال «السيد الرئيس» متصنعاً الحنان: لم تكون؟ فأجابته أناملهم الناعمة، الصغيرة، الرقيقة: إنظر... أخرج رأسها.. هيا حررها نرجوك. لكن إياك أن تخدشها! لكم ماتريدون، وعد رئيس، كلمة شرف، كفوا عن البكاء..

(في هذه الأثناء أرسلت الدول المجاورة والصدقية، وفرداً لمتحقق من الأحداث الخطيرة، التمرّد، العصيان حسبما سمعوا...) .

«حسناً» قال «السيد الرئيس»: انظروا كيف سأنقلها. شمر عن ساعديه الناعمين، تقدم نحو القطة، فساد هدوء تام، كف الأطفال عن العويل. بأناملهم الرقيقة صاروا يفركون عيونهم وأنوفهم على حد سواء ليروا جيداً، تجسدت عيونهم على القطة و«السيد الرئيس»، تبعت حركاتهم أصابع «السيد الرئيس».. لمسها.. نطت القطة، نط خلفها الرئيس. تبعه الأطفال ينتظون والتلاميذ، الموظفون وكذلك العمال.

أما الوزراء، الجيش والأمواج البشرية المتلاطمة في الصفوف الخلفية، حيث أصبحوا أشبه بجرف البحر و«السيد الرئيس» في وسط اليم. لم يعرف كل أولئك الناس ما يجري في جبهة المفاوضات. الأطفال يصرخون بالرئيس: أسرع. أسرع. أمسكها. وأخيراً أمسكها. حاول فك أسرها. صرخ الأطفال: برفق.. إنها صغيرة ربما تقطع رأسها!

حاول الرئيس مرةً، ومرةً أخرى، فلم يفلح. نظر إلى الأطفال قاتلاً؛ لم لاندبهوا إلى منادسكم؟! سوف أدخلها إلى القصر. وهناك أخرج رأسها من العلبة. صرخ الأطفال لا.. إنك تقتلها! رد الرئيس: أهدمكم بكلمة شرف. كمر الأطفال ورفضهم: أنقلها فوراً وإلا!

جنح «السيد الرئيس» من حماقة الأطفال. قال: «حسناً، سوف تقص العلبة في أحد المصانع ونخرج رأس القطة.. أهدمكم بكلمة شرف»

أجابها الأطفال: نحن لا نعرف من هو شرف، لكننا نعرف القطة. غضب «السيد الرئيس» فقفز القطة على الأرض. فتأوتت وصرخت صرخة مدوية مستعسمة لما أصابها.

غضب الأطفال فصاحوا: «أيها الكلب الحقير، كيف تقلد القطة المسكينة هكذا، الويل لك منا.» فهزت على رأس «السيد الرئيس» مسطرة وكانت حينها الطفلة الأولى تحدقان. أسرع الأطفال بنزع أحذيتهم.. انهالت المساطر والأقلام والأحذية تنهمر كالطر على رأس واحد. أخذ الرئيس يعدو مستنجداً بالحرس وخلفه الأطفال يطورون سلاحهم بعد أن نقلت ذخيرتهم، قاستعناوا بالحصى والعصي والحجارة.

خلف الأطفال ركض التلاميذ وأباؤهم، العمال، الموظفون. لما رأى الوزراء الأمواج البشرية تزحف نحوهم إعتقدوا أنها فرحة النجاح في المفاوضات المزعومة، فاقترح بعضهم الاشتراك في هذا الماوارثون فركضوا فعلاً؛ لأنهم لم يروا أو يعرفوا ما الذي حلّ بـ «السيد الرئيس»! فعبيونهم لاقين الرئيس في هذا البحر المتلاطم الأمواج. ركض الوزراء ورجال الأمن أصلاً بالحصول على جائزة.. تبعهم قطعات الجيش والدروع وخلفهم الرئيس يتبعه الأطفال، التلاميذ، الآباء، الأمهات، العمال، الموظفون، طلاب الجامعات، الكسبة والمتسولون. وبقيت القطة هادئة تنتظر منتظرة منتظرة!

## رجل بلا حرية

علي السام  
ترجمة: جاسم ولائي

طال انتظاري للباص. تأخرت كثيراً عن مدرستي، كنت في المحطة، وعدد كبير من المنتظرين، نلق مستجمدين تحت رحمة النديف الثلجي الهائل، والريح الباردة إلى جانبي كان يقف رجل أرميني، يمسك بحقيبة سفر قديمة. فجأة يفتح الرجل حقيبته، ويخرج تصويراً فوتوغرافياً قديماً يجمع رجلاً وامرأة وثلاثة أطفال.

- هذه أسرتي .. قال الرجل.

- لم أراه منذ عشر سنوات، أضاف موضحاً.

انتبهت إلى شعره الأسود، أيقنت أنه أجنبي، وسط غابة الشعور الشقاء الكلدونية.

- من أين أنت؟

السؤال التقليدي الذي يطرحه السويديون على ذوي الشعور السوداء ونظره نحن - ذوو الشعور

السوداء - على بعضنا البعض. وهو سؤال لا يخلو من فضول.

- العراق .. (تنفس الكلمة واللقى بها هراء من الحسرة..) لكنني أقدم في السويد منذ سبع

سنوات، وأعتبر الآن مواطناً سويدياً.

لقد بنا الرجل في غاية الانفعال، بعد لحظات بادوته بالسؤال:

- أمسافر أنت إلى خارج البلاد؟

واجهني بنظرة، وأوما برأسه:

- سأسافر إلى شمال العراق، لكن الباص تأخر.

لماذا لا يأخذ هذا الرجل سيارة أجرة بدلاً من الباص؟ إعتقدت أنه إما ثمل وإما مجنون.

- سأبقى هناك شهراً. انتظرت عشر سنوات لم أعرف خلالها أي شيء عن أسرتي، هل هم أحياء

اليوم أم ماتوا؟ لأدري

واستمر في انتظاره لشيء ما .

- هل تدخن؟

لفترة طويلة نسبياً بقي الرجل هادئاً وصامتاً كشجرة ميتة، في النهاية قال:

- هربت عبر الحدود إلى إيران، هناك انتظرت ثلاث سنوات . لم أكن أملك جواز سفر . وكان من

الصعب العيش هناك، حيث أنني عراقي، رغم ذلك استطعت العيش هذه السنوات.

- هل تدخن؟ .. أعدت السؤال عليه.

- لا شكراً، كنت أدخن خلال ست سنوات، ولكن في إيران لم يكن باستطاعتي شراء السجائر.

أحياناً، كنت أقف مع عراقيين آخرين في انتظار أحد يدعونا إلى قديم قهوة ساخنة وسيجارة، لكن لأحد يأتي.

- حقيبتك عتيقة.

بادرت بفضول .. وأضفت:

- إنها سوداء من القديم ومحفمة.

- هذه من بلدي الأم، هي آخر مملكتي في العراق، أبي اشتراها لي من شارع الرشيد ببغداد.

كان يعتقد أنني سأدرس الحقوق في الولايات المتحدة. وأصبح محامياً ناجحاً. كنت ذكياً في

المدرسة، لكنني لم أذهب إلى أميركا أبداً.

- ألم تتمكن من الاتصال بأسرتك تلفونياً؟

لم يجب الرجل ثم قدم الباص، انشرح في الصعود إليه.

قلعت بطاقتي الشهيرة إلى السائق، فيما اشترى الرجل تذكرته، جلست في أحد المقاعد

الخالية، لأتيح للرجل الجلوس إلى جانبي.

- الطقس سيء جداً اليوم.

انتبه الرجل موجهاً نظرة فاحصة إلى السماء كأنه يصحو توطأ ويكتشف الطقس لأول مرة. كان

يريد رؤية علامات الطقس هناك.

- كنت أأمل أن أرى وطني وأسرتي مرة واحدة ولتكن الأخيرة. كان لي صديق في العراق، هو

الآن يعيش في انكلترا، وهو كاتب، في أحد كتبه قرأ المبارات التالية:

«هل تلك الشجرة الميتة إسماً خاصاً؟ هل للأشجار الجافة اسماً خاصاً؟ هل يملك الرجل المنزوع

الحرية اسماً خاصاً؟»

- المطار... (أعلن السائق من خلال المايكرفون..)

لم يهبط الرجل من الباص

السويد ٢٧/٢/١٩٩٣

نشرت باللغة السويدية

## ندوة لغنانين من السليمانية

في الصيف الماضي اجتمعت قاعة اللجنة المحلية لحزبنا في السليمانية لقاء - ضم نخبة من فنانين الحاضرة الثقافية لكردستان.

فرحب الرفيق حسيب قره داغي (بورزا) بالمشاركين نهاية من اللجنة المحلية للحزب وتناول الحوار ثلاثة محاور هي الفن والثورة، الفن والتطور التكنولوجي، وتأثير التراث على الفن الكردي الحديث. وشارك في اللقاء - الباحث الأنثروبولوجي الرفيق هشام داود - وتولى تيسير وترجمة الندوة الرفيق بهات حسيب قره داغي.

### ١ - الفن والثورة

عمر علي أمين (مسرحي): كان الفن الكردي مسيراً للثورة . بدأنا من المدارس بتقديم أشكال من الفن وخاصة المسرحيات منذ الخمسينات، ولكن بشكل عشوائي. والمهم هو أننا كنا نقدم قضايا الشعب السياسية والاجتماعية، وكنا نستفيد من نصوص شعبية ومواد مترجمة ومعدة من نصوص عالمية وفي السبعينات وخاصة بعد بيان آذار ١٩٩٠ كانت مرحلة جديدة في تاريخ الفن والتزاماً جديداً. بدأنا بتنظيم أعمالنا وفرقنا أكثر فأكثر. والطابع المدرسي بدأ بالزوال، وبدأ الطابع الفني المنظم في حياتنا المسرحية.

وفي الستين السابقة وهيمنة الحكم الفاشي كان المسرح، والفن عامة، في حالة رفض دائم. وأنا أعتبر أعمالنا ثورية بمفهوم معين وفي إطار معين. وكان الفن، شغله الأساسي هو الحفاظ على القيم

القومية الأصلية بالضد من متطلبات السلطة لتشويه التراث والثقافة الكردية.

ومنذ الانتفاضة، دخلنا إلى حيز جديد من التأريخ ولكن لحد الآن لأستطيع القول بأن الفن المسرحي استطاع مسايرة التغييرات. لم يقدم شيئاً جديداً يناسب الوضع الجديد. وبصراحة، هناك ارتباك في الوضع العام وفي الوضع الفني وكل ذلك يعود إلى عدم وجود الاستقرار، ولكن كل مايقدم هو أعمال في خدمة الثورة وقضية الشعب.

**عبدولاح مه جوان (مسرحي):** أؤيد الأستاذ عمر على مقاله عن العمل المسرحي في السابق. بأنه لم يكن مبرمجاً، ورغم ذلك فإن الفنانين كانوا طليعيين وأن القضية الأساسية التي كانت تنعكس في عملهم الفني كانت القضية القومية ومحاولة إصلاح أوضاع المجتمع فكانت أعمالاً إيجابية. ومنذ ١٩٦٩ - ١٩٧٠ بدأت المرحلة المبرمجة في المسرح الكردي من خلال تشكيل الفرق المسرحية منها (فرقة أخوان كزينة) و(فرقة السليمانية للمسرح) و(جمعية الفنون الجميلة الكردية) ... إلخ، ولكل فرقة برنامج ونظام عمل معين ولكن الهدف واحد هو خدمة قضية شعبهم. إذن الفنان الكردي لم يتعزل عن الأوضاع السياسية. وأنتي أفتخر بأن الفن المسرحي في كردستان بقي جاداً ورغم كل التغييرات السيئة التي أصابت المسرح في العراق وتحوله إلى مسرح تجاري مبتذل في ظل النظام القاشي.

وأكثر من ذلك، فإن المسرح في كردستان كان يقدم أفكاراً ومساائل طليعية لمحكمة الثورة والقضية الوطنية. مثلاً مسرحية (كولاله) كانت دعوة مباشرة للأحزاب الكردية المعارضة لإقامة جبهة بينها وإنهاء حرب اقتتال الإخوة.

بالاختصار، أنا أرى المسرح في السنوات السابقة سباقاً وطيئياً في طرح قضايا قومية ووطنية وجريئة. ولكن للأسف، الآن أراها دون ذلك المستوى، ولأدري هل السبب هو أن الأحداث تجري بسرعة فلايلحق بها الفن أم أن الفنانين مقصرون، أو أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية غير المستقرة لاتعطي المجال الكافي للفنان للقيام بأعمال جادة.

**ظاهر عهده الله وه شي (مسرحي):** في البدء أسأل: ماهو واجب الفن والفنانين في الوضع الراهن، نعلم بأن الفن الأكثر ثورية في مرحلة الاقطاع هو الفن الذي كان مؤيداً للبرجوازية باعتبارها القوة الثورية والمدمرة للاقطاع.

وعتدنا كذلك في السنوات السابقة كنا نقدم أعمالاً جيدة وجميلة، لماذا؟ لأننا كنا أصحاب قضية، والذي يملك قضية عادلة يقدم أعمالاً جيدة.

والآن، وأنتم أشرتكم إلى أنه لاتوجد أعمال جيدة، وأرى أننا في الوقت الحاضر، نحتاج إلى أعمال انتقادية، أي أن ثورية الفن في هذه المرحلة ليس فقط في تمجيد الانتفاضة بل في انتقادها وانتقاد نواقصها والآثار السلبية الناجمة عنها، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأتوجه إلى العالم بالانتقاد، لأننا عرفناه جيداً.

**بهروا (تشكيلي):** الفن يعد ذاته ثورة انسانية. فتمتد المشاعية البدائية والعيش في الكهوف والصراع ضد الطبيعة كان الفن أحد أبرز أشكال الوعي الانساني ومقاومته للطبيعة، أو أنه من خلال رسم وتقليد أشكال وأصوات وحركات الحيوانات والكوارث الطبيعية، كان يعلم نفسه والأجيال التالية شكل وصوت وحركة الحيوانات المؤذية أو التي يمكن صيدها. فمن هذه الحاجة الحياتية بدأت أولى اشراقات الفن، إلى أن أخذت طابعاً منظماً يتجدد دوماً.

ملخص الكلام هو أنني أعتبر الفن أحد أشكال الثورة بجانب الثورات السياسية والطبقية. وهو مرتبط دياكتيكياً مع الأشكال الأخرى للثورة، لأن الثورة تعبر عن ثلاثية الرفض والتدمير والبناء. والفن يتصورى مكون من هذه الثلاثية. فهو كذلك كان رافضاً لمجموعة قيم لم يعد قابلاً للعيش معها أو بها، وكان مدمراً لتلك القيم، وبانياً لقيم جديدة.

في ظل السلطة الفاشية كنا نملك فناً رافضاً ومدمراً لكثير من القيم والأسس السائدة، وكذلك لكثير من القيم والعلاقات الفنية داخل الفن ذاته. فالأمثلة كثيرة لواقع هذا التدمير. إذ كنا معمودين على بعض المواضيع المطروحة في اللوحة التشكيلية والغناء والمسرح. ولكن الفنانين ينسروا من هذه المواضيع والأساليب المستخدمة لطرحها. فبدأت عملية الثورة، رافضة، ثم مدمرة. ولكن مع الأسف لم أر إلا القليل القليل من البناء، أو طرح البديل. إن الفن مثل السياسة. فقد دمرت، ولكن لم تحضر بديلاً، ولم تنتج بناً جديداً.

مثلاً، الأستاذ اسماعيل خياط كان أكبر الفنانين الأكراد رفضاً وتدميراً، ولكن ثورته وقفت عند هذا الحد ولم يقدم المستقبل، ولم يعط بديلاً. ببساطة نستطيع لس ما أقوله في شكل لوحات فهي أشكال ومفردات مبعثرة ومقطعة. ولم أر أية لوحة أعيد فيها تركيب هذه المفردات بشكل جديد أو علاقة جديدة صحيحة.

أما عند الفنانين الموسيقيين، فالوضع مختلف قليلاً، إذ أنهم بنوا شيئاً بعد تدميرهم للمفردات السائدة والقديمة، وقد أعادوا تركيب القيم الموسيقية من خلال دمج التراث والفلكلور الكردي مع الايقاعات العصرية للموسيقى.

**ولشاد (مسرحي):** الفن الكردي كان ولا يزال ثورياً ومواكباً وطليعياً في كثير من المرات للثورة السياسية. ومع ذلك أقولها باختصار، لم يستطع أي حزب من الأحزاب لجمه لمصلحة موقفه الخاص. حتى الحزب العقلي لم يستطع ذلك رغم فاشيته وديكتاتوريته. استخدام الفن والفنانين الكردي في بوتقته بينما كنا نرى مع الأسف العديد من الفنانين العرب قد أصبحوا بوقاً للديكتاتورية، أما الفن والفنان الكردي فبقيا على موقف الرفض.

والآن، لأن الوضع عموماً والاقتصادي منه خاصاً وضع سيء فإن الفن يحتاج إلى شيء من الاستقرار وتلبية الحاجة الاقتصادية للفن والفنان الكردي باقيا على موقفه الثوري الحر. ولكنه مصاب بالركود وهو انعكاس للوضع بشكل عام، وإني أرى بأن التحسين في الأوضاع السياسية



والاقتصادية سوف يؤثر ايجاباً على الفن.

**ظاهر عبد الله (مسرحي):** إن سمحتم بمداخلة قصيرة من خلال مثال، في يوم ما رأى لينين شخصاً يقرأ (مايكوفسكي) ويعتبره شاعراً ثورياً عظيماً فنصحه لينين أن يقرأ (بوشكين) لأنه في زمنه، سبق التاريخ وقدم انتقاداً للواقع وروية للشورة، أما مايكوفسكي فعاش الشورة وكتب عنها. وشتان بينهما. لذا فإن ثورية الفن في الوضع الراهن هي ما يقدمه عن المستقبل وانتقاداته للحاضر. **غزيرة عمر علي (مسرحية):** الفنان الكردي في السنوات السابقة، كان متمسكاً بثوريته. ولكنه وبسبب الرقابة المشددة للسلطة، كان يتجه إلى استخدام الرموز، ويلجأ إلى نصوص عالمية، يعبر من خلالها روح الشورة عند المشاهد (مثلاً عدو الشعب) لأيسن، دائرة الطباشير القوقازية لبرخت ونصوص أخرى ثورية...).

الاعتماد على النصوص العالمية حصل لأن النصوص المحلية كانت تفرضها السلطة. فمن المعلم أن المسرح الكردي بشكل عام، مع بعض الاستثناءات الرديئة، لم يقدم شيئاً للسلطة طوال عمرها مع الجارة إيران.

فالقن والفنان الكردي الحقيقي حافظ على القيم الثورية الأصلية وسيبقى حراً بعيداً عن التبعية الحزبية.

**اسماعيل خياط (فنان تشكيلي):** ملاحظة حول مقالته الأخ ولشاد والسيدة غزيرة، فإن عدد تبعية الفن والفنان للأحزاب، من وجهة أخرى، يعود إلى حسن معاملة وتصرف الأحزاب مع الفن أي أنهم لم يطلبوا من الفنانين الشعبية، وهم مع نضالهم للتحرر الوطني، ناضلوا كذلك من أجل حرية الفن والفنانين، فهدوا الأرضية لتحرير الفن والفنانين.

**أنور قره داغي (موسيقي):** منذ القديم، الفنان الكردي عبر عن المرحلة المعاشة عن الحس القومي. إنني أرى المرحلة الأولى للفن الكردي من العشرينات إلى ١٩٥٨ مجسدة في عمل المثقفين إن الحركة الفنانية الشعبية كانت مستمرة دون وضوحها في إطار شعور قومي أو قضية، أما ما قام به المثقفون، فهو عمل من خلال شعور وبرنامج من أجل قضية.

فمثلاً عمل الشعراء - (زبور، بي كه س) على نظم الشعر القومي والأناشيد الوطنية، وتلحينها وتعليم التلاميذ على ترديدها في صفوف المدارس، فكانوا يغمسون روح القومية والوطنية في نفوسهم، وكانت هذه الأناشيد والأغنيات تنتشر بين الناس. ولم تقارن هذه العملية بشكلها العلمي أو تكتب كنوتات موسيقية، وإنما عن طريق الحفظ والترويد. حكى لي الأستاذ (حمزة عبد الله) عن نشيد (تدي ره رقيب - أيها الرقيب) كيف لحنه أحد الهواة ودرّسوا التلاميذ عليه. كان صلهم يجري بالصليقة الفنية...

أما في الأربعينات، فبدأ شكل جديد من الاهتمام بالموسيقى فبعض المثقفين كانوا يأتون بالآلات موسيقية هوائية إلى المدارس ويدربون الأطفال عليها ويعلمونهم على الغناء وأداء تلك الأناشيد

السائدة في وقتها. وكان لوجود فرقة (مولوي) الموسيقية في تلك الفترة تأثير كبير على الفن الكردي في كردستان العراق وعلى الحس القومي لدى المواطن الكردي.

الثورة المباركة في ١٩٥٨ كانت الانفتاح الكبير للشعب العراقي عموماً، والكردي خصوصاً، على الكثير من الانجازات والحقوق. وكان الكردي متفائلاً بإمكانية أن يحصل على بعض حقوقه القومية في ظل الثورة. كذلك الفن والفنانون استجابوا للثورة وانطلقوا للعمل الايجابي والأكثر تقدماً. فتوسع نطاق فرقة مولوي، عدداً ونتاجاً، وكذلك بروز أعمال شه مال صائب وقادر ديلان.

ولكن الأوضاع بدأت بالتدهور إلى سنة ١٩٦٣، وضاع الكثير مما أنجزه، حتى جمعية الفنانين الجميلة منعت من العمل وأغلقت أبوابها. ولكن الفنان الكردي لم يستسلم لليأس وبقي صامداً يدافع عن تراب شعبه وفنه القومي، إلى أن تأسست فرقة السليمانية للموسيقى في ١٩٦٤ - ١٩٦٥. وإني أتذكر زيارة الأستاذ حقي الشبلي للسليمانية وسماحه للفرقة المذكورة، وتسميته للعمل قائلاً: من الجميل جداً أن ينتج عمل كهذا ويحافظ على الحس القومي من خلال مجموعة شابة من الفنانين بإمكانيات ضيقة ودون إرشاد ومعلم للفن الموسيقي.

إنني أعتبر كل هذا، هذا التاريخ، وهذا العمل المتواصل وهكذا اعتراف بوجود فنان كردي وفن كردي هو إثبات حقيقي لثورية الفن بعد ذاته.

ومنذ بيان آذار ١٩٧٠، بدأت الخطوط العريضة في نهج الفنانين تتوضح، ولكن المهم هو أن الحس الأساسي السائد بيننا هو كيفية خدمة الفن القومي، سواء عن طريق الأغنية السياسية أو الفلكلورية، أو عن طريق إيجاد سبل حديثة للفن، وكنا ننطلق من مبدأ البناء على حجر الأساس الذي وضعه لنا الجيل الذي سبقنا، لتكون بدورنا أساساً للأجيال القادمة. وبعد نكسة عام ١٩٧٥ أصيب الإنسان الكردي بحرج عميق وكان دور الفن هو أن يدور ذلك الحرج، وفعلماً هناك دلائل عديدة على أداء الفن الكردي، من قبل عدة فرق موسيقية، لتلك المهمة على أحسن وجه. على الأقل استطعنا الحفاظ على الموسيقى الكردية والأغنية الكردية ظاهرة وبعيدة عن تشويهات السلطة الشوفينية. وبذلك استمر تطوير التراث الموسيقي الكردي حتى تحت ثيورها وهذه بعد ذاتها ظاهرة ثورية.

وخلال الثمانينات في زمن القادسية المهزومة أرادت السلطة أن تستغل كل الطاقات الفنية لخدمة الحرب. فاضطر الفنان الكردي الشريف إلى الإخفاء عن الأنظار محاولاً أن يقدم بعض نتاجاته الفنية بصورة شخصية وفي غفلة من عيون السلطة. استمرت هذه الحالة إلى يوم الإنتفاضة. ففي كل الأزمنة والظروف كان الفن الكردي تعبيراً عن مشاعرنا القومية أي كان وسيلة هذا التعبير. ووصل بنا الأمر في بعض الأحيان إلى التعبير عن هذا الحس القومي عن طريق التعليم وتربية عدد من الأطفال والصغار، أو التعبير الرمزي عما كان يدور في ذهن ووجدان المواطن الكردي المقهور المتعطش لكل نعمة أو كلمة أو حركة رمزية، وكنا كثيراً مانواجه صعوبات في المراوغة مع عيون

السلطة.

ولابد أن أقول للتاريخ بأن المحلقات (حتى الشخصية) مابين الفنانين لم تتطور في ظل السلطة إلى حد القطيعة، وكان يجمعنا واحد برغم كل شيء وهو الوقوف بشرف أمام كل إغراء. وفي الأيام الأولى من الإنتفاضة تفجرت طاقات عديدة للفنانين (الموسيقيين خصوصاً) فالكمل كان ينشد للبيشمركة وللوطن والحرية. فتوحدنا مرة أخرى في ظل الحرية برغم وجود خلافات مابيننا، تلك الخلافات التي لم نسمح لها أن تحرف وجهة مسيرتنا الفنية، وهذا المبدأ هو أساسي بالنسبة للفنانين الحقيقيين حتى الآن.

في النتيجة أريد أن أقول: أن الفن والفنانين الكرد، لم يتخلوا في يوم من الأيام عن قضية شعبهم الكردي... ولم يبرز من بيننا (على الأقل هنا في السليمانية) أي فنان يتجاهل التقاليد الثورية والأخلاقية للفنان الكردي المقاوم والرائض للتعاون مع السلطة.

**برهان:** لدي ملاحظة على ما ذكره الأستاذ أنور الذي ذكرني بما قاله بليخانوف عن الفن.. حيث قال مامعنا: حينما تغلق أبواب النضال السياسي بوجهكم، ناضلوا عبر الفن.. عبر سلاح الثقافة. أنا أتفق مع الأستاذ أنور في حديثه وسرده الرائع لمسيرة الفن الكردي الأصيل وحديثه عن معاناة الفنان الكردي المقاوم تحت كل ارهاب وإغراء للسلطة، بحيث تمكن من صيانة سمعة ونزاهة الفن والفنان الكردي طوال تلك السنوات. ولكن هناك حقيقة واقعة وهي أن النظام حاول، وبمنهجية مدروسة، لجم الفن والفنان الكردي وكانت هناك مقاومة لذلك التوجه، ومع ذلك استطاع النظام الغاشي أن يدرس في الوسط الفني والثقافي عموماً بعضاً من مرتزقة ومن طفيليي الفن. وكان أكثر أولئك من المسيطرين على قنوات الاعلام الجماهيري. والسؤال هنا عن موقف الفنانين المخلصين إزاء بقاء وهيمنة البعض من أولئك الطفيليين على بعض القنوات الاعلامية إلى يومنا هذا في كردستان الحرة. فمن المعلوم أن هناك طفيليين في السياسة والاقتصاد وأخيراً في الثقافة وتفرعاتها كالتلفزيون الكردستاني بقنواته المختلفة. إننا نسطم كمشاهدين ليلياً بمواد غثائية على شاشة التلفزيونات هي نفس المواد التي كنا نطفيء التلفزيون عند عرضها في عهد سلطة العقالقة. فما رأي الفنان الأصيل إزاء وضع كهذا؟!

**خالد سرگاو (موسيقي):** في البدء أريد أن أقول أن الفنان الحقيقي لم يتعزل عن الشعب ونضاله في أي يوم من الأيام وكان ولا يزال واحداً من البيشمركة يقاتل بفته قريباً جداً من وجدان وأحلام أبناء شعبه بحيث يمكنني أن أقول أن الفنان الحقيقي كان دوماً أقرب إلى الناس من سياسييه. جيلنا مكمل لمسيرة جيل الأناشيد الثورية والقومية التحررية، أنا لست متشائماً من الوضع الراهن برغم كل النواقص، فمعلوم أن تركة الدعار الشوقيني في كردستان ثقيلة ونحتاج إلى وقت طويل لتصفيتها والتخلص منها. برأيي أن ثورة فنية في الوضع الراهن يجب أن تنطلق من ذات الفنان الحقيقي.

صحيح ما ذكرتموه حول وجود بعض الطفيليين، يظهر هنا وهناك. ولكن في المقابل هناك العديد العديد من الأصوات والطاقت الأصلية والنظيفة والمبدعة، لاتزال تمسك بدقة الأمور. وهذا مبعث أفتخار الشعب. إن الطفيليين ليسوا بفنانين، بل إنتهازيون تفعون يعملون بدافع مصالحهم الأثنية، والتاريخ ليس في صالحهم، وإنما في صالح الفن والفنان الحقيقي والمخلص لقضية شعبه. كان هناك توجهان للفنانين الموسيقيين الأول توجه الذين خدموا أغراض وأعلام السلطة مباشرة، والتوجه الثاني كان للفنانين الحقيقيين، سواء داخل المدن أو في الجبال، منهم الذين كرسوا طاقتهم في سبيل خدمة قضية الشعب وتراثه وفولكلوره. وكان هؤلاء في خندق واحد مع إخوتهم البشمركة. ويجدر بالذكر أن الفنان الذي كان داخل المدن، كان عليه ضغط وعيب أكبر من غيره، كان يواجه السلطة مباشرة ويرأوغها في حين كان الفنان في الجبل يعبر بحرية عن دواخله متحرراً من رقابة السلطة. ولذلك، كان الفن الثوري والمقاوم يكتمل بين المدينة والجبل.

**هبطول:** مسألة بروز الطفيليين في أي مجال فني هي مسألة طبيعية خصوصاً في بداية كل مرحلة جديدة من تاريخ شعب ما. فعلى سبيل المثال نذكر جميعنا بروز مجموعة من الطفيليين والمترزقة في المسرح والغناء وحتى الفن التشكيلي في بداية السبعينات، وقد تركوا لحالهم دون التصدي لهم، فسرعان ما شدوا الرجال وتركوا الساحة دون أن تكون لهم آثار سلبية على مسيرة الفن الأصيل. إذن أنا متفائل ولست متشائماً من وجود عناصر طفيلية هنا وهناك، فهي لابد أن تتحرك الساحة إن أجلاً أو عاجلاً.

**عصر (مصري):** أنا أعتقد بأن مسألة الطفيليين والطفيلية مرتبطة مثل كل شيء بذاتية الفنان أي بشخصيته. أذكر لكم مثلاً صغيراً، في عام ١٩٧٧ كنا مجموعة من الممثلين (كان معي الفنان عبدول حه مه جوان وطه خليل وآخرون) ذهبنا إلى تلفزيون كركوك لتصوير تقيلية عن محور الأمية، وأثناء اعداد السكوير وفي زخمة التحضيرات وقبل البدء بالتصوير أراد المخرج أن يستغل المناسبة فوضع لوحة كتب عليها (شعار عقلي) بين بقية قطع الديكور، فكان رد فعلنا هو الإحتجاج بشدة على ذلك التصرف إلى حد المشاحنة الكلامية مع كل المسؤولين هناك. ثم خرجنا وعدنا إلى السليمانية وافضين الرضوخ والتنازل. هذا الموقف كان نابعاً من ذاتنا، ولم يكن توجيهاً من أي حزب أو إتحاد للفنانين، من هنا أؤكد على أن شخصية الفنان هي الأساس في هذه الأمور. في نفس الوقت كان هناك مطربون محسوبون على الفن الكردي يقدمون الرشاوى لمسؤولي التلفزيون مقابل تسجيلهم الأغنيات الساقطة.

**اسماعيل:** الفنان على حلة دائمة مع البشرية، مع بقية الفنانين في العالم وهو يحاول دائماً أن يعبر عن هذا الاتصال وهذه المحبة بأدواته الفنية وطاقاته المخزونة في سبيل تحقيق السعادة ونيل أكبر قدر ممكن من الحرية لنفسه ولشعبه (سراً أو علانية)، ولم يشذ الفنان الكردي الأصيل والحقيقي عن هذه القاعدة، فقد كان على إتصال دائم مع قضية شعبه ومنذ الأربعينات حيث بدايات مسيرة

الفن التشكيلي الكردي كانت تعبر عن آمال الشعب في التحرر ولو بأساليب بسيطة من حيث المستوى الفني. إذن فالثورة والفن الحقيقي لم ينفصلا يوماً عن بعض. والآن وبعد انتفاضة الشعب يلعب الفن التشكيلي الكردي دوراً هاماً في تصوير تاريخ شعبنا وتضالاته، وهناك تطور جيد ملحوظ في اطار كسر الحواجز والأساليب القديمة والتوجه إلى الأساليب الحديثة والتعامل معها.. فأننا متفائل من هذه الناحية، الفن الكردي اليوم أكثر تطوراً من الأمس، وغداً سيكون أفضل من اليوم.

**آري بابان (تشكيلي):** في محور الحديث عن الفن والثورة قبل الكثير عن دور المسرح والموسيقى، نتحدث الأخ إسماعيل عن الفن التشكيلي... أريد هنا أن أؤكد مآذبه إليه زملائي من أن الفنان الكردي (أياً كان مجال ابداعه) كان على الدوام (فنان قضية) أي كان من الهيشمرگه يقاتل لا بالسلاح بل بالفكر والجمال. أما عن مسألة الفنان والطبقية فأننا مع رأي زملائي بأن الزمن والخلود ليسا في صالح الطبقة والطغليين، والفنان الأصل لا يتعجل الأمور فهو بحاجة إلى وقت كاف لتبلور أفكاره وتصويراته. أما الطغلي فيتسرع وبذلك يصبح سطحياً. فيفقد صفة الفنان ويؤول.

**شمكين فرج (موسيقي):** أنا لا أتحدث كموسيقي بل كفنان بصفة عامة عن موضوعه الفن والثورة، نتحدث زملائي كثيراً، ولا يسعني إلا أن أقول أنني معهم مبنياً وهذا لا يعني من أن أقول أن هناك مفاهيم تؤول خطأ أو هناك قصور في استيعابها. فمثلاً، الثورة في الفن، أو الفن الثوري، لا يعني أن على الفنان (التشكيلي مثلاً) أن يرسم لوحة تعبر عن حالة ثورية بالمعنى العسكري أو السياسي. بل عندي أن الثورة في الفن تعني (ولا تعني غير هذا) أن يلتزم الفنان بروعي بالأصول العلمية لمجال عمله الإبداعي والعمل على تطويرها باستمرار. فنحن في هذه المرحلة بأمس الحاجة إلى مجموعة من الاختراقات لأشكال قديمة ورائنة. فإذا لم تفعل ذلك فإننا نعتزف بمعجزنا عن فهم وإستيعاب مفهومي النهضة والثورة في الفن. قال (كونفوشيوس) مامعناه لو أردت أن تعرف شعباً فإعرفه من خلال فنه. إذن نحن في حاجة إلى تطوير فننا بحيث يكون صورة مشرقة لشعبنا الكردي.

**فرتميس داود (موسيقي):** الفن بحد ذاته معاناة، فمن لامعانة له لا يصبح فناناً، ولن يقدم فناً جيداً ونحن اليوم أمام ظاهرة تنفق ويروز وجوه وأصوات غريبة عن الفن على المستوى الإبداعي خصوصاً، أن يكون الشخص وطنياً أو يعبر عن مضمون وطني لا يعني بالضرورة أنه يقدم فناً جيداً أو حتى مقبولاً من زاوية فنية. المادة التي يقدمها ينبغي أن تراعى ضوابط فنية علمية. كثير هم الناس الذين لم يقبلوا في فرق فنية في حينه، واليوم يستغلون أجواء الحرية وعدم وجود أي نوع من الرقابة في أجهزة الاعلام في كردستان. ولذلك نرى الكثير من المواد المشوهة للتلوق العام تقدم بل ربحاً هي السائدة. هناك أشخاص بدأوا التدريب على الموسيقى منذ شهر واحد وقجأة تراه من على

الشاشة وهو يغني أو يعزف قطعة كلها نشاز. كذلك الحال بالنسبة للمسرح، لأداء ولاشروط فنية أولية متوفرة في أعمال أناس غرباء عن الفن.

مع الأسف أن هيمنة أناس من هذه الطينة على مساحات واسعة وقنوات عديدة، فنية اعلامية، أصابت الفنان الأصل بنوع من الخيبة والتوقع، فهو ينسحب ولا يريد أن يختلط صوته بهذا الضجيج وإن كان يقدم (عندما يريد) مواد وصيئة جيدة. إذن فالسؤال هنا هو كيف السبيل للتخلص من هذه الشوائب وهذه مسؤولية قنوات التلفزيون والمنظمات والفرق. ولا يمكن السكوت عن عدم وجود أية ضوابط فنية.

أخيراً أقول أن الفنان يجب أن لا يكون قنوعاً، فالفن هو عدم إقتناع مستمر وقرد وثورة دائمة، فلا دوام للفن والإبداع مع وجود أو بروز حالة القناعة لدى الفنان.

**دلشاد أحمد (مصري):** لا بد للفرق والجمعيات الفنية من التركيز على أهمية تشكيل لجان رقابة فنية للتشديد على الجانب الفني دون الفكري (حيث أن الفنان حر في طريقة تفكيره) ويتصورني أن عملية كهذه تنفذ الوضع الراهن من تدني المستويات الفنية وتفسح المجال أمام الطاقات الإبداعية التي انسحبت بعيداً عن الأضواء.

**أنور قره داغي (موسيقى):** للشروع في تحقيق مايراه الزميل فرنسيس والزميل دلشاد حول وضع رقابة وضوابط فنية، لا بد لنا من برنامج عمل قومي في المجال الفني، إذ كيف لنا أن نحدد ضوابط فنية إذا لم يكن لدينا برنامج عمل مستقبلي. فمن الذي يقرر صلاحية وجودة مادة فنية ما من عدم صلاحيتها؟ هل نحن متفقون حول ميزات وسمات الفن القومي الأصل مسبقاً؟

**هشام داود (باحث):** من خلال سماعي لمجريات الحديث تشكلت لدي صورة عن رؤية الفنان الكردي. وأنا لأدخل في تفاصيل بل بشكل عام، يرى الفنان الكردي أن هناك ترابطاً جديداً بين الثورة والفن. وإنني لأعتقد بصحة ما قيل عن الاستقلالية والنسبية لأشكال التعبير الفني. إن الوضع المعقد في كردستان قد يدفع بالفن إلى التلاصق مع السياسة وهذا ليس جديداً، كثير من الشعراء الفرنسيين تحولوا إلى شعراء مقاتلين. وفنانو اسبانيا أصبحوا خلال احتلال نابليون ثوريين. فتصورني الاستمرار في الإبداع والانتاج الجيد هو السمة الأساسية لثورة الفن والفنان. أما عن مسألة الطغليين في الفن فهذه ليست خاصة بالفن الكردي فهناك الكثير من الطغليين المحسوبين على الفن في العراق، والعالم العربي وفي فرنسا وبريطانيا، ودائماً هناك فن مبتذل وفن حقيقي. وكخاتمة أستشير من (الجاحظ) قوله «إن الخط الجميل يزيد الحق وضوحاً» فالجمال والأصالة في الفن يحتاجان الحياة جمالية أعلى وهذه هي جوهر الثورة في الفن. فإذا كان الفعل الثوري، بمعناه المباشر السياسي، يعني عملية قطع في المؤسسات التشريعية فإن الفعل الثوري في الفن هو التجديد التقني.

### ٢- الفن والتطور التكنولوجي

هروا: نريد الدخول في المحور الثاني فتحدث عن فعل التطور التكنولوجي في المجال الفني. فيما يخص المجتمع الكردي لتطور التكنولوجيا الأثر الفعال عليه سواءً عن طريق التأثير المباشر التقني أو عن طريق إنتشار القيم التي تتغلغل مع التكنولوجيا. ولأن نريد أن نتحدث عن مدى تأثير الفن بمختلف مجالاته عندنا بالتكنولوجيا وتجليات ذلك وأرجو من الزملاء والأخوة التركيز في أحاديثهم حول جوهر الموضوع وشكراً.

عمره: بشكل عام لم ينتفع الفن الكردي وخصوصاً المسرح من الوسائل التكنولوجية الحديثة، فمثلاً ليس لدينا لحد الآن أجهزة إنارة حديثة دقيقة وذات كفاءة ولا حتى أجهزة صوتية كلاكطات حساسة أو مؤثرات صوتية بل حتى يمكنني أن أقول أن هندسة بناء المسارح عندنا ليست في المستوى المطلوب.

عهلولة: لم يكن للدخول القيم البرجوازية الذي ترافق مع دخول التكنولوجيا إلى بلد كبلدنا أية آثار سلبية على مسيرة الفن الكردي فنحن وعلى ما ذكر لم تتأثر بالقيم والأفكار البرجوازية ولم نجعل من مسارحنا منابر لنشر تلك القيم. بل على العكس من ذلك كان المسرح الكردي المتواضع منبراً للأفكار التقدمية الأساسية، والقيم التي تتسم بالشعور القومي التقدمي.

خالد سه وكاوه: في مجال الموسيقى والآلات الموسيقية هناك تطور ملحوظ ولكن في تصويري ليس الهم مدى تطور الآلة الموسيقية من الناحية التقنية بل الهم هو الفنان الذي يتعامل مع تلك الآلة. وعند ذلك يظهر الأثر الحقيقي للتطور التكنولوجي.

فمكين فرج: التكنولوجيا سلاح ذو حدين له مضار بقدر ماله من منافع. نادراً ما نجد مجالاً حياتياً إلا والتكنولوجيا داخلة فيه، في مجال الموسيقى نرى نفس الحالة. فمناخ التكنولوجيا في هذا المجال معروفة لذلك أشير إلى مظاهرها، ويمكنني أن ألخص فأقول أن التطور التكنولوجي في مجال صنع الآلات الموسيقية وتقنية التسجيل الموسيقي تسبب غياب وإلغاء العمل الجماعي وترسيخ أسلوب العمل والأداء الفردي. توجد أجهزة موسيقية متطورة جداً بحيث تعرض عن مجموعة مختلفة من الآلات ولذلك نرى عازفاً واحداً يدخل إلى الاستوديو مع هذا الجهاز دون أن يساعدهم معه أفراد آخرون فيسجل مادة موسيقية فردية لأثر للعمل الجماعي وحيويته فيها. كذلك بالنسبة لأساليب التسجيلات الصوتية. فالكثير من المؤلفين أو المؤلّفين يارسون أسلوب التسجيل الفردي، فاليوم يسجل عازف الكمان مقطوعته، وغداً عازف آلة أخرى وهكذا وأخيراً يسجل المطرب أغنيته وفي الأخير تكون الأغنية والمادة الموسيقية جاهزة ومطروحة في السوق دون أن يتمكن العازفون وحتى المطرب من التعارف، وحتى دون رؤية بعضهم البعض. وهنا عنصر ضار إذ أنه يجرّد العمل الفني من الروح الجماعية وبالتالي يكرس القيم الفردية وروح الإنعزال.

إسماعيل: بصورة عامة يمكنني أن أقول أن الفن التشكيلي الكردي لم يصح في موقع يمكنه من الانتفاع والاستغلال الأمثل للتطور التكنولوجي وذلك للتخلف الحضاري الذي يهيمن على العراق، وخصوصاً في كردستان التي كانت في ظل أوضاع إستثنائية. فالفنان الكردي نادراً ما كان في وسعه التجول في البلدان المتطورة ورؤية ذلك التطور عن قرب والتعامل مع الأجهزة والوسائل التقنية وما توفره التكنولوجيا بحرية. على سبيل المثال لا يوجد في العراق حسب علمي سوى جهاز واحد للطبع على الحجر وتعطل ذلك الجهاز ولا يزال عاطلاً مهنلاً في معهد الفنون الجميلة في بغداد. ونادراً ما تجد جهاز طبع الكرافيك عند عدد قليل جداً من الفنانين. لا توجد أنواع جيدة من الورق ولا تتوفر أصباغ وألوان ذات كفاءة عالية، وحتى الخشب لصنع إطارات للوحات وإلى آخره. وكما قال الأستاذ عمر لا تتوفر لنا حتى قاعات وبنائات لعرض الأعمال الفنية والإحتفاظ بها، ومع ذلك فإنني أرى أن هناك جهراً مخلصاً يتجهز استثمار التطور التكنولوجي والإفادة منه.

أما ما يقال عن تدخل التكنولوجيا السافر للتعرض عن التصور الإبداعي لدى الفنان فأنا أقول أن قسماً كبيراً من هذه الأقاويل مفرغ. والغرض منها الحط من قيمة المدارس الفنية الحديثة. فإذا كانت التكنولوجيا هي الأداة والسبيل لكسر الطوق والرتابة والجمود في الحياة فلا بد أن تدخل إلى المجال الفني أيضاً لكسر القوالب التقليدية وإيجاد الأساليب والطرق الحديثة للتعبير.

آري ياهان: في تصوري أن الفن التشكيلي الكردي لم يتأثر، كمضمون وكمدارس فنية بالتكنولوجيا مباشرة على غرار ما حدث للفن التشكيلي والفن عموماً في الغرب الصناعي، فهناك أدى التطور التكنولوجي إلى تطور مماثل في الفنون. فظهرت مدارس فنية كالتكيفية والمستقبلية وغيرها، أما عندنا فوصلنا التأثير من خلال تلك المدارس الفنية (ولادة الحياة التكنولوجية) وليس من خلال التطور التكنولوجي للحياة مباشرة.

غزوة عمر علي: أريد أن أعقب على ملاحظة الأستاذ خالد حول أهمية وألوية الفنان الذي يتعامل مع التكنولوجيا بمثل من مهرجان بغداد المسرحي قبل سنوات حيث قدمت فرقة مسرحية كويتية عملها وهي مجهزة بأحدث الأجهزة والمعدات التكنولوجية الخاصة بالمسرح. ولأخفي عليكم أننا كنا جميعاً مهوورين بتلك التجهيزات. وكنا نحسدها عليها. ولكن عندما بدأت الفرقة بتقديم عرضها خابت آمالنا وترك الكثير من الجمهور مقاعد الصالة قبل إنتهاء العرض، وذلك بسبب خلو المادة والأداء من أية مضامين فنية إبداعية.

وجه آخر للمشكلة هو بعد كتابتنا المسرحيين عن التكنولوجيا وتطورها وتأثيراتها. فهم لحد الآن يكتبون نصراً تعالج قضايا ومشاكل تخص العلاقات الاجتماعية العشائرية والاقطاعية. أي أنها (النصوص) باتت مستهلكة والجمهور لم يعد تستهويه متابعة هكذا نصوص.

بتصوري أن حجم احتياجنا إلى تطور تكتلجة وتقنين المسرح يساوي حجم احتياجنا إلى تطور الفكر وتحديث الكتابة للمسرح. أقلها سوف يكون لدينا مسرح يتلوه الجمهور ولا يلمه.



**ظاهر:** إن أهم شيء عني في هذا المحور، هو العلاقة بين التكنولوجيا والفنان، وخصوصاً هل هي علاقة متبادلة، أم علاقة غير متكافئة؟ هل الفنان يوظف التكنولوجيا في خدمة فنه أم أنه يستسلم لمصادفات الاستخدام التكنولوجي في المسرح؟ باعتقادي، الفنان الذي يستخدم خياله أكثر ويوظف التكنولوجيا لتسهيل عملية توصيل هذا الخيال، هو الفنان المتمكن. ولكن إذا ترك للتكنولوجيا أن تلعب الدور البارز دون تخطيط مسبق أو خيال مدروس، أي أن تلعب المصادفة دوراً في خلق أجواء، وتكوينات جمالية فهذا هو بالضبط الإستسلام الأعشى للتكنولوجيا وتبعية الخيال الجمالي الفني للمصدفة التكنولوجية. وأنا أعتبر هذه حالة سلبية بعيدة عن الفن.

**أفهم:** يلعب التطور التكنولوجي دوراً هاماً جداً في كل نواحي الحياة المعاصرة، والفنية منها خصوصاً، وبالتالي فبالإمكان القول أن الموسيقى لها حصة الأسد في مجال الاستفادة من التطور التكنولوجي من حيث صناعة الآلة الموسيقية وعمليات التسجيل الصوتي والبث والإلتقاط أو الأداء والتلقي. النقطة المهمة هنا هي كيفية التعامل مع هذه الانجازات التكنولوجية وتكييفها مع الروح والثقافة القريعتين بشكل يؤدي إلى إنتاج فن أصيل ومعاصر في آن.

**غمكين فرج (موسيقي):** أعود وأؤكد على مذكرو الإخوة والأساتذة حول الجوانب السلبية والإيجابية للتطور التكنولوجي في المجالات الفنية، فالتكنولوجيا أدت إلى ظهور مدارس فنية متعددة تشكيلية في العالم وكذلك حصل نفس الشيء في مجال الموسيقى العالمية.. فظهرت على سبيل المثال الموسيقى الالكترونية والموسيقى الكونكرتية وتيارات أخرى.. والتي سخاها موسيقار روسي الموسيقى الأقماعية وهي قفل تجليات الجوانب السلبية والضارة للتطور التكنولوجي الذي دخل المجال الموسيقي.. وأنا شخصياً أعاني وجذانياً من هذه الظواهر.. إذ يعلم كل منا أن عازف الكمان مطلوب منه الاستغراق جذباً بعقله وروحه وجسده، في التحرين المستمر على العزف لسنوات عديدة من أجل أن يصبح عازفاً فناناً معقولاً ومقبولاً. في حين نجد جهازاً موسيقياً تكنولوجياً معقداً ومتطوراً جداً يعرض عن أكثر من عشرة من عازفي الكمان البارعين.. وبسهولة مفرطة للغاية، وهذا يعني دون أي شك إصابة العازفين الحقيقيين الذين عانوا السهر والتعب خلال سنوات عديدة، بالاحباط.. التكنولوجيا، أو هذا الجانب السلبي منها، سيتسبب في تحطيم نفسية ومرواح وطموح الفنان الانسان. إذن علينا أن ندرك جيداً هذه المخاطر وبالتالي فأننا أرى من المناسب جداً التقليل إلى الحد الأدنى من استخدام واستيراد آلات موسيقية تكنولوجية للحفاظ على انسانية الفن وفنية الانسان.

**عمر:** اقترحت السيدة غزيرة الاهتمام أكثر فأكثر بكتابة النصوص الحديثة التي تتيح المجال والفرصة للاستغلال الأمثل للمنجزات التكنولوجية في مجال المسرح لكن العملية قد تكون عكسية.. أي بمعنى أن عدم توفر الامكانيات التقنية للمسرح الكردي أدى ويؤدي إلى تحديد وتأثير خيال وفكر الكاتب المسرحي وحتى المخرج المسرحي.. أنا مثلاً كنت في كثير من الأحيان أخلق

بخيالي عالياً في تصور المشاهد التي كنت أنوي كتابتها، ولكن سرعان ما كنت أهبط إلى الواقع المر وأستسلم إلى الامكانيات الواقعية الفقيرة جداً في مجال الديكور والاكسسوار والانارة والمزئترات الصوتية.. بل قل حتى في مجال إدخال الشخصيات النسوية في النص، إذ كنت في السابق كثيراً ما ألقي شخصية المرأة في نصوصي لمعرفتي المسبقة بعدم توفر العنصر الفني النسوي.

إسماعيل خياط: الخيال ملكة انسانية قد لاتساوى في إمتلاكها، كماً وكيفاً، ولكن للناس جميعاً، هناك في الغرب وهنا في الشرق وفي كردستان، خيالاً، وتخيلات.. والفنان الكردي له قدرته التخيلية الخاصة به.. ولكن الأشكال يبدأ في رأيي بعد مرحلة التخيل.. أي في مرحلة الاعداد للتطبيق.. ومرحلة الممارسة الفعلية لانتاج المادة الفنية.. فأنا كثيراً ما أفكر وأحلم وأتخيل ولكن الامكانيات المادية والموضوعية لاتساعدني في تحقيق وتجسيد ما أحلم به وأتخيله. إن من أعظم طموحاتي الفنية هو أن أرسم جدارية على جدار ثابت في مكان عام لائق، بطول ٢٠ متراً وعرض ١٠ أمتار مثلاً.. ولكن عندما أعود إلى الواقع، أرى أن لامواد غنية من أصباغ وغيرها من النوعية الجيدة التي تحتمل الثقيلات الجوية متوفرة لدي.. لاجدار ثابت لائق لعمل فني.. وأخيراً حتى لو توفرت هذه وتلك من يضمن لي أنها لاتزول مع الجدارية لأسباب سياسية أو (أمنية) غداً أو بعد غد؟

برواز: أود أن أقول أن التكنولوجيا لم تدخل إلى محيطنا الحياتي اليومي مباشرة عن طريق الصناعة والتصنيع أي عن طريق التقدم الاقتصادي كما هو الحال في الغرب وفي اليابان.. بل أنها دخلت من خلال منجزاتها.. من خلال تأثيراتها في المجالات المختلفة ومنها الفنية.. وهذه الحالة لأعتبرها سلبية أو ضارة.. بل أعتبرها حالة صحية وخطوة إلى الأمام.. فنحن الآن على إستعداد لقبول التكنولوجيا مباشرة بعد أن هيأنا لها الأرضية الذهنية والفكرية المناسبة من خلال تعاملنا الجاد مع منجزاتها ومردوداتها في المجالات الفنية على الأكل.

هشام داود: التكنولوجيا بشكلها المجرد ليس في امكانها أن تنقل أخلاقيات من مجتمع ما إلى مجتمع آخر.. وإنما العلاقات الاجتماعية التي تحيط بالتكنولوجيا في مصادرها هي التي يمكن أن تضغط أو تهيم من خلال نقل التكنولوجيا والأقياتي فنانون مثل الحركة الشارتي في بريطانيا في القرن الماضي الذين حطموه الآلات وهم يتوهمون بأنهم يعطسون الاستغلال.. في اعتقادي أن الانسان عندما يدخل في أولى خطواته إلى ميدان ثورة عظمى مثل - اكتشاف الزراعة، المدينة اوالتحضر، وأخيراً الثورة العلمية التقنية، قد يكون غير مدرك لأهمية عمله - فالقلاخ الأول لم يكن يدرك أنه دخل في مسيرة ستغير من مجرى التاريخ..

ونحن الآن على أعتاب دخول مرحلة جديدة ألا وهي الثورة العلمية التقنية التي سوف لن يكون في مقدورنا ولاقي صالحنه الوقوف في وجهها كتيار، بل المطلوب مثلاً تكيفها مع واقعنا وحاجاتنا.. الكثير من أشكال وأساليب التعبير الفني غائبة عن الساحة الفنية الأوروبية.. فالسينما مثلاً غائبة

تقريباً في أوروبا.. عدا السينما الفرنسية.. السينما الأمريكية التي أصبحت مصنعة للأفلام المبعذلة.. التلفزيون هو البديل الآن وهو الأهم وقد يترك مكانه وموقعه لأشكال تعبيرية أخرى مستقبلاً.. إذن فال تطور التكنولوجي قد دخل ويشكل جارف كل الميادين.. التكنولوجيا بعد ذاتها خرساً.. صامتة.. أما العلاقات الاجتماعية التي تصاحبها وتراقبها فهي التي تثير الجدل والنقاش.. فهذا الموضوع يشير بدلاً كونياً حتى في أوروبا وأمريكا نفسها.. والفنان الكردي لابد وأن يواجه هذه الحالة ولا يمكن أن نزل أنفسنا عن التكنولوجيا ومنجزاتها.

## ٣ - التراث الفني وتأثيره على الفن الكردي الحديث

ههنا: إذن دعونا ندخل محورنا الأخير، ألا وهو الحديث عن تراثنا الفني والثقافي والفولكلوري الكردي ومدى تأثير هذا التراث وكيفية انعكاسه على مجمل الفن الكردي المعاصر الحديث. من المعلوم أن شعبنا الكردي وبعد تعرضه لأتبع مزامرة استعمارية من خلال تجزئة أرض وطنه وتجزئة اقتصاده، وكل المحاولات الشرسة لأبادته هنا وهناك، أقول أن هذا الشعب استطاع وبشجاعة لا مثيل لها أن يحمي لغته وفولكلوره وتراثه الفني الشعبي من الضياع والقتل.. بحيث أصبح هذا التراث الشعبي (الفني منها خصوصاً) دليلاً قاطعاً على وحدة هذه الأمة المجرأة جغرافياً واقتصادياً..

من هنا أقول أن الفنان الكردي استطاع ويتحدر كبير أن (يعصرن) هذا التراث ويرفعه إلى مقام راقٍ ويقلبه كمادة فنية حديثة معاصرة وأصيلة في نفس الوقت.

خالد: جرى الحديث في كثير من المناسبات حول ماهية العلاقة المناسبة ما بين التراث والحاضر.. ولكن للأسف لم نتح لنا الفرصة الكافية والامكانات الجيدة للانتقال من «الحديث عن» إلى «الصل من أجل».. لهذا فإننا في هذه المناسبة لأريد أن أخوض في «الحديث عن» بل أقترح اقتراحاً علمياً للزملاء والأخوة (الموسيقين خصوصاً) للتتسيق فيما بينهم بصورة جادة للبحث عن كل أثر موسيقي غنائي شعبي تراثي وجمع كل ما يحصلون عليه من بين الأوساط الشعبية وتصنيفه تصنيفاً علمياً وعملياً بحيث تؤدي هذه العملية في النتيجة إلى إيجاد أرشيف شامل وغني للموسيقى والغناء الشعبي التراثي الكردي فيكون في متناول كل مؤلف موسيقي أو باحث أو دارس فني للاستفادة منه..

أفورة: أنا أريد ودون تحفظ ماذهب إليه زميلي الأستاذ خالد حول ضرورة جمع كل المواد التراثية (الموسيقية والغنائية) خصوصاً وذلك كمرحلة أولى، ومن جانبي أرى من الضروري أن نقوم بعد التجميع والتصنيف بدراسة وتحليل هذه المواد التراثية للوصول من خلال التحليل العلمي الدقيق إلى روح الموسيقى الكردية والغناء الكردي والإيقاع الكردي المتنوع والذي له سمات خاصة ومميزة..

ونحن نعلم أننا في كردستان العراق متأثرون وإلى حد ما بالموسيقى والابواق والأداء العربي.. وهناك تأثير فارسي على نتاجات إخوتنا في كردستان إيران.. وتأثير تركي على أعمال الأخوة في

كردستان تركيا.. وهذا الوضع ناتج عن تجزأة كردستان الكبرى والشعب الكردي الواحد إلى عدة أجزاء. رغمًا عن ارادته وإلحاق أجزائه بشعوب وقوميات أخرى ذات سيادة وسلطة.. مما أدى إلى تشوه أو ضياع جزء غير قليل من تراثه ووقوعه تحت تأثير ثقافة وفنون الشعوب المسيطرة في أجزاء وطنه الممزق.. فكلّ أجل إعادة الهوية الرصينة للغة والتراث الكردي لابد لنا من جمعه وتصنيفه وتحليله علمياً ودون تأجيل. وأنا شخصياً مقتنع تماماً بأننا مؤهلون للقيام بهذه المهمة وأن نتائج البحث والتحليل ستكون مباشرة بالخير، إذ رجا وجدنا من خلال التحليل أن الموسيقى الكردية (تون) خاص أو (ربع صوت) أو امتياز في أحد الأصوات الأساسية.. فدواسة الآلات الموسيقية التراثية الشعبية وطرق العزف عليها ومختلف الابقاعات بلهجات (هرومان أو بهدينان) مثلاً وأساليب وأشكال الأداء الفني.. كل ذلك من صلب المهام التي تنتظرنا وحان الوقت للبت فيها..

**ظاهر عبد الله:** النقطة الأهم في رأيي، في موضوع العلاقة مابين التراث والمعاصر، هي كيفية النظر إلى ذلك التراث والعقلية التي يتم التعامل بها مع التراث.. هل هي عقلية جامدة وناقلة نقلاً ميكانيكياً دون أي اعتبار لعامل الزمن والتطور؟ أم هي عقلية علمية تقدمية تدرس المادة التراثية وتعالجها وتكيفها مع المتطلبات المعاصرة؟

**قرتسيس:** تعقيباً على رأي الإخوة أقول.. إنه من المهم جداً التعرف عن كثب ومن خلال التحليل التاريخي على المواد والآلات التراثية لفصل ما يخصنا ككرد عن كل مانشترك فيه مع شعوب أخرى أو كل ما يخص شعوباً أخرى تأثرت به فتوهنتا بأنه (كردي) أصيل. ومعرفة كل ما يخصنا وامتزج بفنون وتراث أقوام أخرى فلانكاد نتعرف عليه الآن.. إلخ.. أذكر لكم حادثة: قبل سنوات عديدة كنا.. الأستاذ أنور والأستاذ خالد وأنا.. مجتمعين مع المطرب المرحوم (حسن زهره كا) فأسمعناه لحناً أرنياً أعجب به فغنى معه أغنية كردية.. وهي "كان شائعة والناس يتوهمون بأن اللحن كردي أصيل لعدم معرفتهم بأصول الموسيقى، والابقاع الكرديين.

**إسماعيل:** أرى من الضروري جداً النظر إلى التراث والتعامل معه من وجهة نظر شمولية لاتقيب عنها البيئة الكردية ويبرز من خلالها الانسان الكردي وأرضه وماؤه وسمائه وتأريخه.. الفنان التشكيلي الكردي لم يتفهم وبالتالي لم يوظف المادة والموضوع التراثيين بالشكل المطلوب وفي مستوى الطموح في حين أنه متأثر جداً بالمدارس الأكاديمية والمعاصرة الغربية.. الفنان العربي العراقي له محاولات جادة في تطعيم مادته وأسلوبه الفني بأسلوب الرسم والزخرفة والخط البابلي والسومري والاسلامي.. وكذلك الفنان المصري الذي يوظف الأساليب الفنية الفرعونية.. ولكن هذا لم يحدث عندنا إلا في إطار ضيق وعلى مستوى المجهود الفردي لهذا الفنان أو ذاك، مترافقاً مع قصور في الفهم والرؤيا في حالات عديدة..

**آري بابان (تشكيلي):** إحدى المشاكل الرئيسية التي تواجه الفنان الكردي وتحيق عمله أو رجا تشبهه عن المعالجة هي في رأيي عدم وجود جهات مختصة بالبحث عن التراث وتجميعه وتصنيفه

ثم توثيقه، وبالتالي اضطرار الفنان لأن يتحمل لوحده، بجهد الفردى، البحث عن التراث وتجميع ما يحصل عليه هنا وهناك.. وهذه عملية ليست بالسهلة أبداً.. بالإضافة إلى أنها ليست من مهام الفنان، ما يؤدي في النتيجة إلى بعثرة الجهود والوقت.. أو ربما إلى يأس الفنان لعدم قدرته على مواصلة هذه المهمة الشاقة التي لا يعرف أصولها العلمية والمنهجية..

إذن فالكثير من الاقتراحات التي تقدم بها الزملاء والأساتذة سوف لن ترى النور ولن تجدي نفعاً إذا لم يتم تشكيل لجان وجمعيات متخصصة في البحث عن التراث وجمعه، وأخرى متخصصة في تصفية وتوثيقه ثم أخيراً لجأناً مختصة في تحليله ودراسته دراسة علمية تمكّن الفنان من الاطلاع عن كثب وبحريرة على مجمل تراث شعبه في مجالاته المختلفة لفرض الاستفادة منه وتوظيفه وتطويره..

**عمر علي أمين:** التعامل مع التراث ليس مطلقاً، بل هو نسبي، أي بمعنى أنه لا يمكن التعامل مع كل عناصر التراث بنفس الأسلوب.. وينتس المنطق بل قد يضطر الفنان للتعامل مع عنصر كعنصر المثل والمأثورة الشعبية بأسلوب النقل الميكانيكي والفتوغرافي إذ لا يمكن أن تغيّر الحادثة والأشخاص والأجواء القديمة حتى ولا أسلوب الحوار والحديث بين الشخصيات التي نقتض أن تكون هي التي شاركت لأول مرة في صناعة وصياغة ذلك المثل أو القول المأثور التراثي.. فلو فعلت ذلك بحجة التعامل المعصري مع التراث ستكون المهمة فاشلة ودون نتيجة حتمياً، بعكس ما ستكون عليه نتيجة التعامل المعصري مع مادة تراثية درامية أو فكرية.. إلخ.. حيث من الممكن جداً عصرت مواد تراثية كهذه..

**عبدول:** التراث نتاج فترة زمنية وهو من صنع أبناء شعب ما.. ولكل الشعوب تراثها الخاص.. وأنا أرى من الضروري التعامل مع التراث باعتباره شيئاً لا يمكن تقيده أو إعادة تشكيله أو صياغة موضوعه من جديد.. قد يجزئ للفنان أن يطور ويغير من شكل المادة التراثية، ولكن ليس مسموحاً له أن يغيّر من موضوعها وجوهرها.. فالموضوع والجوهر في هذه الحالة أصبحا ملكاً للتأريخ وجزءاً من هوية تراث الأمة.

**هشام كين:** حول مآذرك عن صعوبة واستحالة تحديد ماهو تراث كردي وماهو عائد لشعوب أخرى، لي ملاحظة شخصية، أقول أن أجزاء كبيرة من تراثنا الغنائي والموسيقي لها تسمياتها، ولها طابعها الخاص وكذلك لها مواقعها الجغرافية الخاصة بها في كردستان، ألاكتفي كل هذه المؤشرات الواضحة (تسميات، طابع، موقع) لتحديد عناصر مهمة وأجزاء أساسية من تراثنا الفني (الموسيقي منه خصوصاً) دون الحاجة إلى البحث والتصنيف والتحليل...؟ فمثلاً لدينا (الوك، حيران، سياچه مائه، هورر.. إلخ) والتي لها تسمياتها الكردية ويجب أن تعامل بامتيازها أساساً ومنطلقاً لتأسيس المشاريع الفنية المستقبلية في مجال الموسيقى والغناء.

حدد (أوسكار مان) في «التحفة المظفرية» هذه الألوان الغنائية ومقاماتها أيضاً.. وذكر بأنها أجزاء من التراث الكردي، فلا أدري ماهي الحكمة في التشكيك فيما صادق عليه الباحثون

والمستشرقون الأجانب، ولم نهدر الوقت في البحث عما هو مكتشف وموثوق تاريخياً.. هذه هي الحالة إذن؛ فلو كنا نريد الانطلاق من التراث، فتراثنا أو أقلها أجزاء واسعة من تراثنا الموسيقي، معروف ومكتشف، فلنبدأ إذن.. إذا كنا نريد أو نفكر في سبيل أمر غير هذا، كأن نتمسك بالموسيقى العالمية ففي حالة كهذه نحن بحاجة إلى مؤخر موسيقي نتحاور ونبحث ونقرر فيه مانريد..  
**أنور القره داغي:** إن ما ذكره الأخ (غمكين) هو حالة واحدة من عدة حالات أي جانب واحد من الموضوع وليس كل الموضوع...

أذكر هنا مثلاً واحداً في تركيا لا تسمى أية أغنية كردية (كردية وإنما تسمى الأغنية التركية الجبلية) وكثيراً ما تناقشت وجادلت مع أساتذة الموسيقى في كونسرفتوار أزمير - في تركيا حول كردية تلك الأغاني والابتعاثات، ولكنهم، رغم معرفتهم المؤكدة بأنها كردية، كانوا ولا يزالون يصرون على تركيتها! وكانوا يطالبونني بتقديم الحجج والبراهين التاريخية والعلمية الوثائقية على ادعائي! فما هي حججي؟ وماهي الوثائق التي تبرهن على صحة وأحقية ما أقول؟! ليس لدي سوى التعاطف الوجداني والحنس اللذين يؤكدان لي صحة قلبي.. ولكن هل هذا يكفي؟ كلا، هذا لا يكفي! فلأحد يكتب تاريخه ويطلب بحقوقه بسلاح العاطفة والوجدان فقط. نحن بحاجة ماسة للبحث والتقصي عن الوثائق والبراهين التاريخية والعلمية وتوثيق كل هذه الأمور لاثبات أحقية ما نطالب به ونسعى من أجله. كل الشعوب الحرة والمستقلة فعلت ذلك - حتى الأتراك منذ بداية حكم أتاتورك، فعلوا ذلك..

**جوزة:** أنا أنتهز هذه الفرصة لأطرح تساؤلين حول علاقة التراث بالفن المعاصر - أولاً، أسألك: لماذا لا يستفيد الموسيقيون الكرد من تراثنا الملحمي.. (شيرين وفرهاد.. مه م وزين.. قه لاي دمدم.. إلخ..) في تأليفاتهم الموسيقية.. كما استفاد آخرون في العالم مثلاً من ألف ليلة وليلة.. وغيرها... ثانياً؛ إلى متى يتوهم البعض بأن كتابة النص المحلي (للمسرح) تعني وبالضرورة الانطلاق من المواد التراثية وإلا فهو (أي النص) ليس محلياً؟

**برهان:** أنا لا أستطيع أن أنظر إلى التراث إلا باعتباره نتاجاً للنشاط الاجتماعي للإنسان عبر التاريخ.. نشاطه اليومي والابداعي.. وعلى هذا الأساس أحد العلاقة مابين الحاضر والتراث.. وبين المشروع والتاريخ.. فالتراث من هذا المنظور ليس شيئاً مقدساً ولاحيزاً محرمًا على الإنسان دخوله.. ولكن وفي نفس الوقت أرى من الضروري جداً أن يتم توثيق التراث كما هو دون أي مساس بجزوه أو بشكله.. فالموثق يجب أن يكون منزهاً من أية أغراض أو مصالح شخصية أو فنية أو أيديولوجية (حين القيام بمهمته تلك) فالتاريخ والتراث يجب أن يوثقا كما هما وكما كانا بالفعل لا كما يريد هما الباحث والموثق الآن أو غداً.. أما كيف يتم التعامل مع ما يتم توثيقه بموضوعية فهذا عائد للشخص الذي يريد التعامل معه وذلك انطلاقاً من المعتقد والأيديولوجيا والمصالح الطبقية والعقلية التي تتحكم فيه..

أما ما ذكر حول تقسيم المراحل التي من خلالها وفي تنبجتها سيتمكن الفنان الكردي من الاستفادة من التراث.. فأنا لأرى ذلك من هذه الزاوية.. فلاداعي لتحديد مراحل للعمل.. لبحث، تجميع، ثم توثيق.. ثم تصنيف.. إلخ.. فلا يمكن أن تنتظر طوال أعوام وأعوام حتى تكتمل كل هذه المراحل.. وإنما أرى أنه يجب أن تتبع خطة لتوزيع الأعمال والاختصاصات التي ذكرت على أنها مراحل فكل هذه الأعمال مترابطة ترابطاً حيوياً، هذا من جانب، ومن جانب آخر فكل هذه الأعمال هي أعمال اختصاصية وهي ليست في صلب مهات الفنان.. لا يطالب الفنان بهذه المهام.. ليس على الفنان سوى توظيف التراث الموثوق وكما يرتأيه هو في عمله الإبداعي..

**هشام داود:** أنا أريد أن أتحدث من خلال تجربتي كـ (أنثروبولوجي) أعمل في مجال الانثروغرافيا الكردية في تركيا، لأحد يهتم بالفلكلور والتراث الكردي، وإذا ما أراد الكردي أن يقرأ عن تراثه يجب عليه أن يقرأ ما كتب عنه بالروسية أو الفرنسية أو الانكليزية. صحيح أن الحكومات في العراق وفي تركيا وفي إيران تتحمل المسؤولية الأولى عن هذا الانعدام للاهتمام بتراث الشعب الكردي.. ولكن كل هذا لا يعني المثقفين الكرد وشبابه من المسؤولية التاريخية الجسيمة تجاه شعبهم وتاريخهم وتراثهم.. فمثلاً نجد أن المعهد الكردي في باريس منذ تأسيسه ولحد الآن قد أعطى أكثر من مئة منحة دراسية، ومع ذلك لم يخطر ببال أحد من الدارسين الكرد أن يحضر أطروحة حول الأنثروغرافيا والفلكلور الكردي.. حول قضية شعبه.. في حين أن هناك أكثر من عشرة من الدارسين، يحضرون أطروحاتهم حول سوسولوجية المجتمع الفرنسي أو حول الثقافة الفلاية.. إلخ... أما في الجانب الآخر فلم يتم عمل أي شيء.. فلم يتم تجميع الأمثال الشعبية والأمثال والأساطير والحكايات والقصائد والتقاليد.. إلخ.. حتى التجميع لم يبت فيه.. أما عن التحليل فحدث ولا حرج..

حتى التأريخ.. تاريخ هذا الشعب لم يكتب ولا يبدو أن هناك من يريد أن يكتبه.. فلازلنا ومنذ أكثر من خمسين سنة نعيد ونكرر مقالته (نيكيتين) عن هذا الشعب.. أما الدراسات الأركيولوجية عن كردستان، فأني أجزم ليست هناك أية دراسة من هذا النوع عن كردستان..

وبالنسبة، الآن في أوروبا.. في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا بشكل خاص.. الجامعات تمنح الأولوية للدراسة (بالنسبة للطلبة المتفوقين لديها) للشرق الأوسط.. والقضية الكردية من ضمن هذه القضايا وفي المرتبة الثانية تأتي قضايا وموضوعات أوروبا الشرقية.. والعالم أجمع هو القضية التي تأتي في المرتبة الثالثة.. والقصد هو أن العالم مهتم إلى هذه الدرجة بنظرتنا وقضايانا ونحن لازلنا دون مستوى المسؤولية التاريخية.

إذن فهذه صرخة للحكومة الكردية الإقليمية.. للوزارات المشكلة حديثاً للعمل في هذه المجالات الحيوية.. أو تشجيع من هم في الداخل.. داخل المنطقة المحررة من كردستان العراق، واستقبال وفود وبعثات أركيولوجية عالمية للبحث والتنقيب في هذه المناطق المحررة..

من يوميات الانتفاضة ...

### ظهيرية الثلج الحار في شقلاوة

رجاء أحمد الزنبوري

التاسع من آذار / ١٩٩٣

مالذي كان يميزهم أكثر من رجفة البرد التي امتصت حرارة أجسادهم الفضة، وحمرة خدود شققتهما سياط شتاء قارس وقوده الصبر ودفعه عمالك أحلام نؤمت الأمهات عليها صغارها في مهرد الخشب الجبلية الباردة.

انساق خفقات بشرية وجوقة حناجر طرية ترتبك بين رعشة الهتاف ودفء النشوة... تتسلق صبر شقلاوة الكردستاني الطويل. وقدة حماسها تضيء بعد عتمة ليل الكهرباء المقطوعة صبراً بعد صبر وانتظاراً بعد انتظار، على مدى زمن الديمقراطية الوليدة بلاوقود ولاكهرباء، في كردستان بهيئة منزوعة أغلال المستعبدین.

... إنها مسيرة أسراب عصافير المدارس في شقلاوة..

أو ليست هذه أيام الذكرى الثانية لانتفاضة مدينة موسيقى الحياة والأعنان.

شقلاوة التي هبت تقاتل بجراحها وشقائنها فلول الجيروت الجائتم على صدر عراق الخير...

شقلاوة التي من رحم كردستان المراق أوقدت زيت انتفاضتها المقدس... وعلى هواجس نواقيس كنائسها علق فقراؤها وشهداؤها تذوهم الراية..

شقلاوة التي من جذوة محبة أهلها تذوب درجة التجمد، وتزدهي بلاوقود في زمهرير شقاء أزهى في عتمة القدر تسطع رغم «انقطاع» الكهرباء...



سراق بهجة النور في عاصمة عنكبوت الموت القابعون خلف منجنيق مكائدهم يتوهمون..  
لماذا سراق بهجة النور في عاصمة أدمان الرعب يتوهمون دمامة حصارهم ومخالب ديناصورهم  
القيحية تطفئ.. كيريا.. بلدة صمودها عنوان صمود كردستان، وتحت مستوى التجمد تخرق في  
شرايينها حرارة العنقوان..

\* \* \*

### التاسع من آذار / ١٩٩١

ظهيرة التاسع من آذار تقترب..  
الثلج في شتاء شقلاوة شال تحيكة ألباب «ينيلوب» الدهرية..  
يدثر الثلج حس السر وتشيع الغياب والذكريات..  
.. الزمن، هذا المؤرق باليوم وبالسهاد والأحجيات، كجبل الجليد العائم يخفي مرسة الشوق  
وربانة المسعى والدهوة، كالميلاد.. وتر يصدح في تاريخ ربيع مجنون..  
.. قوس الغضب مشدود حتى أقصاه..  
ملأني الثلج يكلها التباس الأيام، على ناصية مقارز الوعد تتواثب موسيقى الأعوام.. يلهو  
الثلج ويمحو مرعى أسراب الحصرة.. يلهو الثلج ويمحو شوك الكبوة والتجريح... على هواء موسيقى  
الربيع يرسم الثلج النداء..  
يازهرة موسيقى الماء  
يا منجم الحرية والفرجس..  
التاسع من آذار يزحف نحو شقلاوة..  
فلتتغير أعياد الماء..  
ولتتمهل بدايات الأسماء  
فالجمر سيطلع آذار الجمر ...

\* \* \*

ربيع فاتحة البركان تكتسح غضب جنوب العراق..  
يخلع الوطن جلاجل العار..  
تاج زلزال الكرامة على عرش الكرامة ينتفض... فـ «الشعب مامات يرمأ  
وإنه لن يموتا ...»

\* \* \*

أسلاك البرق والهاتف.. جسور الفصل والوصل تأوي في خمودها الحيرة..  
مجسات الاتصال الشعبية تصحو من ذهول العار، وصدمة الهزيمة، تميد ترتيب ذاكرتها فيخمس  
الشعب بالدم..

## الثقافة الجديدة

بالجثث تتعثر الجثث، وعلى الوطن المسجى تبكي عزمة الوطن، على رصيف محطة الموت القادر  
تتصادم فلول الأهرال.

الوطن أنفال/ الوطن أنفال.

«التكريتي» يعلق نوط البلوى يقتسل بالدم، يتفياً الكارثة في صحراء الهزيمة.

وعلى رصيف محطة الموت ينزف العراق صيره..

لكن التبض سليم.

الشعب مامات يوماً.

... ..

\* \* \*

من ذبول الصدمة تصحو متاريس الوثبة، كل آذار وبقطة الشعب بخير، وعمت مجداً أيتها  
الانتفاضة..

متاريس الجبال البعيدة تردد أصداً هسيس النار المنبثقة من رماد براكين الجراح الجبلية..

الخامس من آذار ١٩٩١

(رأية) (١) تنهض من شقاتها.

وسط مشاعل الريح تخفق أجنحة الانتفاضة. فلوج هامات (سفين) (٢) تستقبل صبيحة التاسع

من آذار بانتباهة تواطؤ واستعداد.

طوفان «اللائدكروزات»، غابات البيارق الضوئية تحتاج شقلاوة قادمة من (رأية)

.. إنه التاسع من آذار

هللوا .. الانتفاضة جاءت

هللوا .. الشعب قام.

\* \* \*

ظهيرة ثلج حار ..

يكتب الثلج ويحرق كل أسفار الطفلة ..

هللوا .. الانتفاضة جاءت، فلول عبيد

لذة التعذيب تتداعى. تفر مفاصل قلاعها القمعية. مبنى الأمن والشرطة ومنظمة الحزب الحاكم

تشرع جرائنها على النهاية دون مقاومة.

البيشمرجة يتقدمون..

تاريخ المغدورين والمعلمين وليالي الخوف والاذلال تتقدم، تطارد فلول الهاريين.

في «منظومة الاستخبارات» في (سه رميدان) تحتمي أفاعي سلطة العبيد. خلف رشاشات

غادرة. يهتر الموت وحصاد آخر تضاريس الجرعة..

## الشهقة

يشهق أول شهيد ربيعي

يشهق جبل سفين، صخوره تكتظ بالأصدا.. دموعه تتعجر كالجليد، يتخضب الثلج الحار بدماء  
الفرجس والربيع. يتخضب بالشهقة أعشاش الوعد. يتخضب الكون بالدماء.

يشهق (محمود ملا سعيد) حين استلقت بين يديه قامة الشهيد المضبقة، ولده (زوار).. قامة  
شهيد آخر تضفي مشجب الهول والبسالة؛

«لذي ولدي سيف اللهب، أبها الانتفاضة، لا تهجري يعني ولا جسر الغضب، أبها القسمة  
الأبدية المباشرة الانتفاضة»

أعلى من كروم العنب واللوز والصخور، أعلى من هامة الجبل والتاريخ تتألف أبدية النوارس:  
زوار محمود ملا سعيد/ مام هجار/ وكل شهنا الانتفاضة.

\* \* \*

أحداث ظهيرة الثلج الحار في شقلاوة تتلاحق وتهدر..

الرابعة والنصف عصر الثلج الحار ذاته، تفرق في صمت العار والنهاية آخر رشاشات الموت  
الحمياء في «منظومة الاستخبارات». البرابرة كتبوا في أوكار عارهم أسماء جرائمهم وصور  
ضحاياهم وملفات همجية القادمين من رمل التاريخ الأسود والصحراء.

نوارس الحرية تدق نواقيسها في سما الانتفاضة، ييشمرگه (رابنة وشقلاوة ناس الكرامة  
والحرية والأجذاب المؤتلفة، تزحف الجموع نحو (كوري) في الطريق إلى (صلاح الدين).

في الحادي عشر من آذار ستفجر الانتفاضة في أربيل. في (راوندوز) في (كوي) في  
السليمانية في دهوك، سعتل كردستان بهروق الحرية، لكن الدكتاتورية ستناور مؤقتاً هنا  
وهناك.. لاستعادة مواقعها. لكن الدكتاتورية ستفلق مؤقتاً هنا وهناك.. إلا في شقلاوة.. ففي  
التاسع من آذار انزاح العار دوفا رجعة.. وستظهر كردستان لاحقاً وستحقق على ذرى الجبال ببارق  
الديمقراطية ثم الفدرالية والمجد للانتفاضة.

\* \* \*

إنها الذكرى الثانية لمجد الانتصار الدامي. أسراب عصافير المدارس المرتعشة في ندوة برد  
الربيع، تتسلق الشارع الصاعد من سوق البئنة القديم إلى (عين ترمه) ثم إلى حيث المصير.

الشهداء زوار محمود ملا سعيد ومام هجار.. شهنا كردستان والمستقبل يوسعون دروب الحياة  
أمام الصغار..

تنشد جوقه المستقبل وتقرع الانتفاضة أجراس الذكرى..

لجت هواء الحرية بسير سرب المستقبل.. جيوب سراويلهم المزقة لاجمي أصابع أكفهم المزقة  
في البرد والرطوبة، لكن الأمهات تزغرد والعصافير تنشد وكوايس فلول الظلام تفر هاربة إلى

الأبد... فيما يعلو إنشاد إنشاد الحرية:

تحيا حكومة كردستان

لأعودة للدكتاتور والدكتاتورية

ديمقراطية وفدرالية

والمجد للانتفاضة

\* \* \*

شعلا

(١) مدينة كردية انتفضت في الخامس من آذار ١٩٩١

(٢) سلين: جبل يطل على شقلاوة من جهة الغرب.

فاخدا السويدي



أغنية  
الصف

دار البصرة للكتاب  
بغداد

مطبعة

هاشم العراقي

ماتيسر  
من موضوعات



مطبعة

### رسالة إلى المثقفين العرب

السيدات والسادة الأعزاء في الهيئة العامة للكتاب بمناسبة اللقاء العربي في القاهرة:  
نضع أمامكم، وأنتم تمدون ميثاقاً للدفاع عن حرية المثقف والثقافة العربية، حصيلة ذاكرة  
جمعية لمعد من المثقفين العراقيين.. فقد أردنا من منفانا الصعب أن نجتمع قتلانا ومفقودينا  
ومساجيتنا: أكثر من خمسين كاتباً وفناناً أعدموا واغتيلوا أو ماتوا تحت التعذيب. حوالي  
الأربعمئة اعتقلوا وعذبوا بالطرق المعروفة التي تتراوح بين التعليق والكبح الكهربائي والاغتصاب  
بمعناه الفعلي للمجازي. وأكثر من خمسمئة أجبروا على ترك قرائهم ومسارحهم وبيوتهم في الوطن،  
إلى منفى لم يكن بمنحى من «ذراع المراق الطويلة» التي اغتالت الأصوات المعارضة بالثاليوم أو  
بكاتم الصوت.. كل هذا خلال فترة حكم العقائقة الممتدة من حكم الحزب الواحد إلى حكم الفرد  
الواحد، وما بين حريين على الخارج (حرب إيران وحرب الخليج الثانية) وحرب داخلية تغذيها وتستمد  
منها المشروعية.

نضع أمامكم وقائع المجزرة الثقافية في البلد الذي شهد ميلاد الألف باء الأولى للثقافة  
الانسانية وأول شريعة قانونية، وأول قصائد حب وأول المحاولات الانسانية للوصول إلى الخلود، وفي  
عمر ثقافتنا العربية الحديثة، فهو الذي شهد ميلاد الشعر العربي الحديث..

ولانريد أن نطيل عليكم الحديث حول ما حصل لثقافتنا العراقية اليوم، إننا ندعوكم لأن تأخذوا  
أية جريمة عراقية، لا على التعيين، لتجدوا إن ذاك التنوع الثقافي المتعدد القوميات والأصوات قد

أصبح في ظل ثقافة العقائقة مكرساً للقائد الواحد «حروبه التي تلد أخرى».

وقد طرحنا «محنة الثقافة في العراق» في أكثر من مناسبة سابقة وكنا دائماً نصلطد بنفس الجدار المسدود، لأن النظام المتهم بمذبحة الثقافة هذه، يسيطر بقوة المال والنقوذ السلطوي على رئاسة معظم الاتحادات الثقافية العربية (الأدباء، الصحفيين، الفنانين التشكيليين، السينمائيين، التسجيليين، المصورين الفوتوغرافيين، المؤرخين) أو له عصاة الأسد فيها.

ورغم إن «حرية المثقف» كانت مطروحة على أكثر من لقاء ثقافي رسمي، أو شعبي عربي وأحياناً كانت العنوان الرئيس لهذه اللقاءات، إلا أن بحث هذه القضية كان دائماً يتمشى عند الانتقال من العموميات النظرية إلى التشخيص الملموس لهذه القضية، لأن محلي الأنظمة في مثل هذه اللقاءات يعملون المستحيل، بالانتميم مرة، وبالصراخ الدفاعي ثانية، لمعارضة أي تحديد خشية أن يسري ذلك على بقية الأنظمة المرشوعة على لائحة الاتهام بانتهاك حرية المثقف والثقافة.. ولذلك يجري القفز على الملموس وتبرئة النفس بإشارات ختامية عمومية رتيبة تتحدث عن معاناة عموم المثقفين العرب والدعوة للدفاع عنها، دون تشخيص المذلل والمذلل عنه.

ويؤسفنا أن نقول بأن هذه الطريقة الهارية العاتمة في تناول الموضوع أصبحت تماماً في الأنظمة الأكثر قمعاً. والمثال الفاضح هو أن الصبي القاتل عدي صدام حسين الذي يترأس الآن معظم المؤسسات الثقافية العراقية (اتحاد الأدباء، نقابة الصحفيين، تحرير جريدة بابل ومجلة الرافدين، والبعث الرياضي) يترأس أيضاً رابطة الدفاع عن حقوق المثقف العربي، بين أعضائها مثقفون عرب بارزون، تستغربون كيف قبلوا هذه النكتة السوداء كهمة!

ونحن نطرح قضيتنا هذه توصلنا، ومعنا مثقفون عرب، إلى استنتاج مرّ، وهو أن هذه الهيئات التي ناشدناها، أصبحت بعد ذاتها حاجزاً إضافياً يعمم قمع المثقف من قطريته إلى إطاره القومي لأنها الحصيلة (الثقافية) للتوازن السياسي بين الأنظمة أو حصيلة توازن الخوف ما بينتها.

وقد ازدادت قضيتنا تعقلاً ومرارة بعد حرب الخليج الثانية، لأن مثقفين متنورين نعمل عليهم، فقدروا بصيرتهم في حماة الصراخ، ونسوا حكمة (هـ حزيان) التي علمتنا أن نقيس أية مواجهة مع الامبريالية أو مع إسرائيل بمدى احترام المواجهة لعقل وإرادة الناس الذين نريد بهم أن نخوض هذه المواجهة.

وكان المثقف والانسان العراقي هو الضحية المزدوجة: فهو القتل والحاسر في حرب لم يخترها ولم يردها، وقد ضاعت صرخته بالمطالبة بالديمقراطية بين الهتافات وطبول الحرب، وهو الضحية الأولى للحصار الاقتصادي المفروض على بلادنا، وتنقل لنا أخبار الوطن صوراً مؤلمة عن مثقفين عراقيين خرجوا ليبيعوا كتبهم في الأسواق، أو يتوسلون بحثاً عن أية فرصة عمل في الأردن لتوفير الحد الأدنى من الطعام لهم وللعائلة في بلد جائع أصبحت الثقافة فيه سلعة ترف.

نضع أمامكم هذه القضية المحددة لأن هذا الجسد هو جسدنا، ولأن هذه الثقافة المروجة هي

صرخة روحاً. ومن هذه القضية المحددة الملموسة نشعر أن قضية الدفاع عن المثقف العربي تقدمت خطوة نحو الجدار المحظور.. وكلما خرجنا من التعميم إلى التحديد، وأيضاً كلما أجمع وسط من المثقفين العرب في الدفاع عن بعضهم، تحول مشروعا من الجزع الشخصي المنفرد إلى نوع من الفعل الجماعي الضاغط، ونحن على يقين، بأنه سيوضع في الحساب في مواجهة الظلمة وقمع الأنظمة، من أجل يوم نقول فيه كلمتنا دون أن نلثفت إلى الخلف أو نتمشع خوفاً من الرقيب الذي حولنا ولينا.

أيها السيدات والسادة:

نحن نحمل جهودكم خلال مؤتمر «مستقبل الثقافة العربية في عالم متغير» لارساء دور الثقافة في عالمنا العربي. ونحن نعتقد، مثلكم، أن شرط المعاصرة مرهون بفاعلية الثقافة في حياة الأمة. ولكن لدينا ملاحظات، وبالأصح تحفظات، نتمنى أن تتسع صدوركم لها، علي الصياغة التي خرجتم بها لـ «مشروع ميثاق المثقفين العرب».

وتنصب تحفظاتنا على العناصر المكونة للمشروع وهي أهدافه وجسمه وقيادته:

أولاً - يحدد المشروع ستة «أهداف» رئيسية هي:

(١) الديمقراطية.

(٢) التفوق التكنولوجي.

(٣) شروط صحية لنمو الإبداع العربي وتطوره.

(٤) التصدي للارهاب (الأصولي خاصة).

(٥) بناء مفاهيم التكامل الاجتماعي والاقتصادي العربي.

(٦) مشاركة الأمة العربية في صياغة شكل العلاقات الدولية الجديدة.

وفيما يلي ملاحظاتنا على هذه الأهداف:

١ - إنها ليست محددة على مقياس المثقفين حصراً وبالضبط. فتحقيقها لا يرتفع بمشيتهم خاصة ولا هو في طاعتهم، لأنه مسؤولية عامة مشتركة لكل فئات المجتمع، ومسؤولية خاصة للجهات والمؤسسات النافذة فيه (والمثقفون ليسوا بينها في عالمنا العربي).

٢ - إن «الأهداف» عامة بحيث يمكن أن تصدر بصيغتها هذه عن مؤتمر يعقد في ظل أعنى دكتاتوريات العالم العربي أو «أرحم» أنظمتها. ومن المعروف أن النظام العربي بكل تلاوته يستوعب النقد مهما كان شديداً طالما كان النقد عاماً يتجنب التحديد. أكثر من ذلك فإنه أصبح أيضاً منتجاً لمثل هذا النقد.

بيانات مؤتمرات اتحاد الأدباء العرب، مثلاً، تحفل كل عام بالدعوات الحارة للحرية. لكن هذه المؤسسة لم تستطع مرة الإشارة إلى قتل رئيسها الشاعر شفيق الكعالي لأن علاقات النظام العراقي كانت قبل غزو الكويت «طيبة» مع الجميع.

٣ - تنطوي صياغة المشروع على افتراض وجود استقلالية نسبية يتمتع بها المثقف العربي عامة، وخلافاً لذلك فإننا نشكو غالباً من انعدام هذه الاستقلالية. والصياغة تحمل تبرة المثقف العربي من التورط بالمشاركة في آلة القمع. إن الذين ينهضون بمؤسسات الثقافة والاعلام الرسمية العربية هم مثقفون أيضاً وتحملون المسؤولية بمقدار مسؤولية الأنظمة التي يعملون في كنفها عن مثل هذا القمع. إن وضع المثقفين المناضلين من أجل الحرية في سلة واحدة مع نظرائهم من مسوقي بضاعة الدكتاتوريات هو يمثل مساواة الضحية بالجلاد. فالتفريق واجب والادانة لازمة.

٤ - وأخيراً فإن أهداف «مشروع ميثاق المثقفين العرب» ليست بالأحرى أهدافاً وإنما هي رؤيا ترسم كيفية عامة لنهضة الأمة العربية، بل وفي الواقع كل أمة تعيش في هذا العصر وهي خارجة عن ميدان الفاعلية فيه.

أخرى بنا نحن المثقفين أن نحدد معنى الهدف بوصفه غاية إلى الترجمة في عمل ملموس. ونحن كمثقفين عراقيين نعتبر إنقاذ بلدنا من الطغيان أولوية مطلقة لاشيء لدينا قبل خدمة هذه المهمة وكل شيء يمكن أن يأتي بعد إنجازها لخدمة الثقافة والانسان.

من أين لحدوث «التفوق التكنولوجي» أن يكتسب الجديدة وسط غابة طغيان؟ وكيف يحلم المضطهد في فكره ومعدوم الأمان على حياته ببناء التكامل العربي؟ ومن أين يتأتى لأمة وُضِعت اليد على ثرواتها أن تلعب دوراً في صياغة شكل العلاقات الدولية؟

نعتقد أنه مهما تفاوتت درجات الطغيان فإن موضوع الديمقراطية في الحياة الثقافية والعامة يجعل المنزلت نفسها من الأولوية في العالم العربي. وإذا ما آمنا بأن الحرية هي شرط كل إبداع فيلزمنا التسليم بأن نطاق مهمتنا العامة هو هذا، وإن أهدافنا ينبغي أن تفصل على قياسها، وتكون، بنفس الوقت، عملية قابلة للتطبيق.

إن إقتراحنا فيما يتعلق بأهداف «ميثاق المثقفين العرب» هو إعتبار الالتزام بالديمقراطية أولوية تتصدر النضال الفكري للمثقف العربي، وأن تُحدد للتعبير عن هذا الالتزام شروط معينة تمنع الخلط واللبس، منها:

(١) تبني الأعمال الفكرية والإبداعية التي تعري أصناف القمع والارهاب في هذا البلد العربي أو ذاك من خلال تهئية فرص نشرها وترويجها.

(٢) العمل على إيجاد وسائل لنشر النتاجات المرفوضة أو المعاقة لأسباب تتعلق بالارهاب الفكري.

(٣) تقديم حصيلة موثقة في كل إجتماع أو دورة عن وقائع ملموسة لاضطهاد الثقافة أو المثقفين في البلدان العربية، مثل منع كتاب أو حظر توزيع مطبوع أو إعتقال مثقف إلخ. ثم طبع هذه الحصيلة ونشرها على الرأي العام العربي والدولي، كما تفعل منظمات حقوق الانسان مع ضحايا الرأي أو الضمير.



٤) تشريع النقد البناء البعيد عن الاستهتار في مجالات حياتنا كافة، وخصوصاً بالنسبة لـ «الثالث القومي المحرم»: الدين والسياسة والجنس، معتبرين أن «العقيدة» رأي يُحترم لا يُفرض، وأن هذا الرأي قابل لقائمة الحياة بمقدار ما يقبل النقد.

٥) إن «ميثاق المثقفين العرب» هو مشروع يلزمه وسيط من أعضاء لتنفيذ أهدافه. وإن على هذا الوسيط أن يكون من جنس أهدافه: فلا يكون فيه من كان نتاجه أو عمله أو اصطفاؤه يصب في اتجاه إعاقة الديمقراطية. إن وجود عضو في هذا الوسط يعبر عن جهة رسمية هي دكتاتورية أو غير رسمية ارهابية بتعارض مع مشروع الميثاق بل وينسف مصداقيته من الأساس.

٦) إن العنصر الرئيسي في إنجاح مشروع الميثاق يعوقه على نوع الهيئة التي من المفترض أن تتولى متابعة أهدافه ومراقبة مدى إلزام المثقفين المهنيين بها.

الرائع إن ما يعطي المشروع برمته المصداقية مرتبط بهذه النقطة الحساسة جداً؛ فالخطوة الحاسمة التي تجعل الميثاق قابلاً للفائدة وذا جدوى تبدأ من انتخاب هيئة تقوده مثقلة بمفكرين ومبدعين ثقة عرفوا باستقلالهم ولم يلتبسوا بشبهات تلقى الطفيان أو مهادنة التعصب من أي اتجاه، ختاماً تقبلوا اعتزازنا وأمنياتنا لجهودكم الحيرة بالنجاح.

رابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين

آذار ١٩٩٣

رسالة دكتوراً

### في العلاقات البريطانية العراقية

مؤخراً نال شهادة الدكتوراً طالب الدراسات العليا بموسكو، على عودة، بعد أن دافع عن رسالته المعنونة «العلاقات البريطانية العراقية بين ١٩١٤ - ١٩٣٢». وقد تناولت هذه العلاقات والأوضاع في العراق خلال فترة الاحتلال المباشر، وخلال فترة الانتداب وحصول العراق على الاستقلال الشكلي. واختتمت الرسالة بالاستنتاجات.

أشرف على الرسالة الأستاذ ب. سيرتيان ويرى الدفاع في معهد الاستشراق التابع للأكاديمية العلوم الروسية.

### المدى

صدر العدد الأول من مجلة المدى، وهي فصلية ثقافية حرة، تعنى بالإبداع وما يتصل به. يضم مجلس تحريرها: أدونيس، إلياس خوري، حنا مينة، شبركو بي كه س، صنع الله إبراهيم، الطاهر وطار، قاسم حنّاد، عيد اللطيف اللهمي، محمد بنيس، هادي العلوي، يئني العيد. ويتولى رئاسة التحرير: الشاعر سعدي يوسف.

تبدأ المجلة بصفحتي فوتوغراف لمحمود ذياب، تليها افتتاحية مركزة حول معنى صدور المجلة. المقال الأول كتبه محمد دكروب، محاولة في السيرة، تتناول تحولات يوسف ادريس الإبداعية، متشابكة مع حياة غير عادية لقنان كبير.

باب «جنود» يضم دراسات ثلاث. يكتب برعلي ياسن عن «ريادة بندلي جزوي في فهم التاريخ العربي الاسلامي»، ويكشف هادي العلوي عن صفحات غامضة «من تاريخ العلاقة بين الحضارتين الصينية والاسلامية»، أما هيثم الجنابي فيقدم بحثاً عن «روح الأدب، أدب الحقيقة» لدى المتصوفة المسلمين.

يقعّص علي الشوك باب «مدن»، في الحديث، عبر مدخل شخصي عن مدينة بغداد والطريق الطويل إلى متسلك الجهنمية.

مقابلة «المدى» حوار مطول مع أدونيس أجراه إبراهيم الحريري، وبالإمكان اعتبار هذا الحوار كشفاً وإضافة لجوانب عديدة من حياة أدونيس وإبداعه وآرائه.

خمسـة عشر شاعراً حضروا في العدد، ليشكلوا ديواناً حقيقياً تتجاوز فيه الأشكال والتجارب والأماكن. الشعراء هم: سعد الدوسري، عصام ترشعاني، شيركو بي كه س، محمد سعيد الصكار، محمد طالب محمد، مهدي محمد علي، شاكر لعبيبي، فاضل السلطاني، جمال مصطفى، عبد الكريم كاسد، هاشم شفيق، فوزي كريم، حنيد العقابي، كاظم جهاد، جمال جمعة.

وفي المجلس خمسـس قصص لكل من: ابراهيم صموئيل، عبد العزيز مشري، ابراهيم أحمد، شاكر الأنباري، قيس العطار.

في المسرح، يتحدث المخرج جواد الأسدي عن تجربته في تقديم «رأس الملوك جابر» بالاسبانية، في مدينة فالنسيا، حيث الأبروفة هي المدخل الصعب إلى مثل ومشاهد مختلفين.

د. جواد بشارة، يتناول «شخصية الهامشي في السينما الغربية» عبر رحلة طويلة، سوسولوجية المتحني، تشكل جهداً ملحوظاً في متابعة السينما بالموسم.

في الفن التشكيلي، ثمة دراسة لزينات بيطار عن آتجي أفلاطون ومسرتها من السريالية إلى الحصرية، مع لوحات بالألوان للفنانة المصرية الكبيرة.

كما تظهر في المجلة مجموعة تخطيطات بالأسود والأبيض لنعمان هادي عن «العنوان».

من أبواب المجلة الفنية، باب الكتب.

وكذلك «الرسائل الثقافية».

والمدى في خطواتها الأولى، تؤشر، بوضوح، إلى خطواتها التالية.

سعدى يوسف قدم العدد بالكلمة التالية:

### الخطوة والمعنى

ضئيل، ومحدود، معنى صدور مجلة ثقافية جديدة، إن لم تكن بحث، هي، نفسها، عن معنى، المغزى، ليس في الصدور ذاته، وإفقا في ما يصدر عنه الصدور.

المجلة الثقافية، يمكن فهمها، إذاً، باعتبارها بؤرة، أو فكرة، أو حركة، بل ربما كانت المجلة، كما حدث هنا، أو في أوروبا، وأميركا، بؤرة وفكرة وحركة، في آن.

قد ترى مجلة، تبريرها، في أنها تعبر عن اتجاه في الفن التشكيلي، مثلاً، وقد ترى مجلة أخرى، هذا التبرير، في أنها متخصصة بحقل من حقول البحث الكمبيوترى، إلا أن هاتين المجلتين تظلان في دائرة المعنى، معنى الصدور.

وتمت الضرورة التي تطالب، وتقلي أحياناً. وهي ضرورة عجيبة، إذ الاستجابة لها، دخول في الحرية، ومسعى إلى التغيير، وخروج على السائد.

حجر في سكون الماء؟

لا، فالماء ليس ساكناً، إن لم يكن في غليانه الكامن.

والحجر، وحده، لا يكتفي.

الاستمرار، هو الذي يضمن للموجبات، بهجة الحركة الدائبة، هذه التي تتقد القليان من أن يظل كامناً، حسب.

علينا، أن نوسع الدوائر، لتبلغ ضفافاً كانت ترتد عنها منكفئة، خائرة، فاقدة قوة الدفع. وعلينا، أن نقرأ من حولنا، لنعرف ماذا هم قارئون. وعلينا أن ننقري التقييمات التي تفعل فعلها في بنية الثقافة، نتاجاً، ومنتجين، ومستقبلين. المسرح، والسينما، والتلفزيون، والفوتوغراف، والرسم، والأغنية، على سبيل المثال، غدت فنوناً شائعة، يمارسها، ويهتم بها، عدد متزايد من الناس، حرقة وعلاقة ... ألا يستدعي هذا، الخروج من دائرة تقليدية للتصنيف الثقافي؟ إننا نواجه أسئلة كبرى، تبدو أحياناً، فرق قدرتنا على الاجابة. مثلاً: كيف نستعيد استقلالنا، استقلال المبادرة والدور والتطور؟

وماذا يعني الاستقلال، ثقافياً في الآن، الآن؟

والعلاقة بالغرب عموماً ...

ألا تستدعي مراجعة جادة؟

لقد كنا أهل اليمين وأهل اليسار في علاقة فعل الاستجابة الشرطي، مناهضة أو عمالة ... ألا يتعين علينا تفادي هذا الكمين المستمر، منذ هبط ناهليرون على أرض مصر، مسبقاً بمدافعه، ومتبعاً بعلمانه؟

وديمقراطيته التي تنتهي عند حدود البرابرة، حدودنا، ألا يمكننا أن نحاول، ازاحها، مايليق بنا، بشراً، أحراراً، بناء حضارات ورسالات؟

ألا يمكن أن نبدأ بديمقراطية الثقافة، التي تشكل الوعي، والهوية الفردية؟ وخطوات الكائن البشري في الكون؟

إن ديمقراطية الثقافة، تعني، ضمناً، الحرية والتنوع والتحديث، تعني شرط استقبال المجهول، غير المتوقع، غير المألوف، الذي سيكون، يوماً ما معروفاً، متوقفاً، مألوفاً.

أين «الدي» من هذا كله؟

المشروع الحر الذي تنهض به المجلة، يتسم بحساسية عالية، مرهقة، تجاه مبادئ أوميء إليها، أيما، في ماسبق من سطور، لكنها تشكل العصب الحي، والمؤثر، والاقتوم، في كل ماتمسح اليه، وتعمل من أجله.

### القافلة

صدر عن وزارة الثقافة لاقليم كردستان - العراق العدد الأول من مجلتها (القافلة). تتألف هيئة التحرير من الشاعر الكبير شيركو بيكه س رئيساً، والأستاذ أحمد سالار نائباً للرئيس، والأستاذ جلال زنگاهادي سكرتيراً، والأستاذ زبير اسماعيل محرراً.

جاء في كلمة هيئة التحرير:

تطمح القافلة إلى تعريف وتقديم ماهو هام، في كل ميادين الثقافة الكردستانية، وذي صلة بها (ترجمة أو تأليفاً) بقصد فتح حوار جاد بين ثقافتني الشعبين الشقيقين (الكردستاني والعربي)، لتحسين أو اصر التفاهم وترسيخ التعاخي وتعزيزه، على طريق المصير المشترك، وذلك من أجل المستقبل المؤنسن المنشود...

وقد استهل الأستاذ جلال زنگاهادي العدد بالكلمة التالية:

#### القافلة تسمير

رغم العديد من المحاصرات الفاشمة، التي تتخلق كردستاننا المحررة وفي وضع (البشري)، مزر وعصيب - تستثنى منه الحرية، - هاهو العدد الأول، من مجلتنا الوليدة، يصادف القراء الكرام...

لاريب أن «القافلة» ليست هي المجلة الأولى، التي تصدر بلغة (الضاد) المريقة، بهذا الحجم والتزوع؛ فقد سبقتها في هذا المضمار شقيقات أخريات، هنا وهناك، سيما في المنافي - لكن بأعداد قليلة... وستلحقها حتماً أخريات... أما (القافلة) فتصبر إلى المسيرة المتواصلة، وتغطية كل

الجوانب الإبداعية والمعرفية، في الثقافة الكردستانية، أي دون الاكتصار على جوانب أو مجالات محدودة.. كما أنها ترحب بكل المساهمات الجادة، من لدن آخرتنا: العرب، التركمان، الكلان والأثوريين...

إن (القافلة) وقد إنطلقت لاحقة بركب مطبوعات ما بعد الانتفاضة الشعبية العظمى لتواكب التغييرات التاريخية المصيرية؛ لتبرهن مع سواها، على حقيقة ساطعة، طالما حاربها، شوهها أو تجاهلها محتلو كردستان، ألا وهي أن شعبنا حي أبداً، عاشق للحرية، ومكافح مستميت، طوال تاريخه؛ للذود عن: كيانه الحضاري العريق، سيادته الثقافية، وهويته القومية الأصيلة، رغم شتى صنوف الغزو والقمع سياسياً وثقافياً... وهاهو يجاهد؛ ليحطم كل جدران (الغيتو) الجائر، المفروض عليه عنوة؛ حتى يشهد العالم وجهه الناصع الأصيل، ويسمع صوته الجمهوري الهاتف للحق والحرية والابداع والتآخي...

ولئن ولدت (القافلة) في هذا المنعطف التاريخي المصيري، الذي أتاح الفرص الذهبية، لتحقيق العديد من أحلامنا وطموحاتنا الثقافية المحظورة والمقموعة، في ظل القرامين والممارسات الدكتاتورية العنصرية سابقاً؛ فإن لسان حالها يلهم:

( - صيروني واثقة

للحرية الملتزمة،

للمديمقراطية السحراء

للإبداع المؤصل

وللتآخي المنشود من قبل، ومن بعد ...

كي أكون (القافلة) المبتغاة بحق وحقيقة...؛ فلا سمحتم معي مايقوله الشاعر العظيم (أوكثافيريات)؛ الحرية بلا إخاء جمود، والديمقراطية بلا حرية إستبداد!)

لاضهر إن إبتهجنا بهذا العدد (المعارض)، لكننا ومن منطلق تطلعننا المشروع إلى مستقبل أفضل، بل وأمثل للقافلة حجماً، مضموناً وفناً؛ نعتبره دون مستوى الطموح بكثير؛ مادامنا قد بدأنا من الصفر، ولاتبالغ إن قلنا بأن مجلتنا تقتقر حتى إلى أبسط وأدنى الضروريات والمقومات؛ مكتب بسيط ناهيك عن المزيد من المسببات الموضوعية، التي يعلمر علينا حتى تتاولها الآن، وفي مقدمتها التكاليف الباهظة، بل وشبه الأسطورية للطباعة، ومايرافقها من المنفصات الأثف..

ومع كل ذلك، عهداً وبقيناً ستكافح (القافلة) وبمؤازرة المخلصين والغياري من المسؤولين والمعنيين والكتاب والمترجمين من أجل ما هو أفضل في أعدادها المقبلة، بما في ذلك؛ تقديم ما في الوسع من المحاور والمقالات المنسقة، في مجمل ميادين الثقافة الكردستانية؛ الشعر، النصة، اللغة، النقد...، الموسيقى، التاريخ والفنون التشكيلية، الجغرافية السياسية، المرأة، الفولكلور والبيئة... إلخ..

فكلها ثقة وأمل في أن يهب كتابنا ومترجمونا الجادون إلى رفدها بمساهماتهم القيمة، من الآن فصاعداً؛ مادام بهمهم تعزيز مصداقية خطابها المشروع، لعلها تقي عهدها برد ما يتيسر لها من دين ثقيل وصديد غمرتنا به أرض كردستان المعطاء، أجل إن (القافلة) ستستمر، وهي تستضيء بمشاعل، زيتها الدم الزكية لقوافل من الشهداء الأبرار، على مر التاريخ، كما أنها لا تني تستذكر الجسام من تضحيات شعبنا المتهور، الذي ما إنفك يناضل من أجل حقه المشروع في تقرير مصيره بنفسه، ثم صياغة مستقبله، الذي يستحقه، شأنه شأن سواه من شعوب المعمورة.

وهكذا تدعركم (القافلة) إلى الاتخراط - إن كنتم من الكتاب والمترجمين... وإلى مساندتها مادياً ومعنوياً - إن كنتم من المسؤولين والعلمانيين أو القراء... وحيداً لو توحدت الحالان؛ عسى أن نحقق مجتمعين بعض مانتوخاه، والله من وراء القصد.

هذا وقد ضم العدد المواد التالية:

- الديمقراطية بين خطاب السلطة وغياب القانون، آزاد صبحي. \* كردستان والكرد حتى (١٩١٤)، زبير بلال إسماعيل. \* مذكرة الجنرال (شريف باشا) إلى مؤتمر فرساي، ترجمة د. نوري طالباني.
- مسكوكات الدولة الدستورية، عبد الرقيب يوسف. \* اللغة الكردية الموحدة، جمال زه نكنه.
- مدخل إلى ملامح التشابه في القضايا الفولكلورية، كمال غمبار. \* كردستان تحت يدي (سعد يوسف)، جلال زنگاهادي. \* بقع التوستالوجيا في مدينتي الرزية عند (نالي)، كريم ده شتي. \* شعر المقاومة والشاعر الوطني علي فتاح دزه يي، كريم شاره زاء. \* حكاية شعرية، سعيد يحيى الخطاط.
- قصائد تحشق الحرية، ترجمة: حسن سليقاني. \* كردستان و(أدونيس)، هوار كاكاني. \* الخوف: قصة قصيرة، شيرزاد حسن. \* ودخلت (به سنا) بلاط السلطان، قصة قصيرة، نجاه رفیق حلمي.
- تالا، قصة قصيرة، مندلاوي. \* (بيان نقدي) عبد الله البرزنجي، حميد ريبوار. محمد أمين أحمد. \* قراءة في مسرحيات بهديتانية، حمه كريم هورامي. \* هوار مكرياني، المترجم والمعجمي، آزاد حمه شريف. \* الكرافة، مؤاظة الدم عند اليزيديين، زيدو باعدري. ترجمة: نوزت الدهوكي.
- أهم الاتجاهات الحديثة في الموسيقى، امانج غازي رواندزي. \* ما يضيّق التفاعل الحضاري بين اربيل وقلمعتها، كوهدار قحجي. \* موسى عنتر رمز التحدي والنضال، نور الدين بورتاني. \* اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ناصر يوسف. \* فن الكاريكاتور والديمقراطية، محمد صالح ي. \* إعانة. \* (مواقف) إزاء القضية الكردية. إعداد: خ الجبوري.

### توق لسيادة الوجدان التنظيف

#### عبد اللطيف السعدي

ليس سهلاً أن يجمع كاتب بين سيرة حياته وما يتطلبه أدب السيرة من شروط، وبين أن يسجل بأمانة وموضوعية مراحل هامة من حياة شعب، عاشها أو كان شاهداً على بعض قصورها. فالغوص في تفاصيل قد يفرضها السرد للسيرة يكاد يبدو - للوهلة الأولى - متعارضاً مع الدقة والتركيز على أحداث هامة، أرخت ماضي الوطن، وتفسر اليوم حاضره وأفق مستقبله.

في هذه اللجة وقع الصحفي المريق، والمناضل العقدي الديمقراطي د. فائق بطي في كتابه الأخير «الوجدان»، الذي صدر مؤخراً جزؤه الأول، وقد تلمست هذا بشكل واضح عند قراءتي المتعمنة له.

وزاد الكاتب من مصاعبه أنه تلمس بعض سمات الأسلوب الروائي مستخدماً الحوارات والاسترجاعات. وكان واضحاً أنه بهذا، وباستخدامه صيغة الغائب في إيراد قصة حياته، إنما أراد أن يحقق معادلة التوازن بين الذات والموضوع، بين حديثه عن حياته وحياة عائلته بدءاً من والده، وبين الأمانة في نقل أحداث التاريخ القريب. وتقديري أنه نجح إلى حد كبير في ذلك. ولكنه بنفس الوقت لم يخرج سالماً من محاولة المزاوجة بين السرد التقريري، الذي تفرضه حكاية السيرة، وبين لوج اللون الأدبي في الكتابة التي يتطلب، أول ما يتطلب، تكتيفاً في اللغة وارتقاءً بمستوى الجملة المعبرة. فهدت لدى الكاتب بعض هنات لم تقلل من قيمة الكتاب.

بين طفولته، أوائل الأربعينات، حين فوجئ، برود الفعل على حيازته لصورة هتلر بهرأة، واضطراره إلى التغرب مجدداً عام ١٩٧٧ بعد أن تجاوز الأربعين، أورد فائق بطي أحداثاً ومراحل هامة في تاريخ العراق المعاصر، ومن موقع المشارك والفاعل فيها بهذا القدر أو ذاك.

حاول كتاب «الوجدان» أن يس ووجدان القارئ بتذكيره بأحداث عبر خلفيات لا يعرف الكثيرون تفاصيلها، تفاصيل ارتبطت بحياة الكاتب ولكنها تفسر وتكمل أبعاداً وصوراً لما حدث: حديث الزعيم محي عبد الحميد عن بدايات تشكل حركة الضباط الأحرار (تفصيل سبب اختيار عبد الكريم قاسم لقيادتها)، جرائب تفصيلية ولكنها هامة سبقت انقلاب شباط الأسود وأعقبت المجازر الدموية



ضد الشيوعيين والديمقراطيين، أحداث سبقت ورافقت الانشقاق داخل الحزب عام ١٩٦٧ قد تفسر الكثير مما صار حتى الآن، مخاضات ما قبل وما بعد العام ١٩٦٨ والانتقال الجديد، تجربة «التحالف» ومارافقها من ممارسات وأخطاء من قبل الحزب والحركة الوطنية عموماً ... إلخ.

كاتب «الوجدان» الأستاذ فائق بطي لم يخف، عبر كل أسطر كتابه وقصر له الحمسة، علاقته بالفكر الشيوعي والحزب الشيوعي العراقي، على العكس إنه جاهر بمواقفه وناقداً ومعاتباً وبأحداث ملموسة، ولكنه لم يبتعد عن الوجدان في بحثه عن الموضوعية والدقة في إيراد الأحداث وتحليلها وتحديد مراقفه منها، وهذا جانب أضاف لإيجابيات الكتاب حسنة، ووضعه في صف الجهود القليلة لدراسة تاريخنا المعاصر بعين أمينة بلا تحامل أو تجاهل أو تجهيل.

أخيراً، كتاب «الوجدان» الذي صدر بالقطع المتوسط وفي (٢٤٦) صفحة لم يخل من هنات، قطعاً، أشرت لبعضها، ولكنه أضاف قيمة جديدة لجهود الكاتب التي ما تزال تقدم العطاء، على صعيدي التأليف، ونقل خبرته الصحفية الزاخرة للأجيال المتعاقبة، والمساهمة في النضال الوطني من أجل عراق بلاد كاتورة، بلامع، يزدهر فيه الوجدان النظيف.



## مقتطفات ومعالجات

الحادي عشر من آذار

### معلم هام من معالم النضال القومي الكردي والنضال الديمقراطي للشعب العراقي.

تحل اليوم الذكرى الثالثة والعشرون لتوقيع اتفاقية ١١ / آذار / ١٩٧٠ بين قيادة الثورة الكردية وحكومة البعث.

في هذه الذكرى - التي تشكل نصراً للقضية الكردية وللمجموع الحركة الديمقراطية نتذكر المسيرة النضالية التي أدت إليها.

وفي هذا السياق لا نريد الحديث عن نضالات الشعب الكردي البطولية التي امتدت ما يزيد على خمسين عاماً قبل هذه الذكرى والتي تفلت في انتفاضات وثورات يصعب حتى مجرد تعدادها في هذا التعليق، ولكن لا يمكن إغفال ثورة أيلول ١٩٦١ التي استمرت حوالي عشر سنوات قبل اتفاقية ١١ / آذار / ١٩٧٠.

في ١٧ / تموز / ١٩٦٨ هادن الانقلابيون الثورة الكردية ليضمنوا وصولهم إلى سدة الحكم بسهولة، طهروا مؤامرة الانقلاب مع النايف والداود وضباط القصر الجمهوري.

وبعد ثلاثة عشر يوماً نقضوا الهدنة ليواصلوا نهج استخدام العنف لاجبار الشعب الكردي على الرضوخ لارادتهم.

يومذاك كان أنصار الحزب الشيوعي العراقي يقاتلون في صفوف الثورة الكردستانية وكانت قيادة الحزب في بغداد تضغط على الحكومة من أجل الحل السلمي الديمقراطي، والاعتراف للشعب الكردي بحقوقه القومية، وبالحكم الذاتي. وتطالب بإجراء مفاوضات مع قيادة الثورة الكردية.

وكان جواب الانقلابيين، بكل عجرفة وعنجهية، إننا لن نفاوض الحونة!

لم يكن حزينا الشيوعي العراقي وحده يطالب بحل المسألة الكردية حلاً سلمياً ديمقراطياً، بل كان إلى جانب جمهرة واسعة من الديمقراطيين والقوميين الشرفاء، وكذلك الرأي العام الديمقراطي العالمي، والاتحاد السوفيتي الذي رمى بثقل كبير من أجل هذا الحل.

وجرب الانقلابيون العقالة حظهم مرة أخرى في حملات ظالمة ضد الشعب الكردي أودت بحياة

الألوف المؤلفة من أبناء الشعب عرباً وكرداً وتركماناً وآشوريين، كما سبق لهم أن جريه أيام انقلابهم الفاشي في ١٩٦٣ بعد أن يتسوامن إمكانية قهر الشعب الكردي وبثوره الباسلة. اضطروا للتفاوض مع قيادة الثورة الكردية. واتحنوا أمام العاصفة مظهرين السوء والتواي الحبيشة.

ففي ١١/ آذار اضطروا للحديث عن الحقوق القومية للشعب الكردي، وتبنوا شعار الحكم الذاتي الذي طرحه الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٦٢، وأشركوا خمسة وزراء من الحزب الديمقراطي الكردستاني في الوزارة ووعدها بتشريع قانون الحكم الذاتي بعد أربع سنوات. وما أن اتفقوا مع قيادة الثورة الكردية حتى بدأوا بتنفيذ مخططهم الشرير بالهجوم على الحركة الديمقراطية ورأس مصحها. الحزب الشيوعي العراقي، والقوى القومية العاملة في ساحة النضال السياسي، والتي كانت تشارك في النضال مع الحزب الشيوعي من أجل اطلاق الحريات الديمقراطية وإقامة جبهة وطنية واسعة على أسس ديمقراطية.

وكانت أولى بوادر الهجوم اغتيال القائد الشيوعي الرفيق محمد الحضري في العشرين من آذار ١٩٧٠ عشية الاحتفال بنوروز، وبهاجمة موكب الشيوعيين في مظاهرة العيد التي أقيمت في بغداد يوم ٢١/ آذار/ ١٩٧٠، ومن ثم اعتقال المئات من الشيوعيين، واغتيال عدد من قياداتهم وكوادرهم. ولم يقف الأمر عند هذا الحد - بطبيعة الحال - فقد علمتنا التجربة أن من يبدأ باضطهاد الشيوعيين ينتهي باضطهاد جميع القوى الديمقراطية والوطنية. ولذا لم يمر وقت طويل حتى دبروا مؤامرة اغتيال قائد الثورة الكردية المرحوم مصطفى البارزاني، يوم أرسلوا إليه جمعاً من المممين وحملهم - دون أن يدروا - بالمتفجرات التي فجرها عن بعد، فقتلوا كلهم، ونجا البارزاني بأعجوبة خارقة.

وبرغم كل دنايات الحكم ومؤامراته ومساغيه لإخضاع الثورة الكردية، وقيادتها، فقد فشلت مخططاته للقضاء على الثورة، التي ظلت تلغض مضجع الحكام، وتهدد حكمهم.

وبسبب من قوة الجذور الشوفينية التي تحكم سلوك الحزب الحاكم، ولأن ادعائه التي خرج بها في اتفاقية آذار لم تكن تنم عن أسالة، بل عن براغماتية سياسية تستهدف كسب الوقت وتحين الفرص لتوجيه الضربات للثورة الكردية ولحقوق الشعب الكردي، فقد أقدم صدام حسين على ماجنه نوري السعيد والعارفان، ذلك هو الترقيط بنصف شط العرب إلى شاه إيران ليضمن تأييده في سحق الثورة الكردية، ومسح الحقوق القومية والحكم الذاتي، وأفراغه من أي مضمون حقيقي. وأعقب ذلك بتحزيب الريف الكردي، وتدمير الحياة في كردستان، وصولاً إلى قصف حلبجة بالسلاح الكيميائي وحملات الأنفال البربرية، وتشريد مايزيد عن مليون مواطن كردي في ربيع ١٩٩١، ومواصلة العناء للشعب الكردي، وفرض الحصار عليه بعد أن أفلمت جماهيره المناضلة بطرد قوات صدام وأجهزته القمعية، وراحت تبني حياتها والديمقراطية رغم الصعوبات التي أثارها

ويشيرها النظام الدكتاتوري والأعمال التخريبية.

إن حصيلته هذه الذكرى ودرسها الأول هو ضرورة الخلاص من الحكم الدكتاتوري وبناء عراق ديمقراطي بصون فيه الشعب الكردي حقوقه القومية ويطورها بعيداً عن تهديدات الدكتاتورية ومخاطر انتكاس المسيرة الديمقراطية.

مجداً لناضلي شعب كردستان البواسل ولكل مناضلي شعبنا العراقي الذين ضحوا من أجل السلم في كردستان وقنع شعبها بحقوقه القومية العادلة.

وخلوذاً للشهداء الأبرار الذين رسموا بدمائهم الطاهرة طريق الحرية عرباً وكرداً وتركماناً وأشوريين!

والموت للدكتاتورية.

كلمة إذاعة حزينا في ١١ آذار ١٩٩٣

### حول الحكم الذاتي والفيدرالية

مرت خلال الأسبوع المنصرم الذكرى ٢٣ لاتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ المبرمة بين قيادة الثورة الكردية والحكومة العراقية. ومن المفيد إبداء الآراء حول هذا الموضوع:

- لقد كانت اتفاقية ١٩٧٠، رغم حمومية بنودها، خطوة نحو الأمام في تلك الظروف لحل المسألة الكردية في إطار الكيان العراقي الموحد.

- إن التصور الكردي للحكم الذاتي الذي لم يرد ذكره في بنود الاتفاقية بصيغة محددة وواضحة المعالم كان يختلف عن التصور الحكومي الذي يعتبر الحكم الذاتي مجرد اقرار بحقوق شكلية.

- حازت الاتفاقية على أهمية استثنائية في حينه باعتبارها ثالث وثيقة دولية تقر للكرد بعض حقوقهم بعد معاهدة سيفر الدولية عام ١٩٢٠ بين الحلفاء وتركيا والبيان البريطاني - العراقي المشترك عام ١٩٢٤ حول حق الكرد العراقيين في تشكيل كيان سياسي مستقل ضمن حدود المملكة العراقية.

- إن الحكومة العراقية التي كانت قد تسلمت مقاليد الحكم إثر انقلاب تموز ١٩٦٨ والتي لم تكن قد عززت مراقبها بعد في الحكم والتي كانت تحس بوطأة فشل حملتها العسكرية على كردستان في عام ١٩٦٩، وافقت على الاتفاقية مضطرة وتحت ضغط ظروفها المتأزمة.

- رغم أن مبدأ الحكم الذاتي اوتقن إلى صيغة تشريعية في ١٩٧٤، إلا أن تلك الصيغة العم جرت حوالي نصف المناطق الكردية من إقليم كردستان سيما المناطق النفطية ولم تمنح المجلس التشريعي سوى صلاحيات هزيلة.

- إن كل الجرائم التي ارتكبتها الحكم العراقي بعد ١٩٧٤ تمت تحت غطاء الحكم الذاتي وبحول الحكم الذاتي إلى مجرد واجهة دعائية مارست السلطة تحت غطائها عمليات الترحيل القسرية أو التعريب والاعدامات الجماعية واستخدام الغازات السامة وعمليات الإبادة.

- إن السلطة العراقية هي التي صوّتت موضوع الحكم الذاتي وجعلت مؤسساته مجرد مؤسسات كارتونية بدون أية صلاحيات حقيقية.

إن الاتحاد الوطني الكردستاني قد أوضح منذ زمن طويل أن الحكم الذاتي سواء بالصيغة التي تفهمها السلطة العراقية أو بالصيغة التي يفهمها الآخرون، لا يحل المسألة الكردية حلاً جذرياً. وإن الحل الجذري والحاسم للمسألة الكردية يتم من خلال اقرار حق الشعب الكردي في تقرير مصيره بالشكل الذي يراه لذلك دعا الاتحاد إلى اقرار حق الكرد في تقرير مصيرهم بصيغة الاتحاد الطوعي مع الشعب العربي في العراق ضمن عراق ديمقراطي موحد. وفي ظل المستعجلات الدولية العاصفة وفي ظل الظروف الداخلية الملتهمة برز التفكير في إعادة طرح ترتيب جديد لأولويات المسألة الكردية، توصل البرلمان الكردستاني من خلاله إلى إعلان الاتحاد الفيدرالي في ١٩٩٢/١٠/٤ وهي الصيغة البديلة لصيغة الحكم الذاتي والأكثر انسجاماً مع المطروحات الكردية. وكما أن السلام الحقيقي لا يقوم إلا على أساس التوازن، فإن الحل الجذري للمسألة القومية لا يقوم إلا على أساس المساواة.

وبداهة أن الحكم الذاتي، مهما اختلفت صيغته، لا يحقق عنصر المساواة. أما الفدرالية فنظرنا تحقق هذا العنصر. ومن هنا جاء اختيار البرلمان الكردستاني لصيغة الاتحاد الطوعي ضمن فدرالية عراقية كأمثل تعبير عن مطروحات الكرد وميلهم إلى التعايش مع إخوانهم العرب في ظل نظام سياسي فيدرالي يضمن الديمقراطية والتعددية السياسية ويحترم حقوق الإنسان. أما صيغة الحكم الذاتي التي مر عليها حوالي ربع قرن فقد عفا عليها الزمن وأصبحت جزءاً من الماضي وإن إصرار السلطة العراقية وبعض الأطراف السياسية العراقية خارج السلطة على الصيغة القديمة مجرد ميل يجنح إلى الإبقاء على موروث الماضي ويحتفظ على التفسير الجذري. وإن إقرار المؤتمر الوطني العراقي الموحد الفدرالية كنظام سياسي للعراق بعد التخلص من الدكتاتورية خطوة هامة في الاتجاه الصائب لحل مشاكل العراق وفي طليعتها المشكلة القومية وإن العمل على ترسيخ هذا الاتجاه واجب وطني تحتّمه الظروف على كل عراقي غيور على وطنه وشعبه.

إفتتاحية (الاتحاد) ٣/١٣

الاتحاد الوطني الكردستاني

## لماذا «الوطن» ؟

منذ أن تكملت جهود القوميين الديمقراطيين في العراق بالاتحاد وتشكيل لجنة تنسيق موحدة لتنظيم عملهم، كانت فكرة إصدار جريدة ناطقة بإسم تيارهم تتبرأ الصدارة. نظراً لأهمية الجريدة في إبراز دور الحركات الكبرى في التاريخ.

وما أوجعنا نحن معشر القوميين العرب الديمقراطيين لمثل هذا المنبر. لتعميق وحدتنا وشد أزرنا. وللدفاع عن قضايا شعبنا. حيث تتعرض بلادنا لأخطار شتى. فوحدتها مهددة وأرضها مهانة وشعبنا يعاني الأمرين من قهر النظام الدكتاتوري. فالجريدة إذا حاجة ملحة وعليها مهمات جسام فكرية وسياسية ومعنوية وفي طليعتها:

١ - التأكيد على الترابط بين العروبة والاسلام. ودحض الإنقياد القائل بأن القومية العربية تقضي التوجه الاسلامي. فالعلاقة بينهما هي علاقة الروح بالجسد والقرى المثلثة لها «التيار القومي الديمقراطي والتجار الاسلامي» يمثلان القوى الحية في المجتمع وبينهما من القواسم المشتركة ووشائج الكفاح المشترك مما يجعل التعاون أمراً ضرورياً. بل ومطلباً ملحاً لكل المخلصين والحريصين على وحدة بلادهم وتحررها.

٢ - إبراز الترابط العضوي بين المهمات الوطنية والقومية. وقضية الديمقراطية وحقوق الإنسان. قأبنا شعبنا يعانيون من التسلط والاستبداد ومصادرة أبسط الحقوق التي نصت عليها شرعة حقوق الإنسان. فتغيب دور الشعب هو الذي جلب الويلات على شعبنا ولو كانت هناك مؤسسات ديمقراطية حقيقية لما تمكن الطاغية من شن حربه العدوانية على الجمهورية الاسلامية الايرانية. ولما تمكن من الإقدام على غزوته الجاهلية ضد دولة الكويت الشقيقة والتي أسأت إلى معاني الأخوة العربية وسببت تعمير البنى التحتية للاقتصاد العراقي وجعلت جماهيرنا تعيش تحت وطأة حصار وهيب.

إن العمل من أجل الديمقراطية وممارسة الشعب لحقوقه وتداول السلطة. وتأكيد حقوق الإنسان يجب أن تنال الاهتمام الأعظم في مسلكتنا ومسيرتنا السياسية. كما أننا مطالبون ببذل أقصى الجهود لتثقيف جماهيرنا بضرورة إيجاد التوازن بين مقاومتنا للإستبداد ونحن في المعارضة وعدم الإنسياق في الإستبداد في أثناء الحكم. وإن الهدف المطلوب هو إقامة دولة القانون والمؤسسات.

٣ - تعميق الوحدة الوطنية العراقية. فقد ناضلت جماهير شعبنا من أجل ترسيخ هذه الوحدة. وحالت دون تنفيذ مخططات القوى الأجنبية والطامعة في تفقيت هذه الوحدة. فالعرب والأكراد والتركمان وسائر الأقليات القومية المتآخية عاشوا في ظل رايات الكفاح المشترك والإحترام المتبادل والمحرص على وحدة العراق (أرضاً وشعباً).

إن القوميين الديمقراطيين في العراق يشددون على التآخي بين العرب والأكراد ويؤكدون على شراكتهم مع إخوانهم العرب في الوطن. ويدعمون كفاحهم للحصول على حقوقهم القومية المشروعة والتي تنكرت لها الأنظمة الدكتاتورية المتعاقبة. ولكنهم بالوقت نفسه يدعونهم إلى وضع الحركة التحررية للشعب الكردي في إطارها الصحيح. أي كونها ثقل جناحاً أساسياً من الحركة الوطنية العراقية وإن طريق حصول الشعب الكردي على حقوقه المشروعة هو في النضال المشترك مع قوى الشعب الأساسية لإقامة نظام ديمقراطي تعددي. وعدم الرهان على الصيغ والهياكل المعدة من قبل القوى الأجنبية وعلى هذا الأساس فإن لقاء يضم التيار القومي الديمقراطي والتيار الإسلامي والجبهة الكردستانية وسائر الوطنيين مطلب ضروري لتخليص شعبنا من النظام الدكتاتوري القائم وإقامة البديل الوطني الديمقراطي.

٤ - توثيق أواصر التعاون مع المنظمات والأحزاب القومية العربية في الوطن العربي. فالعراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والتيار القومي الديمقراطي في العراق هو جزء من الحركة القومية العربية. ولا بد من إقامة أوثق الصلات مع القوى القومية الديمقراطية في الأقطار العربية لتوحيد صفوفها وحشد طاقاتها لتحقيق الأهداف المشتركة في:

- التحرر الوطني والقومي من الهيمنة الأجنبية واستعادة الأراضي العربية المحتلة.
- تحقيق الديمقراطية لمراجعة الاستبداد والدكتاتورية وإقامة دولة القانون والمؤسسات.
- العدالة الاجتماعية لمواجهة الظلم والاستغلال وسوء توزيع الثروة.
- الوحدة العربية ضد التجزئة بكافة صورها وأشكالها القطرية والمناطية والطائفية والتبعية.
- التجدد الحضاري ضد الجمود في الداخل والمسخ الثقافي من الخارج.

عن (الوطن) العدد ١ - آذار

لجنة تنسيق العمل القومي الديمقراطي في العراق.

### المحلقة الأولى: الديكتاتورية.

### هل تصلح المعارضة العراقية بديلاً عن صدام؟

(...) يمارس النظام المتسلط في العراق غموضاً فريداً من الدكتاتورية والغاء الآخر - فكراً أو رأياً أو عقيدة أو وجوداً - وديكتاتورية النظام لا تحتاج إلى مزيد بيان فهي من الواضح بحيث أصبحت عنوانه، والذي نشير إليه هنا أمران هما، إن نظام صدام لم يبدأ في ممارسته الديكتاتورية والقمع من

قراغ أو من الصفر، فقد ورث صدام أنظمة حكم حكمت العراق بالقمع والتسلط وإن كان له دوره في المضي بالدكتاتورية أشواطاً بعيدة، إذ تعطلت في زمنه وازدهرت وتوسعت حتى أصبح وكأنه مؤسسها وواضع لبناتها الأولى، وهذا الأمر له دلالاته المستقبلية، فالدكتاتورية في بلدنا قد تقادمت عليها السنون وامتلأت جلودها في الأرض، ونحن نريد أن نغير واقعاً أصبح مزمناً في العراق - إن لم يكن مزمناً في تاريخنا أيضاً - ابتداءً من الحكم الأموي وإنتهاءً بالحكم العثماني ومروراً بالحكم العباسي.

وأما الأمر الثاني فإن النظام المتسلط في العراق لا يبدو استثناءً شاذاً في أغلب آسيا وإفريقيا وحتى أميركا اللاتينية، وهكذا تبدو الدكتاتورية مزدهرة أو في الازدهار ولأمر له دلالاته إن ليس هناك اجتماعاً عربياً على أي مستوى كان - سواء على مستوى المدنيين أو حتى على مستوى القمة إلا وشهد اختلافاً وتنوعاً في الرأي سوى اجتماع وحيد هو محل اتفاق دائم وانسجام وهو اجتماع وزراء الداخلية - ولاتعني بذلك أن نساوي صدام بسواه من الحكام في هذا الشأن، إذ يبقى صدام متفرداً في مديبات دكتاتوريته فهو على الأقل أول حاكم في التاريخ يستعمل الفازات السامة والأسلحة الكيميائية لإبادة آلاف المدنيين من أبناء شعبه الذي يحكم باسمه!

وهذا الأمر له دلالاته أيضاً، فليس من المعقول أن نجد أنظمة قمعية لشعوبها قد لك يد العون لتقضي على الدكتاتورية في العراق والتعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة، فهؤلاء لا يرون سوى الرأي الواحد ولا يؤمنون إلا بالحاكم الواحد، وبالتالي فلا يساعدونك على شيء هم يفتقرون إليه أو لا يؤمنون به، هذا إن لم ينفروا ضد مثل هذه التجربة - إن وجدت - باعتبارها تهديد لهم ومعرض لشعوبهم ضدهم.

بعد هاتين الاشارتين العابرتين لامتداد الدكتاتورية الزماني والمكاني، نعود إلى المعارضة العراقية لتفحص موقفها الحقيقي وامكاناتها الذاتية في تجاوز هذه المعضلة التي سالت العراق دولة وشعباً إلى مهاري الردى.

أما على مستوى الموقف، فنجد أن المعارضة العراقية لأول وهلة تدين الدكتاتورية في العراق وترفضها رفضاً مطلقاً، ولكننا لو تجاوزنا هذا الرفض الأولي، إلى تفاصيل الموقف، لعبدت لنا أمور أخرى، من هذه الأمور، إن هناك من أطراف المعارضة العراقية من لا يرفض المؤسسة القمعية الحاكمة في العراق كلها وإنما يرفض رأس الهرم فقط، ولربما تعتبر نفسها الوريث الشرعي لبقية الهرم أو المؤسسة القمعية، وهناك من المعارضة من يراهن أو يخطط لاحتواء المؤسسة القمعية، وإنه بتغيير إسمها فقط - ولا يرى هذا البعض من رصيد له سوى هذه المؤسسة ولو بتغيير بعض وجوهها المحتركة.

وعلى ضوء هذا الموقف فسيستمر القمع حتى لو سقط صدام، وعلى ظهورنا أن تستعد لتقس السياط التي انتزعت جلودها بالأمس باسم صدام لتنتزعها مرة أخرى باسم الرئيس الجديد - فيما لو



أنبي - القادم من خلف الضباب أو من خلف الحدود المجاورة

إنها نتيجة مأساوية حقاً، وهي تدعو المعارضة لتعديد النظر في مواقفها إن لم يكن بشكل جذري فعلى مستوى القول وقبل استلام الحكم على الأقل لتتمكن من رفض دكتاتورية صدام وطرح نفسها بديلاً «ديمقراطياً» عنه.

أما على مستوى الممارسة فلو تجاوزنا - وهو أمر غير صحيح - الممارسة الداخلية لكل فصل، وطبيعة العلاقات القائمة بين قياداته وقاعدته، وهل أن هذه الممارسة قائمة على أساس تباين المواقع وحرية الرأي والحصانة لصاحب الرأي الآخر، أم أنها قائمة على أساس تفرد شخص أو مجموعة بالفصل السياسي دون حق الاعتراض أو التعبير من قبل الأعضاء الآخرين؟ لو تجاوزنا ذلك مع علمنا الأكيد بأن من يمارس «الديمقراطية» مع رفقاء وأعضاء تنظيمه وهو في المعارضة فمن المستحيل أن يمارسها مع الآخرين أو مع الشعب وهو في الحكم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن لدينا العديد من المؤشرات إن لم تكن الأدلة على ممارسة القمع الداخلي.

لو تجاوزنا الوضع الداخلي لكل فصل من فصائل المعارضة العراقية واعتبرنا ذلك من شؤونها الداخلية وأسرارها الخاصة التي لا تستطيع الاحاطة بها ولا يصح التدخل فيها، ونظرنا إلى الممارسة فإننا نجد الادعاءات الكبيرة على مستوى تمثيل الشعب العراقي من جهة، ونجد من جهة أخرى محاولات الإلغاء، أي أن كل فصل يحاول إلغاء الآخر، تارة للتفرد باسم المعارضة العراقية كله، وتارة للتفرد باسم تيار من تيارات المعارضة كله، وهذه ظهيرة في المعارضة العراقية تكاد تستشري لتشمل الجميع حتى غدا الأفراد - الشخصيات! يحاولون جاهدين لإلغاء حركات ووجودات سياسية كبيرة ذات امتداد تاريخي، ولأن اعتمد صدام على فرق المخابرات أو الجيش لإلغاء الآخر، فإن المعارضين العراقيين لا يملكون هذه القوة لإلغاء أو تصفية فرقائهم ولذلك يعتمدون أحد أمرين أو كليهما. إما باعتماد اللعبة السياسية أو بالاستقواء بدولة أخرى لتصفية أو إلغاء المنافس وإذا كان هؤلاء لا يتورعون من استخدام أو تحريض قوة خارجية - حليفة طبعاً! - لإلغاء الآخر، فماذا تراه يفعلون إذا أمسكوا بوزارة المالية أو الدفاع أو الاعلام؟ هل هناك صوت آخر يسمع وهل لهذا الصوت من جسد يمشي في الشارع أم أنه سيكون مصيره القبر أو السجن إن لم يحالنه الحظ فيصّل إلى أحد المهاجر - للتذكير هناك أكثر من مليوني عراقي مهاجر خارج العراق الآن؟

على أن القضية لا تتوقف عند ذلك، وإنما تمتدّها إلى مديات أكثر، فقد وجدنا في تجارب المعارضة أن أشد دعاية «الديمقراطية» و«الليبرالية» هم من أبعد الناس «الديمقراطية» ونظرة إلى مؤتمر صلاح الدين وما تخض عنه، وهو مؤتمر أداره «الديمقراطيون» و«الليبراليون» من مبتدأه إلى منتاه، تكشف عن «ديمقراطيتهم» التي تجسدت في إدارة المؤتمر ونتائج.

نقطة أخرى جديرة بالملاحظة، وهي الانتقال الحاصل لبعض الأفراد من صف النظام إلى صف المعارضة، وهو أمر مفرح، ومن الطبيعي أن تسعى المعارضة لاستمالة الساترين في ركب النظام من

أجل أن ينقضوا عنه، ولكن من غير الطبيعي أن يصبح هؤلاء في يوم وليلة من رموز ومتحدثين باسم المعارضة، دون تشكيل يصدق انتمائهم للمعارضة وتركهم للنظام، ولكن الذي يقضي عمراً كجزء من جهاز الدكتاتورية لا يمكن أن يتحول في يوم، وليلة إلى داعية من دعاة الديمقراطية. على أن مشكلة الدكتاتورية لا تقتصر على الميدان السياسي، ولكنها تمتد إلى ميادين الثقافة والاجتماع - وتلك مواضع أخرى نأمل في اثارها لاحقاً - لتكتمل دورة القمع والتسلط والقمع.

كيف السبيل للخروج من هذه الحلقة الجهنمية؟

ماهي المشاريع - وليس البيانات السياسية - التي يمكن أن تكون مدخلاً لتحطيم حلقات الدكتاتورية الخائفة؟

مالعمل؟

تلك أسئلة نأمل أن تكون موضع حوار جاد بين المعارضين العراقيين، سياسيين ومثقفين، في صالوناتهم السياسية أو على صفحات جرائد المعارضة الكثيرة. و«الموقف» تفتح صدرها رحباً لهكذا حوار.

صادق الركابي

/ ١١ / شباط عن (الموقف)

تعبير عادة عن رأي حزب الدعوة.

### خطورة تطبيع العلاقات مع نظام صدام

بين حين وآخر، تحمل وكالات الأنباء، أخباراً عن تحركات محمومة لنظام صدام حسين باتجاه إعادة آليات علاقته الدبلوماسية مع دول العالم المختلفة بما فيها، أو بالأحرى في مقدمتها، دول التحالف التي خاضت معه حرباً مدمرة (للعاديين) كما جاء على لسان أكثر من مسؤول دولي.

وفي سياق هذه التحركات المحمومة فإن صدام حسين يوزع الرشاوي هنا وهناك من أجل الخروج من المأزق التي ووط نفسه فيها سالماً، لأنه يعتقد أن تحريك مؤشرات علاقة نظامه مع حكومات العالم، أو - على الأقل - أي حكومة مستعدة لذلك، سيساعده على الاحتفاظ بكرسيه المهزوز أطول فترة ممكنة.

ولتنفيذ ذلك قام بإرسال عدد من أبرز معاونيه، بصورة علنية أو سرية، حسبما تقتضي الأحوال، إلى عواصم عديدة في المنطقة والعالم، وهم يحملون في جعبتهم وعداً مغرية بمنح اقتصادية، وارتهان أهم الطاقات الاقتصادية العراقية لدى تلك الدول، حكومات وشركات، من أجل أن تعمل على تبويض صفحة النظام، وتصد من وتائر تطبيع العلاقات معه.

ويبدو أن بعض الجهات المتنفذة في دول اقليمية وغير اقليمية قد استجابت للاغراءات الكثيرة

التي يمنحها لها صدام ونظامه بسخاء قل نظيره، خاصة وأنه يقدم لها ملاحق له فيه من خبرات العراق وطاقاته الاقتصادية.

وصدام يعمل وبكل الوسائل إلى التغلغل في الحلقات الضعيفة لدى دول الجوار أساساً، وقد استطاع في هذا الجانب أن يحصل على استجابة من بعض الدول التي تنظر إلى أوضاعها الداخلية بقلق، حيث تواردت تصريحات على لسان بعض حكام جارات العراق أن لامانع لديها من تطبيع علاقاتها مع صدام للمضيق على دول أخرى في المنطقة.

وبالرغم من أن العوامل الاقتصادية (مهما كانت طبيعتها)، وكذلك العلاقات الحدودية، لا بد أن تؤثر على هذا الطرف أو ذاك - إلا أننا نقترح أن العلاقات بين الدول لا يصح أن تقوم على الأطماع الاقتصادية والمصالح الضيقة فحسب، فثمة قانون دولي هو الذي يتحكم في طبيعة تلك العلاقات، إضافة إلى جملة من القيم الانسانية والمعايير الأخلاقية.

فنظام صدام حسين، وبكل الأعراف والمقاييس، خاوج على القانون الدولي، وهو يمثل انتهاكاً صارخاً ومستعزاً لقرارات الأمم المتحدة التي تتعلق بالقضية العراقية، وتشعباتها - ولعل من أبرز الأدلة على ذلك أن النظام مازال يستهجر وباستمرار بقرارات مجلس الأمن المتعلقة بحماية حقوق الانسان في العراق، كما أنه مازال يصعد من ممارساته الاجرامية في جميع أنحاء العراق بما فيها منطقة الحظر الجوي في الجنوب، والمنطقة الآمنة في الشمال - إضافة إلى تصميمه على المضي قدماً في ارسال المرتزقة والمخربين إلى جميع الدول المحيطة به والبعيدة عنه لممارسة عمليات التخريب والاعتقالات.

إن هذا النظام، والذي فقد شرعية الوجود، منذ أن قررت دول العالم مقاطعته ومحاربه واستقاطه - مازال كما هو، ومازالت ممارساته تتصاعد بالاضد من الشرعية الدولية والقانون الدولي ولوائح حقوق الانسان وغيرها من لوائح الأمم المتحدة - ولذا نعتقد بأن الجهات التي تعمل اليوم على إعادته إلى الخطيرة الدولية ستحني بخيبة أمل قاسية، لأن النظام لن ينفذ لها وعده؛ وهذا سجله حافل بالقدر والخيانة، ولأن العالم مازالت فيه قوى انسانية شريفة لاتنظر إلى طبيعة نظام صدام من خلال افراءات اقتصادية زائفة. ولأن الشعب العراقي بكل قواه الشريفة مصمم على إنهاء الدكتاتورية وإقامة حكم المستور والقانون، وأتذكرك سوف لن تنفع هذه الدول أي من الوعود التي منحها نظام صدام المجائر.

التصاحية(بغداد) ٣/٥

الوفاق الوطني العراقي

## مساهم المؤتمر الوطني العراقي الجديدة

تتكشف جهود المعارضة العراقية هذه الأيام لوضع اللمسات الأخيرة على المؤتمر الوطني العراقي ليخرج بصورة مقبولة لدى الجميع.

وطالما تلقت معظم فصائل المعارضة العراقية فكرة وجود مثل هذا المؤتمر بشيء من القبول فإن جزءاً كبيراً من العراقيين التي تواجه مهمة ترميم المؤتمر قد ذللت فعلاً وبقي جزء هام كان لابد من إلفات النظر إليه.

ويتذكر الإخوة الذين دعوا إلى عقد هذا المؤتمر، الفترة الأولى من ولادة المؤتمر كيف جريه بقيتو من قبل بعض الشرائع؟ وكيف استطاع ومن خلال عمليات الترميم الجادة التي أجريت في مؤتمر صلاح الدين الأول.. استطاع تجاوز هذا الغيتو بكسب صك القبول من أكثر الحركات والتنظيمات والفعاليات العراقية التي رفضت الاشتراك في مؤتمر فئنا. وهذا ما يؤكد لنا حقيقة هامة هي الرغبة الملحة لدى جميع فصائل المعارضة العراقية على التآلف والتكاتف وحتى التشكل في صيغ مرحدة بشرط أن يضمن المؤتمر القدر المشروع من حقوق الحركات.

وكان على الإخوة الناعين للمؤتمر، أن يستثمروا الطاقة الحيرة التي تفرزها هذه الحالة لدى جميع فصائل المعارضة باتجاه التشكل مع المؤتمر، وأن لا يديروا ظهورهم لحقائق هامة كان لابد من الاذعان لها لتحقيق البناء الشامخ للمعارضة العراقية ومن أهم هذه الحقائق:

١ - استيعاب المؤتمر الوطني العراقي للحقائق التي يفرزها الواقع العراقي الديني الاجتماعي، فالعراق يتشكل من شرائع دينية واجتماعية يشكل الشيعة فيها الأكثرية المطلقة.

وطرح قضية الشيعة ليس من الزاوية الطائفية الضيقة فالشيعة ليسوا في مقابل السنة. وليس هناك من فائز يضع الشيعة في مصاف الطرف الطائفي.

بل الشيعة كتيار سياسي معارض للسلطة منذ زمد طويل الشيعة كمجموعة بشرية مقهورة على أيدي الحكام الظالمين الذين توالوا على حكم العراق.

الشيعة كمجموعة من المجتمع العراقي التي فقدت حقوقها وقد جاء اليوم الذي لابد من إعادة كل شيء إلى مكانه وإعادة الحق إلى نصابه. كان لابد للمؤتمر الوطني أن يؤخذ بهذه الحقيقة ويتعامل معها بروح إيجابية ويعززة مستقلة لاتلين أمام الضغوطات الدولية.

٢ - استيعاب جميع فصائل المعارضة العراقية، فإذا أريد للمؤتمر الوطني أن يعبر عن إرادة المعارضة العراقية الموحدة فلا بد لها من استيعاب أجنحة المعارضة في تركيبها الداخلية سواء في اللجنة التنفيذية أو في اللجان الأخرى.

إن المهمة الأولى التي أنيطت بالمؤتمر الوطني العراقي هي توحيد ساحة المعارضة العراقية، وهذا

هو الأصل، وكل شيء هو فرع من أصل توحيد المعارضة العراقية. وحتى عملية إسقاط الطاغية ليست بالأمر المهم في قبال توحيد المعارضة.. لأن لاسقوط لصدام بدون وحدة المعارضة.. فسر النتيجة لذلك السبب.. ولاتعانج بدون أسباب فكل مشاكل الساحة العراقية تقريباً تكاد تكون محصورة في اختلافاتها، وكل الحلول موكولة في وحدتها وتلاحمها وتكاتفها.

وكل النتائج الايجابية التي يطمح إليها الشعب تتوقف على وحدة المعارضة. وكل عراقي اليوم هو بانتظار تلك اللحظة التاريخية التي تعلن فيها المعارضة العراقية عن وحدتها وتلاحمها وهذه المهمة ليست بقليلة وربما حلت الفرصة وربما سيكتب للمؤتمر الوطني العراقي القدر الذي انتظرته المعارضة العراقية طويلاً، فكان لابد من إستيعاب هذه الحقيقة والعمل من أجل تكريس حالة الوفاق والأخوة وذلك من خلال إستيعاب كل الفصائل العراقية.

إن أي تجاوز على هذه الحقيقة يعني تضییع أكبر الفرص التي أتاحتها الظروف والأحداث لتوحيد الساحة العراقية.

عن (الوفاق الاسلامي)

حركة الوفاق الاسلامي في العراق

### في ذكرى انتفاضة آذار المجيدة

قر هذه الأيام الذكرى الثانية لانتفاضة آذار المجيدة التي بدأت في البصرة وسرعان ما انتشر لهيبها إلى محافظات الجنوب والوسط وكردستان، لتكون رداً شعبياً حازماً على نهج النظام الدكتاتوري وسياساته المجرمة بحق الشعب والوطن وحروبه «وغزواته» وإرهابه الشنيع وحربه الشوفينية ضد الشعب الكردي. لقد كانت انتفاضة آذار للمجيدة تعبيراً عن إصرار شعبنا العراقي على إسقاط النظام الدكتاتوري وتوقه للعيش في ظل السلم والديمقراطية والتآخي القومي ودولة القانون والتعددية السياسية.

وبرغم إغراق الانتفاضة بالدماء، وتهديم المدن المنتفضة وسقوط الآلاف من الشهداء وتشريد أكثر من مليوني مواطن كردي، فإن جماهير الشعب تشهد نتائج إنتفاضتها الباسلة وإن لم تفلح في الإجهاز على النظام الدكتاتوري، فإنها زعزعت هذا النظام، وتركت سلطته ضعيفة مهزوزة، وغرزت ثقة الشعب وجماهيره المناضلة بحتمية زواله، وأظهرت للعالم كله أن شعب العراق، بعمره وكرده وأقلياته القومية وطوائفه الدينية كافة، يرفض هذا النظام ويتحفظ للقضاء عليه.

إننا جميعاً مدعوون في ذكرى الانتفاضة المجيدة إلى إستيعاب دروسها الفنية وعوامل انحصارها التي تكمن في عقوبة اندلاعها، وضعف التنظيم الجماهيري، وضعف التنسيق بين قوى

المعارضة العراقية، والشعارات الفئوية الحاطة لبعض أطرافها، وعدم الاستفادة من أفراد القوات المسلحة ووحداتها التي تحركت ضد النظام، أو امتنعت عن الدفاع عنه. إن العوامل التي أدت إلى تفجر الانتفاضة مازالت قائمة، بل زادت بفعل ضعف السلطة وازدياد السخط الجماهيري والغلاء الفاحش وشحة المواد الغذائية والحالة التي تقترب من المجاعة التي يعيشها الغالبية العظمى من أبناء شعبنا الأمر الذي يتطلب من القوى الوطنية تعزيز صلتها بالجماهير وتوحيد صفوف المعارضة وتأكيد على البديل الديمقراطي التعددي، واحترام إرادة الشعب الكردي في الحكم الفدرالي وجعل ثقل نشاطها السياسي والدعائي والتنظيمي في داخل الوطن، وذلك دوطاً للمسامي التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها وأتباعها الذين لم يكتفوا بدورهم في مأساة شعبنا وماألقوه من دمار كامل ببلادنا خروفاً عن قرارات مجلس الأمن الدولي، وباسم (تحرير الكويت) وإفا يسهون أيضاً لقرض هيمنتهم على بلادنا عن طريق بديل يتجاهل إرادة ومصالح شعبنا ووطننا.

إن صدام حسين يتاجر بمأساة شعبنا التي كان هو سببها، بالمطالبة بإطلاق يده في التحكم بشؤون وطننا تحت لافتة رفع الحصار عن العراق وفك العزلة الدولية والعربية عن نظامه الدكتاتوري. حقاً لقد تحول الحصار وسبب من وجود صدام حسين في السلطة، إلى عقوبة ليس للنظام، بل للشعب كله، الأمر الذي يتطلب إتخاذ إجراءات جديدة من المجتمع الدولي ومجلس الأمن لمعالجة الأضرار التي لحقت بالشعب العراقي وحمايته من خطر المجاعة، وذلك بتأمين التغذية والأدوية لمحتاجيها بالتعاون مع قوى المعارضة والمنظمات الإنسانية والاجتماعية العاملة على أرض الوطن، والاستفادة من الأرصدة الحكومية العراقية المكنتة في البنوك الأجنبية، والأموال التي نهبها صدام حسين وعائلته، وتصدير جزء من النفط العراقي حسب قرارات الأمم المتحدة واستخدامه في أعمال الإغاثة تحت إشراف الأمم المتحدة.

**أواسط آذار - الحملة من أجل عراق ديمقراطي**

### بيان مكمل لـ «ميثاق ٩١»

يكتسب «ميثاق ٩١» أهمية عظمى في الوقت الحاضر بالنسبة لتكوين تصور عن عراق المستقبل بعد زوال النظام الحالي. لا يوجد لدينا أي وهم بخصوص الامكانيات الفعلية لتطبيق مثل هذه التصورات. ستكون هناك صعوبات غير اعتيادية ستواجه التطبيق، ومن المتوقع أن ساسة العراق في المستقبل سيتقاعدسون عن تطبيق مقترحات جذرية كهذه، بل وربما تحايلوا واستغفلوا العراقيين للتخلص من القيام باصلاح جذري كالذي يقترحه الميثاق.

لا تكمن أهمية ميثاق كهذا في كونه برنامجاً قابلاً للتطبيق فهو ليس كذلك في كل جوانبه، وليست مهمته أن يكون كذلك. كما وليس من المهم أن يعطى بتوقيع الألوף عليه (حيناً لو تحقق ذلك ولكنه غير ممكن في ظروف التنفي). يكفي أن يوقعه عدد مناسب من مثقفينا. ولكن من المهم أن يشمل الجوانب الأساسية لحياتنا المقبلة.

الميثاق حلم، مثالي/ يوتوبي ونحتاج تفكير مجموعة من المثقفين فهمت مهمة المثقف اليوم على نحو مناسب: خلق «الأطر» العامة لحياتنا الفكرية والروحية، إنتاج الأفكار، وإنتاج الحلم. أما وضع الخطط والمشاريع الممكن تطبيقها، ورسم الحدود بين الممكن وغير الممكن، ويلوذة كفاءات التطبيق فهي عمليات تقنية ليست من مهمات المثقفين وبحاجة إلى جهد إضافي تبذله جمهرة من المتخصصين.

لماذا نحن بحاجة ماسة إلى وثيقة حلمية كهذه؟

(١) لتحرير الادهن العراقي من المسكنة لكي يستعيد العراقي قدراته التآريخية؛ القدرة على الحلم على نحو كبير وسخي.

(٢) للتأثير في صياغة قائمة القضايا والشؤون التي يفكر فيها العراقي في يومه.

(٣) لاستفادة من الوظيفة الارشادية والتوجيهية للمثال. يخلق المثال كمرشد وكمعيار لقياس نتائج العمل. المثال لا يخلق من أجل تطبيقه. إن أية محاولة لتطبيق المثال تؤدي إلى كارثة لشدة تناقض المثال مع ما هو ممكن واقعاً.

(٤) الاستفادة من الوظيفة الادانية - الرقابية للمثال عند تقييم جهد ساسة العراق في المستقبل:

هل تتوجه السياسة، في تطبيقها العملي، نحو المثال أم تأخذ توجهاً مضاداً له؟

إذا نظرنا إلى «ميثاق ٩١» من هذا المنطلق، وبهذا القدر من التوقعات، فإننا نجد فيه جملة نواقص ينبغي تلافيها. سنكتفي هنا بذكر بعضها:

(١) كان ينبغي طرح مسودة الميثاق للنقاش العلني بين المثقفين على الأقل للتوصل إلى صياغة

## الثقافة الجديدة

أدق وأشمل. بالامكان تلاقي ذلك بتخصيص مدة ستة أشهر لمناقشة الميثاق.

(٢) كل حلم، مثالي (يوتوبيا) ينبغي أن ينطلق من الحد الأقصى لكي يكون بإمكان السياسة التطبيقية أن تحقق الحد الأدنى الممكن. الميثاق ينطلق في قضيتين خطيرتين كعقوبة الاعدام والجيش من الحد الأدنى. إنه يتحول، في هذه المواضع على الأقل، إلى مسودة لاجراءات تنفيذية ويفقد قدرته الالهامية والتعريضية على التفكير وابتكار الحلول.

لهذا أرى أن من الضروري:

(١) استبدال العبارة التي تطالب بإلغاء عقوبة الاعدام لفترة انتقالية لا تقل عن عشر سنوات (الفقرة الثانية) بعبارة أخرى تفيد بأن عقوبة الاعدام ينبغي أن تُلغى نهائياً وإلى الأبد وأن يحرم على الدولة العراقية إعادتها مهما كانت الظروف، على أن يجري تثبيت ذلك في دستور عراق المستقبل.

(٢) إستبدال مبدأ تقليص حجم الجيش الذي أخذ به الميثاق لمعالجة وضع هذه المؤسسة (الفقرة الخامسة) بمبدأ آخر، وإعادة صياغة الفقرة بحيث تتضمن الصياغة الجديدة المبادئ والتوجهات التالية التي ينبغي أن ينص عليها دستور عراق المستقبل:

(أ) الأخذ بالمبدأ القائل: لتنازع عن الشيء الذي يهاجمه الآخر ولا تهاجم الشيء الذي يدافع عنه الآخر.

(ب) إعلان حياد العراق الدائم وتحريم إلغاء هذا المبدأ.

(ج) الحصول على ضمانات عربية وإقليمية ودولية لاحترام حياد العراق وسيادته.

(د) إلغاء الجيش، كمؤسسة، نهائياً وتحريم إعادة تشكيله مهما كانت الظروف (٢).

(هـ) إلغاء الشرطة السرية والاستخبارات، كمؤسسات، نهائياً وتحريم إعادة تشكيلها مهما كانت الظروف، وتشكيل قوة جديدة من الشرطة العلنية للمحافظة على الأمن والنظام داخل البلاد (شرطة مرور، سفر، مكافحة الجرائم والمخدرات، جمارك... الخ).

أما على مستوى الاجراءات التنفيذية التي لاحاجة لتضمينها في وثيقة مبادئ، مثل ميثاق ٩١، ولكنها ضرورية لتطبيق ماسبق ذكره، فإن بالامكان أن نورد مايلي على سبيل المثال للاحصر:

- الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي لاعلان حياد العراق.

- الطلب إلى الدول الشقيقة والصديقة والمحايدة إرسال قوات لحفظ الأمن والنظام في الفترة اللازمة لنزع السلاح وتفكيك المؤسسات القديمة وتشكيل جهاز الشرطة الجديد.

- الامتناع عن وضع جهاز الشرطة الجديد تحت قيادة موحدة. ينبغي توزيع الشرطة على الوزارات المختصة (إخضاع شرطة المرور لوزارة المواصلات مثلاً، الجمارك للمالية، السفر للداخلية..

الخ) على أن تكون قياداتها مدنية وخاضعة بدورها لاشراف اللجان المختصة في البرلمان.

- نزع السلاح الشامل بالنسبة لكل المنظمات والأحزاب بدون استثناء وجمع الأسلحة وإتلافها.



- محريم تجارة وحياسة السلاح نهائياً وفرض أشد العقوبات على المخالفين.  
عراق الحضارات قادر على اتخاذ قرارات حاسمة كهذه. ينبغي ألا نخاف من السلام.  
(١) بحثت هذه المقترحات وكثير غيرها (قضية التنوع القومي والديني الطائفي مثلاً) في وثيقة تقع في ثمانين صفحة تتناول الحرب الأخيرة وتصوري عن عراق المستقبل. لأزال أنظر إمكانية نشرها.  
(٢) أقول هذا رغم ارتباطي العاطفي الشخصي بالجيش. ورغم علمي بالارتباط المشابه الذي يشعر به كثير من العراقيين، ورغم الدور الوطني للجيش في تاريخ العراق المعاصر، إن المصلحة العليا للعراق تتطلب إلقاء ثمة أسئلة مهمة ترتبط بموضوع الجيش مثل: ماذا إذا تعرض العراق، رغم حياده ورغم الضمانات، إلى عدوان أو احتلال لأراضيه؟ لقد عثرت على أجوبة سهلة نسبياً على مثل هذه الأسئلة ضمنيتها الوثيقة التي أشرت إليها في ملاحظتي السابقة ولا مجال هنا للدخول في تفاصيلها. وربما عدت إليها ببعض التفصيل في مناسبة قادمة.

\* أنور الخسائي، شاعر عراقي وأستاذ صحافة في جامعة كوستاريكا، هذا ويدعو القراء إلى إرسال تعليقاتهم حول مقالته إلى نشرة (قضايا عراقية) التي نشرتها. وعنوانها هو:

IRAQ FOUNDATION  
1919 Pennsylvania Avenue, N.W.  
Suite 850  
Washington, D. C. 20006 - 3404

## المراسلات :

الثقافة الجديدة  
سوريا - دمشق  
ص ب ٧١٢٢  
تلفون: ٤٤٩٧٢٤  
فاكس: ٧٧٣٩٩٢

## الاشتراك السنوي

٤٠ دولاراً أو ما يعادلها  
يدفع مقدماً بشيك أو حوالة مصرفية  
إلى رقم الحساب  
466184 / 12  
Banque Libano - Francaise  
Bar Elias - Lebanon





